

التأصيل النظري للدراسات الحضارية

العولمة والإسلام

رؤيتان للعالم

تأليف

أ.د. سيف الدين عبد الفتاح

تحرير

أ.د. منى أبو الفضل أ.د. نادية محمود مصطفى

دار الفكر

آفاق معرفة متجددة

www.fikr.com

P.C.S.D.C





١ - أسست عام ١٩٥٧ (١٣٧٦هـ)

٢ - رسالتها :

العمل في مجال الإبداع الفكري والثقافي؛ من خلال طباعة الكتب، والأقراص المغنطة، والوسائط المتعددة وأية أوعية أخرى للكلمة، ونشرها وتوزيعها، وإقامة الندوات والحوارات وورش العمل، بغية تحقيق ربح تجاري مجزٍ يعينها على تحقيق رسالتها ورؤاها الثقافية.

٣ - رؤيتها :

- تزويد المجتمع بفكر يضيء له طريق مستقبل أفضل.
- كسر احتكارات المعرفة، وترسيخ ثقافة الحوار وضرورات التعدد.
- تغذية شعلة الفكر بوقود التجديد المستمر.
- مد الجسور المباشرة مع القارئ لتحقيق التفاعل الثقافي في المجتمع.
- إطلاق طاقات الطفولة ، سبيلاً للارتقاء ، واطراد التقدم الإنساني.
- الاستعانة بنخبة من المفكرين، إضافة إلى أجهزتها الخاصة للتحرير والأبحاث والترجمة.
- إعداد خطط النشر ، والإعلان عنها: فصلياً وسنوياً ولآماد أطول.

٤ - خدماتها :

- **بنك القارئ النهم (الأول من نوعه في الوطن العربي) .**
- **تمنح جائزة سنوية للرواية ، وتكرم مؤلفيها وقراءها .**
- **ريادة في مجال النشر الألكتروني :**
  - أول موقع متجدد بالعربية لناشر عربي على الانترنت: www.fikr.com
  - موقع (فرات) لتجارة الكتب والبرامج الألكترونية : www.furat.com
  - موقع تفاعلي رائد للأطفال (عالم زمزم) : www.zamzamworld.com
- **إشراف مباشر على موقعي:**
  - الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : www.bouti.com
  - الدكتور وهبة الزحيلي: www.zuhayli.com

٥ - منشوراتها : تجاوزت مطلع عام ٢٠١٠م(٢٢٠٠) عنواناً، تغطي معظم فروع المعرفة .

٦ - جوائزها : حازت على جائزة أفضل ناشر عربي للعام ٢٠٠٢ ، من الهيئة المصرية العامة للكتاب.

نالت أربع جوائز من مؤسسة التقدم العلمي في الكويت ، عن كتبها :

- الجراحة التنظيرية ؛ مينيرو-ج وآخرين ، ٢٠٠٠م
- هروبي إلى الحرية ؛ علي عزت بيغوفتش ٢٠٠٢م
- موجز تاريخ الكون ؛ د. هاني رزق ٢٠٠٣م
- الجينوم البشري ؛ د. هاني رزق ٢٠٠٨م

للمزيد من المعلومات زوروا موقعنا على الانترنت: www.fikr.com

GLOBALISM AND ISLAM

TWO VIEWS OF THE WORLD

Al-‘Awlamah wa-al-Islām
Ru’yatān li-al-‘Ālam

Prof. Dr. Sayf al-Dīn ‘Abd al-Fattāh

- أثارت العولمة منذ ظهورها ردود أفعال ومساجلات متباينة الاتجاهات.
- ذلك لأن للعولمة نموذجاً معرفياً ورؤى خاصة تتعلق بالكون والعالم والإنسان والحياة، حاولت أن تمكنها وتروج لها باللين أحياناً وبالعنف أحياناً أخرى. مما خلق أنواعاً من التصادمات مع حضارات أخرى راسخة بالقيم والعقائد والثقافة والمعرفة.
- والإسلام برؤيته المبنية على الاختلاف والتنوع والتعدد والتعارف كان ممن تعامل مع العولمة، وتراوحت ردود أفعاله بين القبول والتسليم والرفض والتنافر.
- كل هذا يستدعينا أن نعيد النظر في العولمة ونحاول فهمها وتشريح بنيتها الفكرية والمعرفية كي نستطيع أن نتعامل معها بوعي ودراية ونستفيد منها ونطوعها لنماذجنا، ونطوع معرفتنا ورؤيتنا للعالم معها، بما يتلاءم مع العصر.

Design Behzad Ali Issa

ISBN 978-9933-10-009-4



بسم الله الرحمن الرحيم

التأصيل النظري للدراسات الحضارية

٧

العولمة والإسلام

رؤيتان للعالم

العولمة والإسلام: رؤيتان للعالم / سيف الدين عبد الفتاح؛ تحرير منى أبو الفضل ونادية محمود مصطفى .- دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩ .- ١٧٦ ص؛ ٢٥ سم. (التأصيل النظري للدراسات الحضارية؛ ٧).

١- ٣٢٧,٧ ع ب د ع ٢- ٢١٨,٤٣٢٧١ ع ب د ع
٣- العنوان ٤- أبو الفضل ٥- مصطفى ٦- السلسلة
مكتبة الأسد

التأصيل النظري للدراسات الحضارية

٧

العولمة والإسلام

رؤيتان للعالم

أ. د. سيف الدين عبدالفتاح

تحرير

أ. د. منى أبو الفضل   أ.د. نادية محمود مصطفى



آفاق معرفة متجددة



دار الفكر - دمشق - البرامكة

٣٠٠١ ٩٧ ٩٤٧ ٠٠٩٦٣

٣٠٠١ ١١ ٠٠٩٦٣

http://www.fikr.com/
e-mail:fikr@fikr.net

التأصيل النظري للدراسات الحضارية

- ٧ -

العولمة والإسلام

رؤيتان للعالم

أ. د. سيف الدين عبد الفتاح

الرقم الاصطلاحي: ٢١٥٩,٠١١

الرقم الدولي: ISBN: 978-9933-10-009-4

التصنيف الموضوعي: (٢٢٠) العلوم والدراسات السياسية

١٧٦ص، ١٧ × ٢٥ سم

الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م

المحتوى

العولمة و الإسلام
رؤيتان للعالم

✍ أ. د. سيف الدين عبد الفتاح

مقدمة تحرير المشروع

د. نادية محمود مصطفى

تأسس برنامج حوار الحضارات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في نيسان / أبريل ٢٠٠٢، استناداً إلى خطة علمية حددت دوافع هذا التأسيس وأهداف البرنامج على النحو التالي:

١- دراسة الإطار النظري لموضوع البرنامج (العلاقة بين الحضارات) لتسكينه في موقعه من المنظورات الراهنة لدراسة العلوم السياسية بفروعها المختلفة، وفي تقاطعها وارتباطها مع علوم اجتماعية أخرى. فإن تجدد الاهتمام بالأبعاد الثقافية / الحضارية، ومن ثم الأبعاد القيمية بمصادرها المختلفة (وفي قلبها الدين) يعد من أهم سمات المنظورات الغربية الراهنة، مما أوجد مساحة مشتركة مع منظورات حضارية أخرى وعلى رأسها الإسلامي.

٢- رصد وتحليل المدارس النظرية والاتجاهات الفكرية المتنوعة (القومية والليبرالية والإسلامية) في الموضوع، وتقديم ملخص جامع مقارن لأسانيد كل من هذه المدارس والاتجاهات من حيث تأصيل مفهوم الحضارة والحوار والصراع، ومن حيث تأصيلها لأصل العلاقة بين الحضارات، ومن حيث رفضها أو قبولها لفكرة حوار الحضارات، ومن حيث البدائل المطروحة لهذه الفكرة.

٣- رصد المبادرات العملية المطروحة في ساحة حوار الحضارات أو الثقافات أو الأديان - خلال العقد الماضي - وتقويم آليات تطبيق الفكرة بصفة عامة أو في مجالاتٍ نوعية وقضايا محددة؛ سواء على مستوى المنظمات الدولية أو الحكومات أو المنظمات غير الرسمية، الدولية منها والوطنية. حيث إن ملتقيات الحوار ذات مستويات متعددة، منها الرسمي ومنها غير الرسمي، ومنها العالمي ومنها ذو النطاق المحدود إقليمياً أو وفقاً للقضايا محل الاهتمام.

٤- تصميم سيناريوهات للدخول في (حوار) من جانب الدائرة المصرية أو العربية أو الإسلامية مع دوائر ثقافية أخرى، سواء إسلامية أيضاً أو تنتمي إلى حضارات أخرى غربية أو شرقية على حد سواء. ويتطلب تصميم السيناريو الواحد - وبالنظر إلى طبيعة أطرافه - تحديد قائمة وأولويات موضوعات الحوار وقضاياه انطلاقاً من متطلبات وحاجات الدائرة المعنية؛ أي العربية أو الإسلامية، في حوارها مع الدوائر الحضارية الأخرى (الأوربية، الأمريكية، الروسية، اليابانية، الصينية، الهندية..).

٥- الاهتمام بالبحث في آليات وسبل تحقيق التنسيق والتعاون بين المنظمات العربية والإسلامية التي تدير مشروعات للحوار مع (الآخر)، وعلى رأسها الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، من ناحية، وكذلك بين الدول الإسلامية الكبرى (وعلى رأسها مصر، تركية، إيران) التي تدير من خلال برامج وطنية حوارات مع (الآخر) أو فيما بينها (مثلاً الحوار العربي الإيراني، والحوار التركي العربي).

واستجابة لهذه الدوافع والأهداف، وفي ضوء متطلبات البيئة العلمية والعالمية المحيطة، التي جسدت تجدد الاهتمام بالأبعاد الدينية والثقافية والحضارية، وفي قلبها الأبعاد القيمية غير المادية للتطور البشري وللتغيرات العالمية، كان لابد لهذا البرنامج أن يؤسس أنشطة خطته الخمسية العلمية على (تأصيل نظري للعلاقة بين الدين، الثقافة، الحضارة) ليس كغاية في حد ذاته فقط، ولكن كسبيل أيضاً لتأسيس مجال للدراسات الحضارية في العلوم السياسية ينطلق من البحث في آفاق منظور حضاري، وعنه، لدراسة الظاهرة السياسية في أبعادها الداخلية والخارجية على حد سواء. كل هذا دون انقطاع أو فقدان صلة بموضوع هذا البرنامج ومحور نشاطه ألا وهو العلاقة بين الحضارات حواراً وصراعاً.

ومن ثم كان مشروع (التأصيل النظري) هو باكورة المشروعات البحثية الجماعية الممتدة التي قام عليها برنامج حوار الحضارات. ولقد استغرق تنفيذه نحو عامين ونصف العام (شباط / فبراير ٢٠٠٣ - آب / أغسطس ٢٠٠٥). ولقد حفزت المبادرة أ. د. منى أبو الفضل الرائدة في مجال الدراسات الحضارية على صعيد العلوم السياسية، والمؤسسة لمدرسة المنظور الحضاري في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة. ولقد أشرفت د. منى على إعداد ورقة عمل المشروع التي دشنت اجتماعات العمل المتطورة، كما رأست معظم هذه الاجتماعات وأدارتها بالتعاون مع أ. د. نادية مصطفى، ولقد حالت ظروف خاصة دون مشاركتها في إعداد هذا التقديم لنشر أعمال المشروع.

ولقد شارك في أعمال هذا المشروع إلى جانب الأساتذة معدي البحوث، عدد آخر من الأساتذة أثروا النقاش في الاجتماعات الدورية، وكان لهم فضل المساهمة في بلورة غايات المشروع ومخرجاته، وهم: أ.د. علا أبو زيد، نائب مدير البرنامج حينئذ، أ.د. السيد عبد المطلب غانم، أستاذ النظرية السياسية، أ.د. مصطفى منجود، أستاذ الفكر

السياسي، أ.د. عبد الغفار رشاد أستاذ النظم المقارنة. كما ساهم في بحوث المشروع - عن بعد - كل من: د. رقية العلواني، و أ.د. سيف الدين عبد الفتاح، و أ.د. حسن وجيه، كذلك ساهم في الاجتماعات وأعمال البحث المساعدة عدد من الشباب الباحثين المهتمين بالمداخل الثقافية والحضارية للعلوم السياسية، وهم: مدحت ماهر، وأماني غانم، ومروة عيسى، وأحمد خطاب، وعلاء عبد الحفيظ.

مجمل القول: كان المشروع البحثي الجماعي الممتدُّ خبرةً حية تفاعلية تبادلية، فنظراً لعدد المشاركين فيه، وامتداده الزمني، فلقد كان ساحة تفاعل وتبادل للأفكار والآراء، ومعملاً لاختبار بعض المقولات والافتراضات، أو إنضاج بعضها الآخر.

ولقد فرض موضوع المشروع - وجدَّته - هذا النمط من التفاعل، كما ساعدت حماسة الأساتذة المشاركين على جعل هذا التفاعل خبرة متميزة على صعيد الجماعة العلمية للعلوم السياسية في مصر، وفي انفتاحها على علوم أخرى مثل الدراسات الإسلامية والفلسفة والاجتماع والتاريخ وفلسفة الحضارات.

هذا ولقد تعددت مستويات التفاعل التبادلي عبر مراحل تطور المشروع، كما تنوعت - بالطبع - قضاياه وإشكالياته، وعلى نحو أسفر عن بنية محددة لبحوثه. فلقد مرَّ المشروع بخمس مراحل أساسية:

مرحلة التدشين (شباط / فبراير ٢٠٠٣ - حزيران / يونيو ٢٠٠٣)
وبدأت بإعداد ورقة عمل تمهيدية أعدتها أ.د. نادية مصطفى في ضوء جلسة عمل ابتدائية شاركت فيها أ.د. منى أبو الفضل، و د. أماني صالح، و أ.د. علا أبو زيد. وحددت هذه الورقة منطلقات المشروع، وملامح منهج العملية البحثية، ومحاور التأصيل، وموضوعات كل منها، وطبيعة المنتج النهائي.

وكان المنطلق الذي حددته ورقة العمل هو:

ضرورة الوعي بأن البحث في الدراسات الحضارية ليس غاية في حد ذاته في نطاق هذا المشروع البحثي، ولكن لابد من تسكين هذا الموضوع في إطار العلوم السياسية، مع الاستعانة بتخصصات أخرى، وعلى النحو الذي يسمح - من ناحية أخرى - بالربط بموضوع البرنامج الأساسي ألا وهو حوار الحضارات وصراعاتها. فالدراسات الحضارية المقارنة تتضمن أبعاداً متنوعة؛ أحدها أنماط العلاقة التفاعلية بين المنتمين لتلك الحضارات عبر التاريخ، والعوامل المؤثرة فيها. ولكن يظل المحك في نظرنا، كجماعة بحثية في العلوم السياسية، هو: كيف يمكن توظيف هذه الدراسات في تأصيل مجال للدراسات الحضارية في نطاق العلوم السياسية؟ وكذلك: كيف يمكن تطوير منظور دراسات حضارية لعلم السياسة ينطلق من الأبعاد الحضارية الثقافية كما تنطلق منظورات أخرى من أبعاد مادية عسكرية أو اقتصادية... إلخ؟

بعبارة أخرى؛ كان المحك في نظرنا هو الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يميز تناولنا لموضوع العلاقة بين الحضارات عن غيرنا من التخصصات؟ هل يتم ترك هذا المجال الدراسي، الدراسات الحضارية، لعلم التاريخ أو الاجتماع أو الفلسفة، أم يجب أن يصبح لعلم السياسة دور في هذا المجال؟ وكيف يمكن لهذا الدور أن يربط بين هذه التخصصات المعنية؟ ولماذا تبرز أهمية هذا الدور الآن في ظل طبيعة المرحلة الراهنة من المراجعة في حالة علم السياسة؟

ومن ثم تحدد هدف المشروع البحثي بأنه بيان كيف تكون الدراسات الحضارية مجالاً جديداً في الدراسات السياسية. وكان هذا يستلزم تصورات من متخصصي فروع العلوم السياسية الكبرى عن موضع البعد الحضاري والدراسات الحضارية من رؤى ومنظورات ونظريات هذا الفرع في المرحلة الراهنة من تطور حالة العلم، وهي المرحلة التي تشهد الجدل

حول دوافع ومبررات وأشكال الاهتمام بالبعد الحضاري الثقافي وأثره في التفاعلات السياسية؛ الداخلية منها والعالمية، وإذا ما كان هذا البعد عاملاً من العوامل المفسرة أم مجرد أداة من أدوات إدارة السياسات.

ومما لا شك فيه أن اتجاهات هذا الجدل تتشكل باختلاف الأنساق المعرفية والمنظورات. فمن رافض للعامل الحضاري ودوره؛ نظراً لانتمائه إلى مجالات معرفية أخرى غير العلوم السياسية، إلى من يرى أن منظوراً حضارياً لعلم السياسة يساعد على معالجة أكثر من أمر: مثلاً تفتت علم السياسة على نحو بدأ يشكك في وجود ما يسمى علم السياسة، في الوقت نفسه الذي انفصل فيه علم السياسة عن التاريخ والاجتماع والفلسفة.. ومن ثم فإن التأصيل للمنظور الحضاري يحقق ما يلي: إنهاء الفصل بين التاريخ والاجتماع والسياسة، والتأصيل للأنساق المعرفية المتقابلة وموقفها من صناعة العمران، حيث إن مجال الدراسات الحضارية تتقاسمه أنساق معرفية متقابلة (إسلامية ووضعية) ومداخل مختلفة (فلسفية، تاريخية).

خلاصة القول: إن المشروع وفق هذا المنطلق كان يتطلب محوراً تمهيدياً يقدم تأصيل مجال الدراسات الحضارية في فروع العلوم السياسية سعياً نحو منظور حضاري لدراسة علم السياسة.

وبعد عملية تسكين البعد الحضاري في مجال فروع العلوم السياسية، كان لابد أن تبدأ عملية التأصيل النظري. وعن منهج هذه العملية ومحاور التأصيل: فهي تنطلق من قراءة نقدية تراكمية في الأدبيات المتعلقة بالعلاقة بين الحضارات أو مجال الدراسات الحضارية من منظورات متقابلة في نطاق علم الفلسفة، التاريخ، الفكر، أو الأدبيات التي قدمت دراسة في النماذج الفكرية. وعن المحاور التي تتم في ضوئها هذه القراءة المقارنة التراكمية فهي تنقسم بين مجموعات ثلاث: المفاهيم، العلاقات والعمليات، الفواعل، وكانت كالآتي:

المجموعة الأولى وتتضمن الموضوعات التالية:

أثر الدين في الثقافة والحضارة، الفارق بين الثقافة والحضارة: أهمية الرمز الحضاري، النماذج الحضارية: قواعد التشكيل، الخصائص، الأسس.

المجموعة الثانية، من موضوعاتها ما يلي:

أنماط العلاقة بين الحضارات والثقافات (الحوار، الصراع، الصدام، التعارف، التثاقف، التسرب، النفاذية Culture filter)، مفهوم الحوار: الدوافع، الأهداف، الشروط، الآليات، الأنماط، مفهوم الصراع: الدوافع، الأهداف، الشروط، الآليات، الأنماط.

المجموعة الثالثة تطرح الموضوعات التالية:

العلاقة بين الأنا والآخر: النظريات والرؤى من أنساق معرفية متقابلة ومنظورات متقابلة (التعددية، الهيمنة)، الآخر في فكر وحركات الإصلاح في الأديان السماوية الثلاثة.

ولقد أثار مضمون بعض المحاور نقاشاً طرح بعض الإشكاليات الهامة، ومن أبرز هذه المحاور: محور العلاقة بين الأنا والآخر، فلقد طرح الأسئلة التالية:

- هل الآخر هو المختلف في الدين، أم يمكن أن يكون مشابهاً في الدين؟ هل الآخر هو المخالف في المنظور للدين كمنهج علوي أو منهج دنيوي وصناعة بشرية؟ هل الآخر هو الحضارة الغربية، والأنا هو الحضارة الإسلامية؟ ما مستوى هذا الآخر وهذه الأنا: الفرد / الجماعة (الأمة)، الاجتماعي / الديني، المعرفي / الإنساني، الكوني / المقدس؟
- ما نمط العلاقة بين الأنا والآخر: التعددي / المهيمن، الاستيعابي / الإقصائي، التراكمي / الاستعلائي؟

وأخيراً هل يجب الأخذ بهذه الثنائية (الأنا والآخر) بالرغم من أنها ثنائية استبعادية انطلقت وتأسست من فكرة هيمنة الذات الغربية على الأنا المختلف؟ أم أن هذه الثنائية القائمة الذائعة ذات الجذور القديمة تقتضي وتستلزم قراءة نقدية في ضوء دلالة الأنساق المعرفية المتقابلة مع استدعاء النماذج التاريخية التي توضح العلاقة بينهما في ظل مراحل أو عصور كل من الهيمنة الإسلامية والهيمنة الغربية؟..

وعبر أربعة أشهر استغرقتها هذه المرحلة التدشينية، توالت الاجتماعات التحضيرية (ثمانية اجتماعات) جرت خلالها مناقشة عدد من القضايا والإشكاليات المعرفية والمنهجية والنظرية، كان من أهمها ما يلي:

- أسباب الاهتمام الراهن بالمجال الحضاري في العلوم السياسية في ضوء التغيرات الرئيسية العالمية، والظواهر الجديدة التي لم تعد الإطارات الفكرية (الحداثية الوضعية) قادرة على تقديم تفسيرات كاملة لها، مما فرض تجدد الاهتمام بأساليب جديدة تعيد للجوانب القيمية غير المادية أهميتها.
- العلاقة بين الدين وبين الثقافة والحضارة.
- الفارق بين مجال الدراسات الحضارية وبين المنظور الحضاري.
- أسباب الحوار أو الصراع بين الثقافات والحضارات، ومسؤولية الأنساق المعرفية المتقابلة من ناحية، والاختلاف حول موضع العقل من العلم وموضع القيم من العقل والعلم من ناحية أخرى. وكذلك مسؤولية حالة توازن القوى بين هذه الثقافات والحضارات، ومدى تسييس العوامل الدينية - الثقافية الحضارية وأنماط توظيفها السياسي.
- موضع المشروع البحثي من خطة عمل برنامج حوار الحضارات خلال الأعوام التالية.

ولقد كانت النقاشات عبر هذه الاجتماعات التحضيرية الثمانية من الكثافة والعمق والتعدد والتنوع ما تعجز هذه السطور عن ترجمتها. ولقد أفضت إلى الاتفاق على بنية المشروع البحثي.

وتنقسم أعمال المشروع إلى سبعة محاور:

- المحور الأول بعنوان: الحوار (منطلقاته المعرفية، آلياته، أهدافه، دوافعه)، ويضم ثلاثة بحوث هي؛ (النظرية الاجتماعية المعاصرة: نحو طرح توحيدي في أصول التنظير ودواعي البديل) للدكتورة منى أبو الفضل، (أسلوب الحوار، الدوافع، الأهداف، والشروط والآليات والأنماط) للدكتورة أميمة عبود، (أنماط تنقل الأفكار وآلياتها بين التفاعل والأسباب: دراسة حالة العلاقة بين عالم الغرب وعالم المسلمين) للدكتور سليمان الخطيب.
- المحور الثاني بعنوان (مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية)، ويضم خمسة بحوث هي؛ (مفهوم الآخر لدى الجماعات اليهودية الحديثة) للدكتورة رقية العلواني، (مفهوم الآخر في الأديان التوحيدية) و (مفهوم الآخر في المسيحية الكاثوليكية) للأب الدكتور كريستيان فان نسبن، (مفهوم الآخر في المسيحية المصرية) للأستاذ سمير مرقس، (المسيحية الإنجيلية (البروتستانتية) والموقف من الآخر) للقس الدكتور إكرام لمعي.
- المحور الثالث يتناول (الأنا والآخر من منظور قرآني) في بحث للدكتور سيد عمر.
- المحور الرابع بعنوان: (الثقافة والحضارة، مقاربة بين الفكرين الغربي والإسلامي)، ويضم بحثي (الثقافة والحضارة من منظور إسلامي) للدكتور فوزي خليل، و (الثقافة والحضارة والدين، مقاربة للمفاهيم في الفكر الغربي) للأستاذ فؤاد السعيد.

- المحور الخامس بعنوان (العلاقات الدولية، البعد الديني والحضاري)، ويضم بحثي (البعد الديني في دراسة العلاقات الدولية) للدكتور عبد الخبير عطا، و (توظيف المفاهيم الحضارية في التحليل السياسي: الأمة كمستوى لتحليل العلاقات الدولية) للدكتورة أماني صالح.
- المحور السادس يضم بحثاً بعنوان (حوار الثقافات، إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة) للدكتور حسن وجيه.
- وأخيراً المحور السابع يضم بحثاً بعنوان (العولمة والإسلام رؤيتان للعالم) للدكتور سيف الدين عبد الفتاح.

كما أفضت الاجتماعات التحضيرية إلى الاتفاق أيضاً على أهداف وغايات المشروع، وعلى المنهاجية العامة لتأكيد الرابطة بين المشروع البحثي وبين قضية أنماط العلاقة بين الحضارات من واقع متطلبات اللحظة التاريخية الراهنة، سواء لأغراض عملية سياسية (تتصل بالعلاقة بين الغرب وعالم المسلمين) من ناحية، أو لأغراض معرفية وفكرية (تتصل بعمليات المراجعة الراهنة في النموذج المعرفي للعلوم الاجتماعية والإنسانية القائمة على مشروع الحداثة والعلمانية والوضعية) من ناحية أخرى.

من أهم القواعد العامة عن أبعاد المشروع وغاياته:

ضرورة الوعي بالعلاقة بين دوائر ثلاث للبعد الحضاري، ووضعه على صعيد كل منها:

- الدائرة الأولى؛ تثير وضع البعد الحضاري / الثقافي في العلوم الاجتماعية بصفة عامة، والعلوم السياسية بصفة خاصة، سواء على نطاق محدود أم على نطاق واسع يرسم خريطة متكاملة الأبعاد لهذا الوضع.

- الدائرة الثانية؛ تثير قضية تأصيل مجال الدراسات الحضارية، وتطوير منظور حضاري للعلوم السياسية.
- الدائرة الثالثة؛ تثير وضع الاهتمام بالبعد الحضاري لعلاقته بمجال أو موضوع حوار الحضارات أساساً.

هذا وقد حددت د. منى أبو الفضل العلاقة بين هذه الدوائر على النحو التالي:

«والتحدي ليس هو التسكين للدراسات الحضارية في حقل العلوم السياسية، ولكن تطوير منظور العلوم السياسية ذاته انطلاقاً من أهمية البعد الحضاري الآن. وهذا يرتبط بمراجعة الحقل من منظور حضاري. وهذه المراجعة ليست مستحدثة تماماً؛ لأن هناك تقاليد سابقة قدمها أ. د. حامد ربيع. إذن لدينا أسس للبناء عليها، وهي أسس أصيلة، وهي استجابة لتحدي مسار الوضعية الذي اتسمت به المدرسة الأمريكية، في حين أن أ. د. حامد ربيع نبت في أحضان الحضارة الأوربية حيث الحس الحضاري، واكتشف الإسلام الحضاري خلال دراسته في الأديرة الإيطالية... وبعد مجال النظرية والفكر مع د. حامد ربيع جاء دور النظم مع إسهام منى أبو الفضل في التعامل مع النظم العربية من منطلق حضاري وليس من منطلق المصادر الأمريكية. إذن لدراسة السياسة لدينا أصول للنظرية والمنهاجية تمت ممارستها على التوالي من فرع إلى فرع وصولاً إلى العلاقات الدولية. وكان مولد المنظور الحضاري للعلاقات الدولية عند هنتنجتون، وهو تطور لجذور فكره في مجال النظم المقارنة، حيث استبطن موضوع موضع الدين من التكوين الثقافي وأثره في النظم الديمقراطية...

إذن اهتمامنا ليس تلمس البعد الحضاري والمنظور الحضاري لدى الغرب فقط؛ ولكن تطوير منظورنا الحضاري في هذا المجال، لأن البعد الحضاري موجود سابقاً، ولكنه كان مستبطناً (implicit) في المنظور الغربي

وفي خلفيته، ثم بدأ يبرز ويتجدد الاهتمام به. فلقد كانت العلوم السياسية متأخرة في إدراك البعد الحضاري بالمقارنة مع حقول معرفية أخرى.

حينما أتحدث عن المنظور الحضاري لا أقصد الإسلامي فقط ولا أبدأ بالإسلامي، ولكن أبدأ بالوعي بالبعد الحضاري، وحين البحث فيه أصل إلى الإسلامي مقارناً بغيره. وقد يكون المدخل مادياً حضارياً وليس بالضرورة الديني فقط. وهو موجود بالغرب ويعبر عنه بمداخل عديدة، ولكنه لدينا يعبر عن مفترق طريق. ومن هنا تأتي أهمية التأصيل لمنظور حضاري من الإسلام أو غيره، وهو ليس تأصيلاً للإسلام والمسلمين ولكن للعالمين».

وعن وضع المشروع البحثي في نطاق الخطة العلمية لبرنامج حوار الحضارات، وعلاقته بوضع البعد الحضاري في العلوم السياسية والاجتماعية من ناحية، وبمنظور حضاري للعلوم السياسية من ناحية أخرى، حددت د. نادية مصطفى النقاط التالية:

١- إن غاية المشروع هي التأصيل النظري للعلاقة بين الثقافة والحضارة والدين على النحو الذي يخدم دراسات حوار الحضارات، حيث تتداخل المفاهيم ولا تتضح الأطر النظرية.

٢- هذه الغاية تنطلق من العلوم السياسية، ومن ثم كان لابد من التساؤل عن وضع البعد الحضاري بصفة عامة من دراسة العلوم السياسية، بحثاً عن وضع مجال حوار الحضارات في الدراسات السياسية المعاصرة وفهماً له.

٣- وحيث إن البعد الحضاري قائم في مجالات معرفية أخرى، وحيث تتقاطع الحدود بين هذه المجالات وبين مجال العلوم السياسية في مرحلة تعالت فيها الدعوات إلى التعاون بين العلوم، فلا بد من الاستعانة بالتأصيلات النظرية عن الموضوع التي قدمتها هذه العلوم.

٤- الاهتمام بوضع البعد الحضاري في العلوم السياسية والاجتماعية لا يعني البحث عن منظور حضاري إسلامي فقط، لأن البعد الحضاري قائمٌ الاهتمام به - ولو بمعانٍ مختلفة - لدى التيارات والاتجاهات المتنوعة. ومن ثم فإن التأصيل النظري المطلوب سيكون من منظورات مقارنة، وليس من منظور حضاري إسلامي فقط.

٥- لا يمكن أن نظل - على صعيد المنظور الحضاري الإسلامي - مكتفين بالدعوة إلى أهميته وضرورته، ولكن يجب أن نمتد إلى أبعد من ذلك. ومن ثم فإن التأصيل النظري للعلاقة بين الحضارة والثقافة والدين سيكون ساحة أساسية لبلورة إسهام المنظور الحضاري الإسلامي في هذا المجال، ومن ثم يكون هو دعامة من دعامات مجال الدراسات الحضارية، ويصبح ذلك المجال بدوره نتاج ومحصلة عمليات عديدة.

المنهاجية العامة

- أهمية الدراسات المنهاجية المقارنة على المستويات التالية: الأنساق المعرفية، منظورات العلوم الاجتماعية، الأديان والحضارات.

- التمييز بين الدراسات النظرية والفكرية والتاريخية ضروري لتسهيل العملية البحثية، ولكن دون قطع الصلة بين هذه المجالات.

- التمييز بين مستوى الأبستمولوجية، ومستوى القضايا، ومستوى العمليات، ومستوى المفاهيم.

- غاية المشروع ليست مجرد القراءة في الاتجاهات المقارنة حول موضوعاته التي تقدمها الدراسات الحضارية المتنوعة، ولكن

الغاية أبعد من ذلك، وتمتد نحو الاجتهاد لتأسيس مجال دراسات حضارية في نطاق العلوم السياسية.

ليست القضية قضية في مجال اجتماع أو تاريخ أو فلسفة فقط، ولكن هناك مجال دراسات حضارية في حد ذاته وله مداخل مختلفة تعبر عنها مصادر أساسية في كتب الحضارات، حيث لكل منها مدخل خاص يخدم الدراسات السياسية، كما هناك مصادر في العلوم السياسية من مداخل حضارية. بعبارة أخرى هناك مجال دراسات حضارية يمكن تأسيسه من تقاطعات مصادر مختلفة، سواء في العلوم الاجتماعية أم كتب الحضارات.

ومع الاعتراف بأن مجال الدراسات الحضارية مجال تصب وتتقاطع عنده الأبعاد الحضارية في العلوم الاجتماعية المختلفة، ويجمع بين منظورات متنوعة، إلا أنه يظل للإمكانيات الزمنية والبشرية والمادية للمشروع تأثيرها الذي يدفع إلى ضرورة التمييز بين مشروع بحثي يكون نواة في تأسيس مجال الدراسات الحضارية، وبين مجال الدراسات الحضارية ذاته.

ولذا فإن على برنامج حوار الحضارات الاهتمام بمشروعات ثلاثة: النظرية، النماذج الفكرية، النماذج التاريخية؛ فهي خطوات تدريجية في نطاق بناء هذا المجال.

- الحذر من اعتماد المنهج الوصفي فقط، والسعي لاكتشاف طبيعة المنظومات المعرفية المتفاعلة، وأثرها في موضوعات وقضايا حوار الحضارات والثقافات.
- إن التعامل مع الأدبيات الكبرى في مجال الفكر والدراسات الحضارية، ليس هدفاً في حد ذاته، ولكن يجب كسر الحلقة المفرغة من خلال عملية استحضار النموذج المعياري خلال القراءة والاكتشاف للنماذج الفكرية للكتب التي نتعامل معها، وبذا لا نقدم رصداً ووصفاً لفكرة فقط، ولكن نقدم استخلاصاً

ودلالة لما يقدمه فكر ما من أدلة عن المنظومة التي ينتمي إليها معرفياً، إذن هذا الفكر ليس مرجعية، ولكنه ساحة وسبيل لاكتشاف حقيقته من خلال استكشاف Western intellectual tradition في مقابل النسق التوحيدي. وكل هذا يخدم ويساعد الحوار الجاري الآن، واكتشاف القواسم المشتركة بين المنتمين إلى حضارات مختلفة، في محاولة للالتقاء حول قيم، والبحث عن الجذري في التقاليد الغربية وأبرزها، وتبين مدى قربها أو بعدها عن النسق التوحيدي، وبذا نقوم بتفكيك الفكر الغربي والأنماط المعرفية الغربية.

هكذا حددت د. منى أبو الفضل، في معظم الحالات، وكذلك د. نادية مصطفى القواعد المنهاجية العامة التي تفك الاشتباك بين مجال دراسات حضارية، وبين منظور حضاري، وبين حوار الحضارات.

ولذا كان من المنطقي أن يبدأ هيكل المشروع البحثي بالمنطلقات المعرفية للحوار، التي قدمتها دراسة مستخلصة من دراسة جامعة شاملة أعدتها د. منى أبو الفضل، في بداية التسعينات مؤسسة فيها لمنطلق أساسي في مجال الدراسات الحضارية المقارنة، ألا وهو (الأنساق المعرفية المتقابلة).

المرحلة الثانية من المشروع هي مرحلة إعداد خطط البحوث ومناقشتها جماعياً (تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٣ - كانون الثاني / يناير ٢٠٠٤).

فلقد جرت خلال أشهر ثلاثةٍ أربعةُ اجتماعات لمناقشة هذه الخطط، تم خلالها اختبار مدى تحقق غايات المشروع وأهدافه، ومدى إمكانية تطبيق القواعد المنهاجية العامة، ومدى الاتساق بين موضوعات كل محور، ومدى التماسك في بنية المشروع بأكمله، كما تم خلال هذه المناقشات معالجة منهاجية كل دراسة، وكيفية استعانتها بالمصادر

المتنوعة، وكيفية رسم خرائط الأفكار وتقديم رؤى نقدية ورؤى بنائية تستجيب لغايات المشروع وأهدافه.

هذا، ولقد شهدت المرحلة الثانية جهداً بحثياً موازياً ومكملاً؛ ألا وهو الجهد الخاص بإعداد قائمة إصدارات في مجال الدراسات الحضارية، وفق مفاتيح البحث للتأصيل النظري التالية: الحضارة وفلسفتها، مفكرون كتبوا عن الحضارة، الحضارة الإسلامية، فلسفة التاريخ، حوار الحضارات.

المرحلة الثالثة من المشروع هي مرحلة إعداد البحوث، واستغرقت ستة أشهر حتى حزيران / يونيو ٢٠٠٤.

وتمثلت المرحلة الرابعة في ندوة جماعية تم عقدها في أيلول / سبتمبر ٢٠٠٤. ولقد اقتصرت على الأساتذة معدي البحوث (باستثناء د. رقية العلواني، وكذلك د. حسن وجيه و د. سيف الدين عبد الفتاح) حيث جرى عرض كل بحث ومناقشة هيكله ومضمونه ونتائجه، واستغرقت الندوة ثلاثة أيام مثلت حواراً معمقاً بين أعضاء فريق البحث، وخاصة حول البحوث الخمسة المتصلة بالرؤى ذات المصادر الدينية، اليهودية المسيحية والإسلامية، عن العلاقة بين الذات والآخر.

وفي حين كان من المقرر أن يتم تقديم ثلاثة بحوث حول البعد الحضاري في فروع العلوم السياسية، العلاقات الدولية، الفكر السياسي، النظم المقارنة، فإنه لم يستطع كل من د. عبد الغفار رشاد، و د. مصطفى منجود - لظروف خاصة - تقديم بحوثهما في مجالي النظم والفكر، على التوالي.

أما المرحلة الخامسة فلقد استغرقت بدورها ما يقرب من الأشهر الستة لإعداد الصيغ النهائية للدراسات، بحيث تم في صيف ٢٠٠٥ استلام جميع البحوث.

وأخيراً جرت عملية التحرير والمراجعة الفنية والعلمية للمشروع خلال الأشهر الأخيرة من عام ٢٠٠٥.

وإذا لم يكن بمقدور السطور السابقة أن تلخص حجم ونوعية النقاشات التي شهدتها المرحلتان الثانية والرابعة من المشروع، وإذا كان من الممكن القول: إن البحوث في مجموعها تمثل تراكماً نوعياً لم يسبقه - في حدود علمنا (في دائرة النشر العربية) - مجهود جماعي مناظر في هذا المجال، وبالرغم من إمكانية الاشتباك المعرفي أو الفكري أو المنهاجي مع بعض البحوث من حيث مدى مراعاتها للقواعد المنهاجية العامة، وبالرغم من إمكانية الاشتباك أيضاً مع منطلقات المشروع في مجمله؛ فإنه يمكن القول إن هذا المشروع كان تأسيساً لا غنى عنه لبرنامج حوار الحضارات.

حقيقة استغرق تنفيذه ثم إعداده للنشر ثم الاتفاق على نشره، وقتاً أطول بكثير مما كان مفترضاً له، إلا أن مخرجاته المعرفية والفكرية انعكست على مسار أنشطة برنامج حوار الحضارات وعلى خريطة بحوثه وملتقياته: في مفهوم الحضاري، جدالات حوار صراع الحضارات في ظل العولمة، الخصوصية الثقافية، اللغة والهوية وحوار الحضارات، مسارات وخبرات في حوار الحضارات، العلاقة بين الديني والمدني والسياسي، الأمة وأزمة الثقافة والتنمية، أوربة وإدارة حوار الثقافات الأورومتوسطية، الدبلوماسية العامة للولايات المتحدة تجاه العالم الإسلامي.. إلخ[1].

فمما لا شك فيه أن تأصيل العلاقة بين الدين، الثقافة، الحضارة من منظور الأنساق المعرفية المتقابلة، يمثل المنطلق سعياً نحو فهم وإدراك

---

(١) انظر قائمة أنشطة البرنامج وإصداراته (٢٠٠٢ - ٢٠٠٧) على موقعه www.hewaronline.net.

آليات ومسارات وجدالات حوار / صراع الثقافات والحضارات، وفي قلبها العلاقة بين العرب والعالم الإسلامي.

ومن ناحية أخرى فإن هذا المشروع البحثي التأصيلي إنما يمثل حلقة تستوجب استكمالها بحلقات أخرى من التأصيل النظري أيضاً. ومن ثم فإن البرنامج يخطط لمشروع يأتي عن التحليل الثقافي سيقوم على تنفيذه في خطته العلمية الخمسية الثانية (٢٠٠٧)، وبعد أن اتخذ البرنامج اسماً آخر وهو (برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات).

أخيراً، أقدم شكري وتقديري لنخبة الأساتذة الذين شاركوا في أعمال هذا المشروع على عظيم تعاونهم خلال مراحل إعداد المشروع، وعلى عظيم اهتمامهم به ودعمهم له. ويجدر توجيه الشكر أيضاً لمن يرجع إليهم فضل آخر في إخراج هذا المشروع. وأبدأ بشكر أ. د. جابر العلواني رئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية في فرجينيا؛ على مساعدته المادية والمعنوية لتنفيذ هذا المشروع وفق بروتوكول تعاون بين الجامعة التي يرأسها وبين برنامج حوار الحضارات.

كذلك أشكر أ. مدحت ماهر باحث العلوم السياسية، وطالب الدراسات العليا، المتميز؛ على قيامه بأعمال تحرير البحوث والمتابعة الفنية والعلمية مع الأساتذة الباحثين، حتى تقديم الصيغ النهائية لدراستهم. كما أقدم شكري للأستاذة علياء وجدي منسقة المشروعات في البرنامج، التي تولت تنسيق المشروع فنياً وإدارياً ومالياً في مراحله المتعاقبة.

وفي النهاية شكر خاص للأستاذ عدنان سالم مدير دار الفكر في دمشق، الذي تحمس لنشر أعمال هذا المشروع الضخم على نحو لم يتحقق من دور نشر أخرى. حيث كان لا بد لمثل هذا المشروع أن تتعهده دارٌ ذات أفق فكري رحب. ولقد استغرق الاتفاق على النشر قرابة ستة

أشهر، وكانت محصلة هذا الاتفاق نشر أعمال المشروع في سلسلة كتب منفصلة، بحيث تتضمن معظم الكتب بحوثاً ومحاور محددة، كما تتضمن بعض الكتب بحثاً واحداً أو أكثر من أحد المحاور.. ولقد وافق برنامج حوار الحضارات على هذا النمط من النشر المتسلسل تسهيلاً على القارئ، إلا أن المقدمة الجامعة للمشروع، والفهرس التفصيلي له في كل كتاب يحققان الربط بين أجزاء المشروع، حيث إنه يمثل بنية متكاملة، تقدم في حد ذاتها رؤية - من بين عدة رؤى - عن كيفية الاقتراب من تأصيل الدراسات الحضارية انطلاقاً من العلوم السياسية وغيرها.

والحمد لله

د. نادية محمود مصطفى

مدير برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات

(حوار الحضارات سابقاً)

القاهرة تشرين الثاني، نوفمبر ٢٠٠٧

العولمة و الإسلام
رؤيتان للعالم

قراءة معرفية و منهجية

أ. د. سيف الدين عبد الفتاح

أستاذ العلوم السياسية - جامعة القاهرة

مقدمة

في كل مرة يبرز مفهوم جديد يُستدعى الإسلام للارتباط به، الحداثة والإسلام، والتحديث والإسلام، والإسلام والتنمية، والإسلام والغرب[1]، والإسلام وحوار الحضارات وصدامها، وأخيراً يأتي مفهوم العولمة؛ وكما هي الحال مع مفاهيم العلاقات السابقة استدعي الإسلام، وبرزت تأليفات أو ندوات حول الإسلام والعولمة، إلا أنه في كل مرة تُستدعى هذه العلاقات، ربما ينشأ جدل يتسم في معظمه بعدم تحديد أصول العلاقة أو مستوياتها وأهم إشكالاتها، ومن غير تحديد مهم لطرفي العلاقة تحديداً يحرر المسألة ويحقق أصول التعامل المعرفي الشامل من جهة، والتعامل المنهجي من جهة أخرى.

ومن هنا كان الاختيار للعلاقة بين الإسلام والعولمة ولكن في جانبها المعرفي والمنهجي ضمن قراءة تحدد مستوى هذه العلاقة قبل الخوض فيها وفي إشكالاتها.

---

(١) انظر في إطار هذه العلاقات التي شاعت وضرورة الدراسة المنهجية لها: سيف الدين عبد الفتاح: الإسلام والتنمية - إشكالات ومقاربات مراجعات وتطبيقات مع إشارة لنماذج آسيوية، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مركز الدراسات الآسيوية، ١٩٩٩.

نحن هنا أمام الإسلام بما يفرزه من رؤية للعالم[(١)]، وبما يسهم به في

(١) مفهوم رؤية العالم من الكلمات التي ذاعت في اللغة الألمانية Weltanschauung وهو تعبير قديم نسبياً إلا أنه يرتبط دوماً بتجليات جديدة، خاصة ضمن الأنساق الحضارية التي تملك ميلاً حضارياً عالمياً، ومن هنا كان الارتباط بين مفهومي رؤية العالم والعولمة، انظر في هذا المقام: د. أحمد أبو زيد (إشراف): رؤية العالم، تمهيدات نظرية، القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، برنامج بحوث السياسات الاجتماعية، ١٩٩٣.

ولقد نجم عن التوسع في استخدام مفهوم رؤية العالم "أن ظهرت مصطلحات أخرى تتداخل معانيها مع ذلك المفهوم أو تستخدم المعنى نفسه ومن هذه المصطلحات: نظرة أو رؤية Vision وصورة Image، وتوجه معرفي Cognitive Orientation، ورؤية معرفية Cognitive vision، ومنظور رؤية العالم Worldview Perspective، ومبادئ متضمنة Implicit Premises، وافتراضات أساسية Basic Assumptions، وروح الثقافة Ethics، وخرائط معرفة Cognitive Maps، ونحو ذلك، ومن هنا فإن رؤية العالم قد تشير إلى الأنساق الإدراكية، والرمزية، فضلاً عن العقيدة وأنساق المعرفة، والقيم، والثقافة، والفكر والتفكير.

ومن هنا فإن تأكيد بولدنج في كتاب The Image لأهم الأبعاد والحقائق النظرية لمفهوم رؤية العالم، والتي يمكن إجمالها في الصورة المكانية Spatial Image، الصورة الزمنية Temporal Image، والصورة العلامية Relational Image، الصورة الشخصية المتعلقة بالأشخاص والأدوار والنظم التي تحيط بها Personal Image، وصورة القيمة Value Image، الصورة الوجدانية Affectional Image، ومن ثم هو ينطلق من خلال هذه العناصر إلى تصنيف الصورة ذاتها من حيث هي مقسمة إلى جوانب شعورية أو لا شعورية أو دون شعورية، أو الصورة منظوراً إليها من خلال بُعد اليقين وعدم اليقين والوضوح والغموض، والصورة منظوراً إليها من خلال بعد الواقعية أو عدم الواقعية، ومدى اتفاق رؤية العالم أو الصورة الذهنية مع بعض جوانب العالم الخارجي كما هي عليه في الواقع. الصورة منظوراً إليها من خلال بعد الخصوصية أو العمومية، ورؤية العالم كرؤية فردية ذاتية أو شخصية أو جمعية؛ فالرابطة الأساسية لأي مجتمع أو ثقافة أو ثقافة فرعية أو حضارة أو نظام هي الصورة العامة Public Image التي تشير إلى الخصائص الجوهرية لرؤية العالم، أو الصورة العامة التي يشترك فيها أفراد ذلك المجتمع.

كما يرتبط ذلك بتصور الذات وأدوارها، والآخر وعلاقاته وإدراكات العلاقات
=

تقديم "نموذج معرفي إرشادي"(١)، وأمام العولمة التي تفرز رؤية للعالم ونموذجاً معرفياً تنمو فيه وتستند إليه.

= معه. فتصور رؤية العالم له أهمية كامنة في معالجة مشكلة المعنى لارتباطه الوثيق بها. فمن خلال تصور (رؤية العالم) يمكن التعرف على الحلول التي تقدمها الثقافة لمشكل المعنى "المتعلق بجوانب متعددة من حياة الإنسان، وأهمية تصور رؤية العالم" هنا تتمثل في أنه يجعل في (الذات) محوراً أساسياً في عملية بناء وتبني التصورات الأخرى المتعلقة بالكون والمكان والزمان ونحو ذلك. وهناك بعد آخر هام وهو أنه من خلال تصور رؤية العالم فإن الذات لا تدرس بمعزل عن الآخرين سواء أكانوا بشراً أم غير بشر.

وطبقاً لآراء ديلتاي تتكون رؤية العالم من العناصر أو المكونات التالية: (صورة العالمWorld Picture) (نماذج الحياة Ideals of Life) (خبرة الحياة Experience of life) وطبقاً لتمييز رابا بورت بين خمسة مستويات من التصورات والمفهومات التي تؤلف رؤية العالم لدى تلك الجماعة، هذه التصورات تشمل المسلمات المطلقة Ultimate Sacred Postulates وهي تشير إلى القضايا والمسلمات الدينية، الافتراضات الكونية Cosmological Assumptions، القواعد الأخلاقية والقيمية Values، الشروط المادية والاجتماعية المتضمنة والسائدة في الحياة اليومية، والمعرفة اليومية التي تتعلق بطريقة الحياة Way of Life .

- فلسفة الحضارة ورؤية العالم انظر:

ألبرت اشفيتسر: فلسفة الحضارة، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد والقومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، د. ت. وهذه الدراسة المبكرة التي أنتجها مؤلفها ١٩٢٣ ما زالت دالة في هذا المقام.

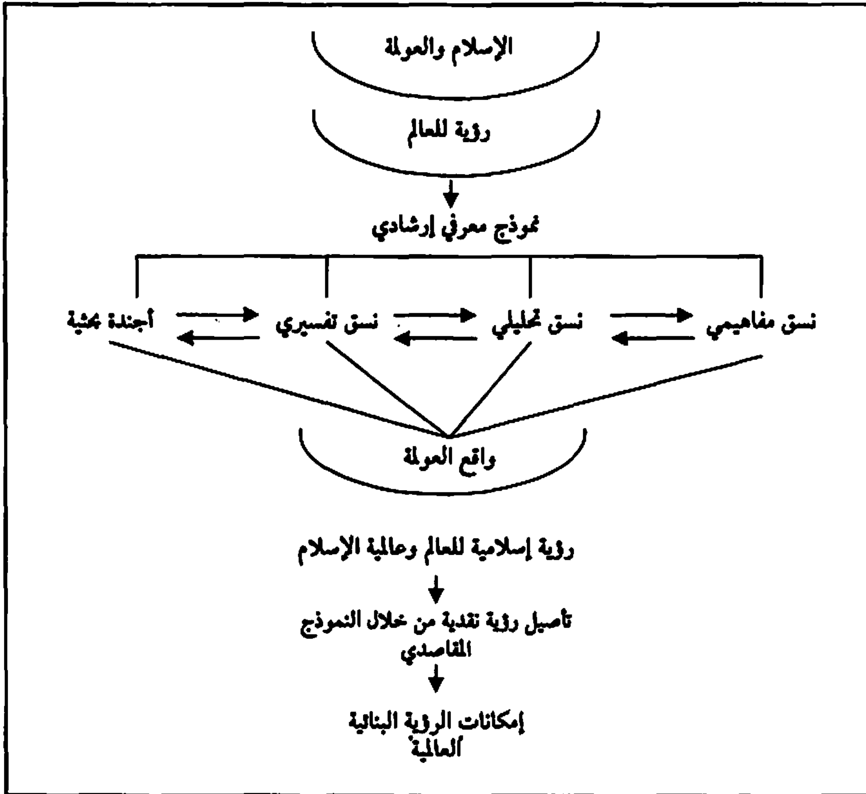
- انظر أيضاً في إطار رؤى العالم:

Ahmet Davutaglu, Alternative Paradigms: The Impact of Islamic and Western Weltanschauungs on Political Theory, Maryland Univ. Press of America, 1994.

انظر خاصة النموذج الغربي، والنموذج الإسلامي والنتائج المترتبة عليهما، انظر (Ch. 2&3).

(١) انظر:

Thomas Kuhn, The Structure of Scientific Revolution 2nd ed., Chicago: Chicago Univ. Press, 1970, pp.10-22.

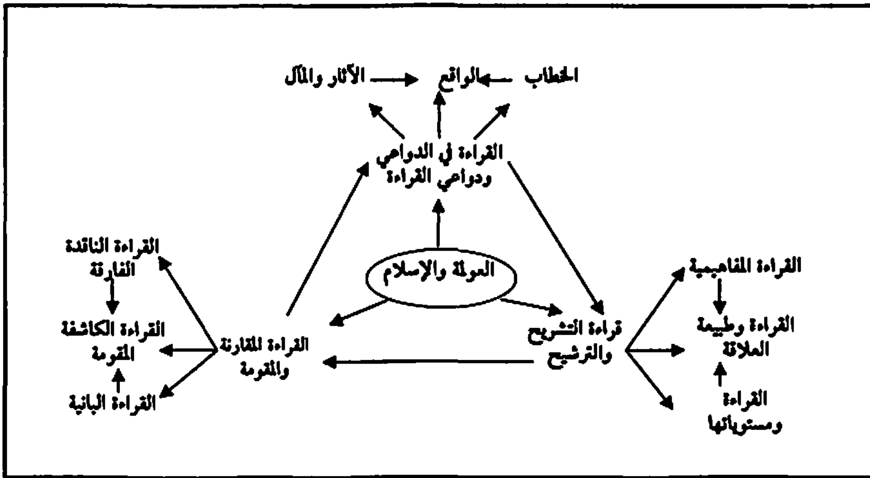


من هنا كان علينا أن نحدد هذه العلاقة في إطار قراءة مركبة تتضمن قراءات ثلاثاً أساسية، تشتق منها قراءات أخرى متنوعة، القراءات الثلاث:

الأولى القراءة في الدواعي ودواعي القراءة.

الثانية قراءة التشريح والترشيح.

الثالثة القراءة المقارنة والناقدة كمقدمة لإعادة البناء أو التأسيس.



تكامل هذه القراءات، وإبراز بعض نماذج لها، من الأهمية بمكان، لأنها لا تقدم على التركيز على الراهن فقط أو عملية تكونه، ولا تتعرض لدراسة الجزئي وإهمال الرؤية الكلية والشاملة، والوقوف على الفروع دون نظمها أو تنسيبها لأصل، والتركيز على الظاهر دون النفاذ للعمق، والتعامل مع الأعراض والمظاهر وعدم البحث عن العوامل الفاعلة والفاصلة، والتركيز ضمن اختلال عناصر الإدراك والقصور على الهامشي لا الأساسي والمفصلي، بل إنها قراءة تحاول البحث في شمول هذه العلاقة ومستويات دراساتها، وما يفرضه ذلك من التعرف على مجموعة الأنساق في تفاعلها (المعرفية، والعقدية، القيمية، الثقافية، والحضارية على وجه العموم) (والتعرف على عناصر المفهوم تشريحاً؛ البحث في خريطة عناصره والعمليات المرتبطة به والعلاقات والوسط وغير ذلك من أمور..)، (والتعرف على طبيعة العلاقة وإشكالاتها وأشكالها) (والقدرة على استدعاء قراءة مقارنة بحكم العلاقة بين العولمة والإسلام وما يتعلق به من ظواهر ومستويات وتجليات)، قراءة تتواصل مع معاني القراءة المقارنة في إطار قراءة ناقدة فارقة كاشفة بما تؤكده عناصر الأنساق

الحضارية المختلفة، وما يقتضيه ذلك من استناداتها إلى رؤى (عالم) متنوعة، وما يتركه ذلك من معالم رؤية بنائية لا تتوقف عند حدود النقد أو التقويم.

من المهم أن نؤكد أن دراسة العلاقة بين العولمة والإسلام لا تستوعبها دراسة مثل هذه، ولكن غاية أمر هذه الدراسة أن تحدد الشكل الذي يجب أن تقوم عليه الدارسة معرفياً بما تثيره العلاقة من إشكالات جوهرية، ومنهاجياً بحيث تحدد العلاقة بين مناهج النظر للعلاقة ومناهج العامل والتناول.

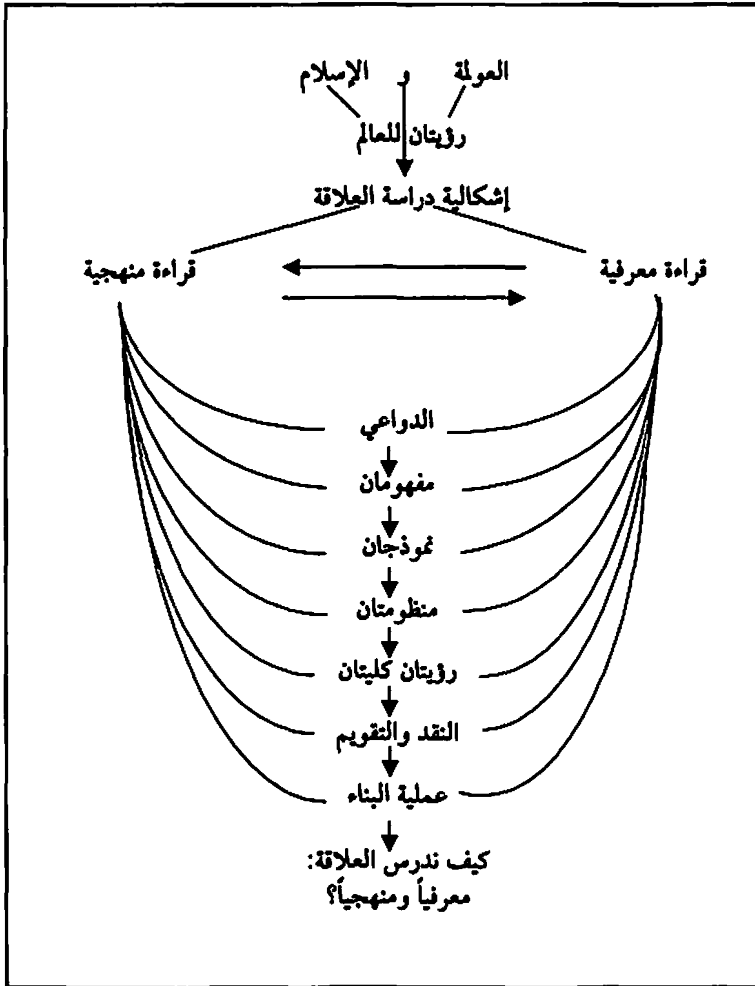
ومن هنا فإن التعرض المعرفي والمنهجي من الجوانب المهمة التي لم تكن أساسية في الخطاب العربي والإسلامي حول العولمة، بل اتجهت توجهات الخطاب نحو المواقف مباشرة من غير الوقوف على هذا الجانب المعرفي والمنهجي، وتأثير هذا الجانب فيما عداه من جوانب من المهم أن نؤكد أنها تتلوه لا تسبقه.

وفي هذا المقام؛ وبما تمثله العولمة من كونها (رؤية ومفهوماً ونموذجاً ومنظومة) فإنها قبل كل ذلك (عملية)، بينما النظر إلى الإسلام يمكن أن يكون على مستوى الأوصاف الأولى من دون الحديث عنه بوصفه عملية، إلا في منظوره التاريخي. إلا أن الغرب وبما يحمله من مشروع العولمة على تفاوت بين أركانه وعمده، وعلى تفاوت بين حجم الإدراكات لا أصل التصورات؛ يرغب، وبشكل لا منهجي، في تصور الإسلام عملية من دون أدنى تمييز بين الإسلام وعالم المسلمين.

ومن هنا فإن الأساس في منهج النظر يكون بتجديد الإشكالات الجوهرية بتحديد الدواعي المؤكدة على العلاقة بينهما (مفهومان، ونموذجان، ومنظومتان، ورؤيتان كليتان) إنها تكمل عناصر رؤية العالم، في إطار مقارن نقدي وبنائي في آن واحد. ومن ثم فإن الابتداء بأصول

منهج النظر يوجب الانتقال إلى الكيفية التي تقوم بدراسة هذه العلاقة معرفياً ومنهجياً (مناهج التعامل والتناول).

العولمة و الإسلام
رؤيتان للعالم
قراءة معرفية ومنهجية



المستوى الأول

القراءة في الدواعي ودواعي القراءة؛ معرفياً ومنهجياً: خطاب السجال والانفعال والافتعال

❖ علم كلام العولمة/ علم عمل العولمة/ خطاب السجال

في إطار الاهتمام بموضوع (العولمة) بوصفه واحداً من الموضوعات التي فرضت نفسها على الساحتين الإعلامية والعلمية، فضلاً عن الساحة الثقافية التي امتلأت بندوات ومؤتمرات ومساجلات حول العولمة، وفي سياق الخطاب الذي شاع وذاع خصوصاً في الفترة الأخيرة، وما يمثله المفهوم والموضوع من حالة نموذجية لأعراض برج بابل التي تشير إلى فوضى الفهم وحدية المواقف، أسطورة برج بابل التي تشير إلى بلبلة الألسن حتى لو تحدث الناس لغة واحدة. يذكرني كل هذا بقصة (جدل بيزنطة) التي ظل أهلها يلبون ويتجادلون في مسألة لا طائل من البحث فيها، والعدو على أبوابهم، فدخل في غفلة تنازعهم على لاشيء أو ما لا طائل من ورائه. كما يذكرني هنا بمناقشات كلامية اتسم بها علم الكلام في مرحلته المتأخرة، حينما تحول عن وظيفته الأصلية في مواجهة (الزنادقة) إلى مساجلات تنازعية لا تورث إلا الفشل بين المسلمين أنفسهم، ويذكرني ذلك أخيراً بنمط مواقفنا في خَطابيّتنا حول قضايا تمس

الكيان والبنيان، بنمط التأليف التقليدي والنظم الشعري التي تحاكي عناصر مضى أوانها ضمن أغراض شعرية أساسية، ويدت العولمة موضوعاً لكل هؤلاء يتقدم إليه كل شاعر فيما يحسنه من غرض، فهذا يتناول العولمة ضمن أغراض (المدح) التي تبالغ في مدح العولمة إلى الحد الذي تضفي فيه صفات عليها ليست فيها؛ بل ربما تحمل داخلها نقيض ذلك، وفي مقابل ذلك يتصدر كل من يحسن أغراض الهجاء الشعرية التي تحوّل أدنى الخلاف إلى حالة من الخصومة التي لا تندمل ولا تستدرك، إنه غرض يتأسس على الإسقاط، فهو لا يشعر بقوة الذات إلا عبر هجاء الخصم، ويتأجج الخلاف الصغير حتى يتحول إلى عناصر قتالية مستطيرة. تتكامل الصورة بغرض شعري آخر وهو الفخر والزهو في إطار بوجه العولمة بمبالغات في تضخيم الذات، ولا بأس بغرض الغزل الصريح والعفيف في العولمة، فحبك للشيء يعمي ويصم، وها هو ذا الغرض الذي تكتمل به خريطة الأغراض الشعرية في معلقات العولمة وهو الحماسة في إطار حركة عنترية قد تفرض علينا خطوات أو سياسات أقرب ما تكون إلى التهور منها إلى الشجاعة والإقدام.

ويأتي الغرض الذي تفتتح به القصائد في نظم الشعر في العصر الجاهلي وهو البكاء على الأطلال، وربما يحسن أن نختتم به قصائدنا على الأرض، فبينما العولمة تتحرك صوب عمل، وتعبر عن عملية صار لها من الآليات والوسائل والأدوات التي تمكن لها على الأرض، فإننا ندير خطاباً حول العولمة ضمن أغراض شعرية (معلقات العولمة) تُحاكي فيه أغراضاً شعرية مضى أوانها وانقضى زمانها، هذه الأغراض لا تعكس إلا عقلية منقسمة وخطاباً سجالياً وحواراً أقرب ما يكون إلى حوار الطُّرش. في هذا المقام تأتي العولمة لتقدم حالة نموذجية ضمن سياقات لدراسة الخطاب حولها.

فهل يمكننا أن نتخلى - نحن العرب والمسلمين - وقد أتت علينا العولمة ونحن في أضعف حال وأوهن مقام، من (جدل بيزنطة)، أو أعراض (برج بابل) و(علم كلام العولمة) أو أغراض شعرية تعبر عن حالة نفاق وكذب، فإن أعذب الشعر أكذبه؟ وهل لنا أن نتخلى عن أنماط التفكير التي نتعامل بها مع عالم المفاهيم الحديث، باعتبارها مفاهيم موضة لا نملك إلا ارتداءها؟ هل لنا أن نتحرك صوب فهم ووعي العولمة فنؤسس فقهاً لها، وقبل الفقه نبحث عن تأسيس (علم معلومات العولمة) نتعرف فيه كيف تم التمكين للعولمة على الأرض في غفلة منا وربما بإذعان، أو وفق قواعد هندسة الموافقة؟.

إن العولمة تتطلب مواجهة - بما تمثله من تحديات - من جنس حركتها وتصوراتها نفسه، والقضية ليست في تسجيل المواقف أو تبني توجه بعينه أو الدخول ضمن توجهات النقاش المحتدم حول العولمة في كل المجالات الاقتصادية والاتصالية والاجتماعية والسياسية والثقافية، هل يمكننا مرة أن نحاكي علم عمل العولمة؟ أن نتعلم أن العمل القليل الدائم هو خير عناصر المواجهة؟

إن الخروج من سياق التبشير بمفهوم (العولمة)، أو التهوين من آثاره والمترتبات عليه، لا يتم إلا من خلال مثل هذه الدراسات العلمية والعملية.

العولمة ليست القدر المحتوم، وليست التاريخ الذي أغلق أبوابه وانتهى، بل هي تصور أعقب عمليات، للعالم، للإنسان والكون والحياة، تهدف من خلال ذلك التصور وتلك العمليات إلى علميات تضييق الاختلافات والتنوعات والتمايزات والخصوصيات، تهدف إلى التضييق لذلك على طريق التنميط، ونحن نؤمن بسنة الله تعالى أنه خلق الناس والكون في سعة الاختلاف والتمايز والتنوع؛ ليشهد الكون تفاعلاً إيجابياً

وتعارفاً مثمراً "فإذا ضاق الأمر اتسع" وأن النافع للناس، عمومِ الناس، هو الذي يمكث في الأرض.

ونرى في تاريخ الدنيا على مر أيامها أن ليس هناك مشروع ابتغى الاستئثار والهيمنة والطغيان إلا وحالفه الفشل وإن طالت أزمنته، ونحن مأمورون بالتذكر والاعتبار بأيام الله.

فالعولمة ليست عملية بلا ثقوب، أو بلا مفاصل تمثل عناصر ضعفها، والعالم يشهد على ذلك بؤراً صغيرة في العالم تستعصي وتأبى التنميط وهي خارج حسابات العولمة بكل أدواتها المعلوماتية وآلتها الحسابية، فعليك أن تجيل النظر في المعمورة لتبحث عن شواهد تؤكد أن العولمة من حيث أرادت التنميط ستؤدي إلى عكس ذلك المقصود، لأن مقصودها مخالف لسنة الله الكونية والبشرية في الاختلاف والتنوع والتعدد.

العولمة؛ وبما أفرزته من أدوات، تعبر عن خطورة وإمكانية، والمخاطر لابد أن يحسب لها حسابها، والإمكانات لابد من استثمارها، إنه أمر يحرك علم دفع المضار وجلب المصالح الذي هو مدار شريعة الإسلام. فالعولمة من حيث أرادت أن تفكك وتركب، توحي للجميع أن يتعلموا كيف يعظمون قوتهم، وأن في تنوعهم رحمة وفي تكاملهم لحمة، وفي وحدتهم قوة وقدرة وتمكيناً وتأثيراً.

أين نحن من آليات ومؤسسات يجب أن ندافع عن تأسيسها لأنها تمثل الحصون التي تحمينا من مخاطر طوفان العولمة؟!

هل لنا أن نتعلم درس العولمة، وأن نتعامل مع ابتلاء العولمة؟!

أم ستكون العولمة علينا وليست لنا؛ ونحن نتجادل في علم كلامها وسجال وانتقاد بالكلمات؟! إن أهم درس في العولمة هو معرفة عناصر

مناهج التفكير والتغيير والتسيير والتدبير والتأثير، العليلة والكليلة، والتي استمرأنا التعايش معها زمناً، فأتى طوفان العولمة، فهل ننجو بسفينة نوح، لو أحسنا التفكير والتدبير وآليات التفعيل والتأثير، وللتمكين سنن يجب أن نتعلمها ونعمل لها؟(١)

القراءة في الدواعي - خطاب الانفعال والافتعال

أولاً: بروز فكر النهايات على تتابع النهايات الجزئية في المجالات المعرفية والمجالات الواقعية وعالم المفاهيم وما يشير إليه من واقع، توجت بفكرة (نهاية التاريخ) لتعبر عن إعادة تأويل فكرة وردت لدى هيجل، للحديث عن الانتصار المؤزر والأكيد على جميع (الأفكار) و(الخبرات) المختلفة، والأنماط الحضارية وما تشير إليه من تجارب متنوعة.

ثانياً: بروز فكر النهايات مبكراً ونهاية الإيديولوجية نهاية الفلسفة؛ نهاية الدولة القومية، نهاية النظرية السياسية... نهاية..، تزامن مع ظهور إرهاصات (Postisms) أي المابعديات لتعبر عن مراحل مختلفة متغيرة كماً ونوعاً. فغالباً ما حلت محل فكرة النهايات (Endisms) إلا أن الفكرة

---

(١) انظر: سيف الدين عبد الفتاح: علم كلام العولمة، علم عمل العولمة ضمن ملف عن العولمة تضمن رؤى للمثقفين والمفكرين، مجلة المعرفة، السعودية، العدد (٤٨)، ربيع أول ١٤٢٠- يونيو يوليو ١٩٩٩، ص ٩٢-٩٤.
- وفي سياق يحرك التعامل مع التفكير المؤامراتي الذي يظل نمطا تفسيرياً لأية تغيرات على المستوى الدولي التي غالباً ما لا يكون لدولنا قدرة على مواجهتها، فيبرز تفكير المؤامرة حالة ذهنية وفكرية جماعية لإبراء الذات انظر: قسم الأبحاث في مجلة الرشاد، إشكالية منطق المؤامرة في تفسير الأحداث، مجلة الرشاد، مركز دراسات الثقافة والحضارة في الولايات المتحدة، فصلية، العدد ٧، المجلد الثالث، مايو ١٩٩٩، ص ٩٣ - ١٠٤.

الأكثر شيوعاً كانت (Postmodernism) التي حوت كثيراً من البعديات على مستويات متعددة في العلم والواقع والإيديولوجيات. إلا أن فكرة المابعديات[١] التي ولّدت عناصر دراسية مهمة ضمن أجندتها، تنوعت إلى حد التناقض، وسمحت أفكار المابعدية في إطار التجاوز أن تقدم في واحد من أهم تياراتها تجاوز الحداثة، فاتخذت مساراً نقدياً مهماً، توسلت فيه معظم الأدوات التفكيكية فيما حملته منظومة الحداثة من (أفكار) و(مؤسسات) و(أشخاص) وأشياء و(أحداث) وافتراضات وعلاقات ورؤى نظرية، وبدأت تعيد دراسة المفكرين وأفكارهم في ضوء بعض المؤشرات غير التقليدية في الدراسة. وضمن هذا السياق لابد أن نعود إلى مفهوم برز في المجال السياسي، إلا أنه اختفى على حين غرة وتوارى لمصلحة مفهوم (العولمة)، ألا وهو مفهوم (النظام العالمي الجديد)، الذي شاع وذاع فترة محدودة؛ ولكن لأسباب تتعلق بنشأته السياسية شبه المحضة كانت تكمن في داخله (إمكانات الاستنفار ضده ليس ضمن توجهات في دول العالم الثالث فقط، ولكن ضمن رؤى نشأت في إطار الحقل الأكاديمي والإعلامي الغربي الذي وفِقَ كثيراً بالنقد حيال هذا المفهوم، مشيراً إلى علاقات القوة التي تعبث بمفهوم النظام الدولي،

(١) انظر معنى المابعدية والتي سبقتها النهايات في:
ملف ما بعد الحداثة/مجلة الكرمل، العدد (٥١)، ربيع ١٩٩٧، ص ١٢-٩٠.
وكذلك دراسة محمد جمال باروت: في منطقة مابعد الحداثة، مجلة الكرمل (٥٢)، صيف ١٩٩٧، ص ١٤١- ١٦٦. كاظم جهاد: من نقد الحداثة إلى بعد الحداثة، العدد السابق نفسه ص ١٦٧-١٨٢.
انظر أيضاً:
James N. Rasrnau. Global Changes and Theoretical Challenges: Toward a Postinternational Politics for the 1990s, in Global Changes and Theoretical Challenges, Ernst otto Czempiel & James N. Rosenau, Lexingrton Books, 1989, pp. 1-23.

وتحرك صفة الجديد ما أرادت، حتى أشار بعضهم إلى انعدام النظام (الفوضى) disorder الدولي[١].

وربما أعيد تسكينه ضمن منظومة العولمة في إطار ما أسمي بالعصر العولمي Global Age.

ثالثاً: وضمن هذه المرحلة الانتقالية برز مفهوم العولمة Globalization الذي أشار إلى إضافات مختلفة في نهايته ما بين المصدرية Globality، وما بين المذهبية والإيديولوجية Globalism ثم كان شيوع النهاية المصدرية المشيرة إلى العملية Process، والتي يشار إليها بـ (isation-)، وكل نهاية من هذه النهايات تشير إلى تفضيل بعينه، فبينما تشير النهاية المصدرية العامة إلى مفهوم العالمية، وباعتبارها رؤية ضمن رؤى للعالمية Globality، فإن الأمر لم يعد يشير إلى عالمية ضمن عالميات حتى ولو كانت غالبة أو سائدة، بل تحولت إلى مذهبية أو إيديولوجية ضمن (isms) المختلفة ضمن هذا السياق. وبدت تتحدث عن العالمية على نمط بعينه على أنه نمط محتوم في إطار المعمورة ومسيرتها، إلا أن هذه الدعوة المذهبية غالباً ما تحمل عناصر تشير إلى التفرد أو التنميط؛ فإنها قد تواجه بنوع من التحدي والمواجهة في إطار تحول فكرة العالمية من النطاق العام لنماذج متعددة إلى نطاق حتمي يؤكد على عالمية بعينها دون ما سواها من رؤى وإيديولوجيات، وهي بذلك تدخل إلى سياق السجال الأيديولوجي، وتولّد عناصر التحدي المعرفي والثقافي والمنهجي والحضاري بوجه عام.

رابعاً: وضمن هذا السياق انتقل التعبير من مفهوم العالمية مفهوماً

---

(١) انظر في دراسة حول مفهوم النظام العالمي الجديد:
سيف الدين عبد الفتاح: حول التحيز في مفهوم النظام العالمي الجديد، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، السنة الثانية، العدد ٨، خريف ١٩٩٢، ص ٧-٨٠.

عاماً، إلى العالمية مذهبيةً وإيديولوجية، إلى الحديث عن العالمية (العولمة) على أرض الواقع، أي الإشارة إلى واقع العالمية (العولمة) الذي بدأ يفرض نفسه في المجالات المعرفية والعملية والواقعية كافة، وبما تشير إليه من (عملية) ضمن أطوار مختلفة ومتنوعة، لها من الشواهد التي لا تخطئها عين أو ينكرها عقل حتى يمكن تسمية ذلك من خلال القرائن الواقعية بافتراس العولمة.

التعامل الوجداني ودائرة الخطاب المأزوم:

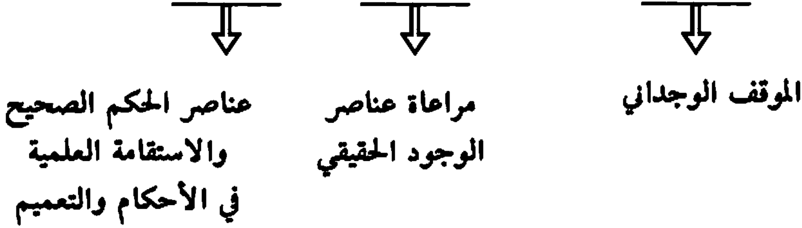
وعلى الذي يدعي غير ذلك أن ينتقل من أرض الواقع والفعل والتجليات والمظاهر المختلفة إلى أنواع متعددة من التفكير من المهم أن نرصدها :

١- الانتقال من الدراسة البحثية إلى عناصر التعامل الوجداني المتعلق بالموقف التفضيلي الذي تتحكم به عناصر القبول والرفض النابعين من الحب والكراهية، وهو موقف، على أهميته، صار غير كافٍ في حقل الدراسات العلمية والبحثية والمنهجية.

ذلك أن البدء بالمواقف من غير البحث في الوعي والتأسيس لها، في إطار فهم خرائط الواقع وإمكانات التأثير فيه لا يمكن بأي حال أن يؤسس المواقفُ الواعية والدافعة، والمواقف إذا ما سوّغت على مستوى حاجات الجماعات الفطرية - على أهميته - لا يمكن الاكتفاء به والانكفاء عليه؛ ذلك أنه لا يحرك عناصر فعل قادر على الفعل والفاعلية. وذلك في ضوء ما قد يترتب عليه من موقف وجداني يؤثر في الأحكام للواقع والوجود. وذلك وفق القاعدة المنهجية المحققة التي تعتبر ضمن سنة المنهج "عدم الوجدان لا يعني عدم الوجود". ذلك أن الوجدان كمصدر من مصادر بناء المواقف قد يكون له ما يسوغه، إلا أنه يجب ألا ينتقل إلى (نفي الوجود)، ذلك أن مجال الوجدان شيء، ومجال الوجود شيء آخر.

نحن أمام معادلة: الموقف الوجداني، وعناصر الوجود، وعناصر الحكم العام الصحيح:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٥/ ٨].



ومن هنا فإن الموقف البحثي والمنهجي يقتضي التعامل مع موضوع العولمة ضمن هذا السياق.

والعدل ليس مجرد موقفنا مقيداً للغير في رؤية ضمن منظور ومنظومة العدل والصدق والاستقامة، ولكنه مفيد للذات في التعرف على الموضوع أو الإشكال بحجمه الحقيقي، فاتخاذ موقف العدل (اعدلوا) هو المحقق لأمارات العدل مع الآخرين وتقويم عوالمهم المختلفة (عالم الأفكار والأشخاص والأحداث والأشياء، والعلاقات والمؤسسات.. إلخ)، والمحقق للفاعلية الذاتية تفكيراً وتدبيراً وتغييراً وتأثيراً، إنه يحرك معاني التقوى النافية لكل ضرٍّ، الجالبة لكل نفع، المحفزة لأصول الدافعية والجامعية والفاعلية.

٢- التعامل الوجداني بالأماني، وهو تعامل يقفز على الواقع وعالمه المحدد بكل عناصره ووقائعه ومظاهره وتجلياته، إلى عالم الأمنيات والتمنيات من غير عمل واضح وأصول تعامل، كأنَّ صاحب هذا الموقف يبحث في إطار عالم الأمنيات عن المستقبل قفزاً على الواقع. والأمر على غير هذا ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤/ ١٢٣].

المعادلة وفق أطرافها تعني:

الموقف الوجداني	القفز على الواقع	الموقف المستقبلي
⇩	⇩	⇩
(الأمنيات)	(إهماله وإغفاله)	(بناء التصور في عالم الخيال لا على أرض الواقع)

وفي هذا المقام لا يمكن الوصول إلى الموقف الاستقبالي من دون فهم خريطة الواقع وعناصره ومفاصله، ومصادر وإمكانيات الفاعلية والتأثير. (يمكننا أن نشير إلى الدراسات المستقبلية في عالم المسلمين) ونهاية التاريخ على طريقة بعض الكتابات الإسلامية[1].

٣- التعامل الوجداني (باليأس والإحباط)، أحياناً ما يظن الباحث أو الدارس، أو المطلوب منه عامة أن يتخذ موقفاً، أن الواقع بما يفرضه من عناصر إدراك، وضغط الواقع الفعلي، يظن ليس في الإمكان أبدع مما كان (افتراس العولمة: العولمة القدر المقدور والحتم المنظور)، وهذا ما يجعله يهمل الواقع ولكن في إطار مختلف، حيث إنه لا يمكن التفكير فيه لما يمثله من حقائق واقعة ودافعة على الأرض، يظن الإنسان أنه ليس لديه من إمكانات لمواجهة هذا الواقع أو ضغوطه أو تجلياته على الأرض. الضغوط الحضارية من القضايا المهمة لو فهمت على مقتضاها ﴿لَا يَاْيْئَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ١٢/٨٧] فمن الضغوط ما يمنع كما أن من الضغوط ما يدفع، ومنها ما يفجر ومنها ما يجمع، ومنها ما يخفض ومنها ما يرفع؛ إذا ما فهمنا القوانين الحاكمة ووعينا عملها والسنن المتعلقة بها وسعينا بمقتضى الوعي.

(١) انظر في هذا المقام: سيف الدين عبد الفتاح: التحديات السياسية الحضارية للعالم الإسلامي، ضمن بحوث: رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة: ١٩٩٩، (الفصل الرابع تحت الطبع).

الموقف الوجداني (اليأس)	المعرفة للواقع المانعة من التعامل معه على نحو مرغوب	الموقف الذي يفكر في ضوء ضغوط الواقع وما يفرضه من عناصر

هذه هي عناصر المعادلة المانعة من العمل والمحركة لأنماط من الخطاب والإدراكات والتفكير.

٤- عناصر التهوين والتهويل موقفان وجدانيان يحركان عدم إدراك الواقع على صورته الحقيقية وفي مقامه المخصوص والمضبوط. وهذان الموقفان من الخطورة بمكانٍ إذ يعكسان موقفاً مضطرباً يتراوح ما بين التهوين من حقيقة الواقع، فلا يحاول التعامل معه بمقتضى معطياته على أرض الواقع، ولكن التعامل معه من مدخل التهوين يعني التقصيرَ في التعامل مع الظواهر على ما تقتضيه من اهتمام من ناحية، وما يقتضيه ذلك من البحث المتأني لكل عناصر الموقف من ناحية أخرى. والتهويل لا يقل في تأثيره السلبي والنفسي حيال هذه الأفكار، فإن التهويل سواء من الجانب المتبني لمفهوم العولمة أو المتعامل معه القابل له؛ يؤثر تأثيراً سلبياً في إطار الافتعال، وما يتركه ذلك من آثار في الموقف الوجداني الذي يتصور أن الأمر لا يدخل من نطاق التفكير نظراً لأنه يمثل حالة لا يمكن ارتفاعها أو تغييرها أو حتى تحويلها، أو استثمار بعض نقاط ضعفها، بل هو يرى من البداية أن عملية العولمة من الإحكام الواقعي بحيث لا يظهر ولا يبرز في بنائها أي ثغرات أو أي نقاط ضعف، وهو غالباً ما يورث عناصر الموقف الوجداني نفسها النابعة من اليأس.

٥- الموقف الوجداني النابع من حالة حضارية تتسم بعناصر الوهن في مناهج التفكير ومسالك التدبير وعناصر التغيير، إن التفكير من موقف الضعف والوهن المتحكم في الحالة الحضارية يسهم في خلق عنصرين

يجعلان الموقف الافتعالي في قمة تأثيره؛ فهو موقف قرين بالعجز الراهن باعتباره حالة أبدية وربما حتمية؛ أو أنها لن ترتفع بحال في المدى المنظور وما يترتب على ذلك من التقليل من الإمكانات والقدرات في التعامل الفاعل، ودائماً الوهن يختار الضعف حالة مستمرة، فإنه غالباً ما ينخرط في كنف الأقوى وتصبح حالة التبعية والإعالة من الأمور التي تتبادر إلى عناصر تفكيره وذلك في صياغة الموقف نحو العولمة، وبينما يتم ذلك في هذا السياق فإنه في المقابل تحكم الحلقة الافتعالية، في ضوء تصور حالة العولمة في إطار (حتمية) و(جبرية) ما لها من دافع، الكونية هنا قدراً مقدوراً، وهي عملاقة.. وعلينا ألَّا نحاول الاستدراك عليها أو التحفظ؛ ولكن الأفضل السير في ركابها، إن من لم يلحق بها أيَّ نوع من اللحاق فسيقع بالضرورة تحت عجلاتها، ومن ثم فإن هذا التصور الضيق لإمكانات الحركة لا يحرك عناصر إبداعات في التعامل مع العولمة، إنها قبول مطلق ومذعن كأحد أهم الاختيارات وربما الاختيار الوحيد.

٦- الموقف الوجداني النابع من مناهج التفكير العنتري، وهي مواقف خارجة عن حد الرشاد، وهي مواقف لا تبحث في عناصر التعامل الواقعي القادرة من خلال ذلك التعامل المستند إلى الإمكانات، والعدة والفاعليات، وقبل كل ذلك ضمن هذه المعادلة التي تشير إلى الإرادة، فالإرادة دون عدة تهور، لأن العدة تشكل عناصر البنية الأساسية لمعاني الإرادة السياسية، والعدة دون إرادة ورؤية إفلاسٌ وفراغ، وهدر للإمكانية؛ ذلك أن علاقة الإدراك الاستراتيجي بالفعل الحضاري لا تتم إلا بمعنى الإرادة، والإرادة: إدراك، وعزم، ونية، وفعل، وقدرة، معادلات غاية في الأهمية، عليها أن تنطلق من فهم الواقع والوعي بعناصره كمقدمة لحركة السعي الواعية الفاعلة الرافعة الدافعة؛ إن ذلك ليس إلا ترجمة لمقولة ابن القيم الذهبية: (إن علينا أن نعطي الواجب حقه من الواقع، والواقع حقه من الواجب).

٧- الموقف الوجداني النابع من عناصر الإحكام الأيديولوجي: (التفكير ذو البعد الواحد أو يكاد). الإيديولوجية، بما لها من سطوة، تحرك عناصر وصف ورصد الواقع بما يتواءم أو يتلاءم مع مقولاتها الأساسية والمفتاحية. وهذا في إطار أفكار كبرى كالعولمة تمثل عناصر حاجبة، وغالباً حينما يقتصر هذا التفكير على عناصر:

التفكير الجزئي، أو التفكير القاصر، أو التفكير الذي يمد الجزء على الكل، أو التفكير التفسيخي الذي يحرك عناصر إمكانية الفصل التعسفي للجزء عن الكل (فسخه)، فإن كل ذلك قد يحرك عناصر التفكير الواحدي أو يكاد، أو على الأقل يجعل لذلك العامل الوزن الأكبر (المتغير الأصيل) والمتغيرات التابعة، وإن المتغيرات الأخرى لا ترى إلا ضمنه ومن خلال منظوره ورؤيته. يمكن أن نشاهد ذلك ضمن سياقات التفسير الاقتصادي لظاهرة العولمة سواء في توجهاتها الليبرالية القائمة على الخصخصة كفكرة عالمية تؤكد عناصر حرية السوق والتجارة باعتبارها خطّاً لا منافس له، وباعتبارها تهيئ عناصر بنية تحتية لكل عناصر الممارسة السياسية المرغوبة (الديمقراطية حقوق الإنسان تحرير الاقتصاد) أو مواجهة هذه المقولة التي تحمل عناصر التحليل المادي الاقتصادية بمقولة أخرى من المعين نفسه ولكنها تختلف في التفسير في إطار نقدها وتحفظها على فكرة العولمة، وهي تتخذ من مقولة النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي منطلقاً لتحليلها وفق مقولات تحليل ماركسي تعبر عن عالمية السوق الرأسمالي، وما يتبع ذلك من عناصر مهمة، ومتابعة هذا التحليل سواء في المدرسة الماركسية التقليدية أو مدرسة التبعية اللتين تتحركان ضمن هذا المسار. وهذان الاتجاهان على اتحادهما في القاعدة المتعلقة بالتفسير المادي الاقتصادي، إلا أنهما يختلفان في المقولات وبنائها، ومحاولة إيجاد عناصر تحليل وتفسير محكم يرتبط - بالضرورة - بعناصر تعميمات وتقويمات بل وتنبؤات على شاكلتها.

إلا أن الأمر لا يقتصر على هذا التحليل الواحدي في مجال (الاقتصاد)، ولكن في الآونة الأخيرة برز تفكير يؤصل معاني العولمة ضمن مسار أوحد أو وحيد، أو على الأقل (العامل الأول) الذي يشكل قاطرة لما عداه من عوامل؛ وهو المتعلق بمنحى (التفسير الاتصالي) للعولمة، والمتحرك صوب المعلوماتية. وهو تفسير يلقى الآن من الحجية ما يجعله ينافس التفسير المادي الاقتصادي، إلا أنه مع تأصل هذا التفسير الذي بدأ يبرز مع الحديث عن العولمة كعملية as a process، فإنه لا ينكر بحال من أصحاب التفسير المادي الاقتصادي في منحاه الليبرالي الرأسمالي، وفي منحاه الماركسي الاقتصادي، بل كل منهما يحاول أن يجد له مكاناً في تفسيره، أو على الأقل فإنه لا ينكره من حيث الواقع في إطار بلوغ الحداثة إلى دائرة المعلوماتية؛ وهي محاولة للبحث في أصول التقنية ومولداتها التي تحرك سوق المعلومات نحو انسياب وانفتاح وحرية حركة عالمية. إلا أن هذا المنحى من التفسير بدأت تلتقطه جماعة من الباحثين الإعلاميين في محاولة للبحث عن عمليات على الأرض لا تحرك عناصر التفكير الأيديولوجي (الليبرالية الماركسية) إلا أنها على الرغم مما تجد من قبول فإن التفسير الأيديولوجي لم يعد بعيداً عن مجالها أو مقولاتها، مما أضفى عليها عند البعض طابعاً إيديولوجية يتداخل فيه عالم الإيديولوجيات المستحدثة في إطار التبشير بعالم المعلومات العالمي والمعلوماتية كمذهبية وإيديولوجية تنتمي إلى عالم الإيديولوجيات (Isms).

٨- هذا موقف وجداني يهمل عالم الوجدان وماله من تأثير في فاعليات الإدراك والمواقف، وهو موقف يتحرك استناداً إلى دعوى الاحتكام إلى الواقع ورصد عناصره الفعلية، والبحث في عناصر السببية الصلبة، واتخاذ مواقف الموضوعية الصارمة، والمهنية النقية، والعقلية الباردة، والعلم الحاد، والرشاد المطلق؛ ومن هنا فإنه يدرس العولمة

على أنها ظاهرة عالمية عامة يجب ألا نبحث عن معانيها أو مقاصدها، ولكن يجب البحث عن واقعها، وهي رؤية تنحّي تماماً عناصر الذاتية في الموضوع، وتتحرك صوب الحياد العلمي الأكيد، والصفحة البيضاء، والوضعية العلمية والبحثية، وهو موقف أساسي يتخذه البعض في إطار تبعيتهم الفكرية والعلمية للبحث في الأجندة العالمية، وأصول التعامل المهني معها، وهو موقف يدَّعي الوقوف عند حد الرصد بحيث لا يترجم إلى (موقف) أو حكم. فكل حكم لديه هو (حكم قيمة) الواجب الرفض والواجب الإهمال، وإن الحكم الوحيد الجدير بالاعتبار هو حكم (الوجود) لا حكم القيمة، ومن هنا يبدو لنا ذلك الموقف من العولمة أنه يؤكدها ويقف عند حد وصف مظاهرها، والحديث عن آلياتها، ووصف مجالاتها، ولكن غير معنيٍ بغير ذلك أبداً، وهو في هذا المقام يهمل ربط العلم بأهداف المجتمع ومقاصده، ومصالحه وإمكانياته، إن هذا الآن لا يعنيه، وإن ما هو قوي في الواقع هو الذي يستأهل البحث في رصده والتحدث عن عناصره، والبحث عما هو ضعيف وبما يمثله هو من جزء من هو أو ليس من العلم أو الموضوعية في شيء، بل هو تغليب لعناصر الذاتية المنافية لأصول التجرد البحثي والعلمي، والصراحة المنهجية.

٨- وفي إطار التعامل الوجداني المقترن بإشباع الذات في مجال (إبراء الذمة) قد يتواصل الأمر مع وهم الفاعلية. وهو أمر اقترن بأصوات بدت تبرز داخل إطار الأدبيات الغربية (نقد العولمة فلسفياً وإيديولوجياً ومظاهر عمليات) ومقاومة العولمة على الأرض (مظاهرات دافوس وسياتل).. وبدا بعض الخطاب يعلق على ذلك بأقوال شديدة الوهن تخفي الإذعان والاستسلام لمقولات وعمليات العولمة على الأرض بالقول بأن دول العالم الثالث قد أعلنت عن رأيها في هذا المقام، وأن على الدول الكبرى ذات المصالح في تكريس العولمة أن تأخذ هَبَّة دول العالم النامي

في الاعتبار، ضمن سياسات (ركوب الموجة) وسياسات هؤلاء الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا[١].

٩- ربما يرتبط بعض هذه المواقف الوجدانية، وفي إطار حال التبعية والتقليد ضمن السياق الأكاديمي العام الذي شكل أحد مظاهر العولمة، بأن نحاول أكثر من سياق:

أ- الأول: عدم دراسة عوالمنا استقلالاً أو ابتداء، إذ علينا فقط أن نفكر في سياق موضع قدمنا من ذلك العالم الذي اكتمل بناؤه وتمت بنياته، أين نحن؟ وذلك ضمن سياقات متنوعة، وغالباً ما تأتي الإجابات الواقعية معززة لأصول (الانخراط) أو (اللحاق) أو محاولة إيجاد موضع قدم في إطار التسكين ضمن إطارات نظرية علمية وأكاديمية ضمن الحالة الغربية التي اتخذت مع الرواج والشيوع الحالة العامة العالمية، فبدا كل نظر منسوباً إليها على الأقل، أو مع إراحة الذهن منتسباً إليها.

ب- الثاني: التعويل على عناصر البناء الجاهز، في إطار العقلية الناقلة بما تفرزه من حالة وجدانية تتراوح بين الكسل، والشعور بالعجز، وتغلغل مشاعر عدم الثقة، ومن ثم فالنقل هو سيد الأدلة؛ يملك حجية في الشيوع والانتشار، في الذيوع والغلبة، في القوة على أرض الواقع، وفي نطاق (الأكاديميا) علينا أن ننقل الغرب بكل حذافيره، حتى نكون مثله أو في بعض الأونة نصير ملكيين أكثر من الملك، مهملاً في ذلك عناصر الفاعلية وسننها، وذلك في إطار عدم تميز أو إغفال حاد للتفرقة بين استهلاك العلم وإنتاجه. واستهلاك الحضارة ومنتوجاتها، وإنتاجها روحاً ونظراً وفعلاً وتفعيلاً وفاعلية.

---

(١) انظر وقارن: وحيد عبد المجيد: الاجتماع على العولمة من مظاهرات سياتل إلى اضطرابات عيد العمال، قليل من النبل وكثير من العشوائية وغياب البديل، الأهرام، ٢/٦/ ٢٠٠٠.

جـ- الثالث: النظرة الاتهامية التي يبادر إليها مع كل حديث عن (الخصوصية) و(التمايز) (الاختلاف) بأنها محاولة للقفز على الواقع، أو عدم الصلاحية، أو النظرة المثالية والخيالية، اليوتوبيا والمدن الفاضلة والتفكير من مناظيرها، عدم مراعاة الواقع، الشوفونية والعزلة، التقصير في اللحاق والالتحاق بالركب، الهروب إلى التاريخ، الاستمساك بالماضي الذهبي، العودة إلى الخلف، السلفية الجامدة، الرجعية الفكرية والثقافية، المريدون لغلق الأبواب والمفضلون للظلامية والعزلة والمحاربون للانفتاح والتواصل..، وفي ضمن هذا المساق يحاول من يقتنع به مؤثراً الراحة الذهنية والفكرية الالتحاق لما يفرضه الموقف الآخر أو الاختيار البديل من تكلفة عالية في البحث والوقت والجهد وعناصر الابتكارية في التناول والتحليل، وإيثارُ الراحة والسلامة من شيم النفوس، إلا أنها ليست مطلقاً أو غالباً ما تؤدي إلى الطريق الصواب الراشد في هذا المقام، والفعل في عالم الواقع.

د- استحكام عناصر حلقة الأجندة البحثية العالمية المغلقة، فصاحب القوة والسلطة هو الذي يفرض عناصر أجندته البحثية والعلمية والعالمية. وهذا القول في ضوء صناعة العالم، هو من الأمور التي يجب ألا تنكر، إلا أن التعامل معها يتراوح ما بين الدخول في هذه الأجندة والانخراط فيها، أما الموقف الثاني فهو محاولة التعرف على صناعة هذه الأجندة وأهدافها واتخاذها حالة دراسية، ورصد الموضوعات والمفردات وعناصر الخطاب وأشكاله وآلياته، وغير ذلك، بما يوفر حالة دراسية وأساس لرؤية نقدية وتقويمية لهذه الاتجاهات. ونحن نرجح عناصر العلم بالأولى والوعي بها من جانب، ونرجح عناصر الموقف الثاني المهم، الجامع بين تشريح وترشيح صنع الأجندة البحثية، وعدم إهمال مواقعنا من هذه الأجندة لا البحث عن موضع قدم فيها ولكن البحث عن عناصر التأثير والفاعلية فيها، وإعادة بنائها وتسويتها والتعامل البحثي الجاد والفاعل

معها. وربما كان هذا الموقف الثاني يفيد في صناعة الأجندة البحثية المتميزة التي تحرك مواقف علمية ومنهجية وبحثية واعدة، فهي على الأقل تأخذ أحد شكلين:

- الموقف الناقد للأجندة السائدة الغالبة الرائجة؛ سواء على مستوى النقد المتكامل أم الجزئي لأحد عناصرها.
- الموقف البناء الإيجابي المحرك لعناصر وعينا بالآخر والموقف من خلال الوعي بالذات، في إطار ما نملك (صياغة أجندة) تتسم بالخصوصية.

معايير بناء الأجندة من خلال تبين عناصر الخريطة البحثية في الداخل والخارج هي من الأمور التي تستحق منا التأمل في ظل واقع العولمة الكاسح الذي يأخذ واحداً من أهم مظاهره ضمن السياقات الأكاديمية والإعلامية؛ (معلومات مبصرة)؛ ومن هنا فإن من الأهمية بمكان أن نتحرك ليس إلى رصد اتجاهين مهمين فقط، بل إلى الاتجاه السائد الغالب والتعمق في التعرف على تفاصيل:

الاتجاه الذي يحاول الدراسة المنهجية للموضوع في محاولة لوضع الإشكال ضمن حجمه البحثي والعلمي والمنهجي، نافياً عناصر الافتعال فيه، والهالات المحيطة به، والعناصر الانفعالية والوجدانية المحيطة به، والداعي إلى تناول عناصر الإغفال منه والتي طالته إما تحيزاً أو غفلة.

نموذج من الدراسات على هذا تتمثل في دراسة جيمس روزينا الكاتب البارز والتقليدي في حقل العلاقات الدولية بما أشار إليه من أسئلة بحثية مهمة، ومناطق بحث يجب التحقق منها، في إطار بحوث تتراكم في هذا السياق هادفة إلى فهم جوهر هذه القضية وعناصرها. ولكن بما يحرك أصول تأسيس موقف واع وقادر على الصمود والبحث العلمي والمنهجي، يملك حجية من بنائه البحثي المحكم، واسترشاده بقواعد المنهج

والمعلوم منه بالضرورة، وأصول العمل في البحث في الظاهرة الاجتماعية والإنسانية.

أما الاتجاه الثاني فهو البحث عن الاتجاهات النقدية لاتجاه العولمة داخل أدبيات الفكر الغربي، هذه الاتجاهات البحثية على هامشيتها، وحجيتها ضمن البنية المعرفية الغربية، تستحق الاهتمام البحثي الجاد وتركيز مجهر الاهتمام على رصدها تفصيلاً، والبحث في بنية منظوماتها ومفرداتها. والقدرة في الاستناد إليها من دون أن يعني ذلك الوقوف عند هذا الحد. ذلك أن هذا المسار في ذلك الاتجاه يحقق عنصرين مهمين يتحرك فيهما الخطاب ضمن عناصر بيئته وفعالياته؛ فقد يكون الاختلاف في أسلوب ومناهج معالجة الأجندة البحثية السائدة وتقديم أصول رؤية نقدية لها، وهو ما ينتقل خطوة إلى الأمام من عدم الوقوف عند حد الجاهز أو السائد على حد سواء. هذه الحالة تحقق أصول التمكين لهذا الخطاب حول العولمة ضمن الجماعة البحثية المروجة لذلك المفهوم، وما قد يجبرها أن تأخذ مقولات ذلك الاتجاه في الاعتبار، أي إن الخطاب نحو الداخل قد يملك فعالية أكبر في هذا المقام، كما يملك مكاناً مهماً ومرموقاً ضمن توجهات النقاش حول العولمة والاتجاهات الممثلة لها.

أما العنصر الثاني فإنما يعني الخروج عن حد الاتهام بالعزلة عن الخطاب الأكاديمي في شكله العالمي، وإن اختلف في مناهجه وطرائق النظر والتناول والتعامل معه. وهو ما يعني تقديم خطاب متنوع ومتجدد يتواصل مع هذه الاتجاهات الهامشية النقدية الغربية، بل ويضيف إليها إضافات مهمة ضمن النقاش حول هذه القضايا المتعلقة بظاهرة العولمة.

إلا أن الممارسة البحثية ضمن هذين الاتجاهين، وضمن ما يحققانه من عنصرين في التأثير ضمن الجماعة البحثية في الداخل والخارج،

ربما يفرض آليات مهمة للتأثير والحجية أهمها: الممارسة البحثية الجادة، وعدم الخروج عن جادة المنهج إلى دائرة الانفعال أو الافتعال. فضلاً عن ذلك فإن بناء أطر بحثية ونظرية متجددة تتوافق مع الظواهر موضع البحث هي من الأمور الجادة والجديدة على حد سواء. بل علينا ألا نهمل عناصر الأجندة الداخلية، ولكن علينا دائماً ضمن هذه المساقات الإيجابية المتعددة (الناقدة والمتواصلة) أن نصوغ عناصر الأجندة تلك ضمن صياغات مهمة لدراسة العلاقات الدولية والمنظومة الدولية بكل التنوعات والعلاقات المتفاعلة داخلها.

إن رؤية الخارج عبر الداخل، إن صح الفصل والوصف، لا يزال في حاجة إلى تأسيس عناصر تعامل بحثي ومنهجي، وقواعد منهجية راقية ومنضبطة تحقق أصول الاكتمال البحثي وتحرك دراسات نحو عناصر الجدوى المنهجية والبحثية لدراسة الموضوعات واستكشافها، بما يحد عناصر أجندة تتحرك نحو فروض الوقت لا إهمالها، بما يعني اعتبار الواقع لا تحكيمه.

وإن هذا الوعي المركب هو الذي يحقق حالة وجدانية وعقلية تتكامل فيها عناصر الاختصاص والهوية، وعناصر التفاعل والتعايش والتعارف ضمن منظومة دولية في إطار وسياق آخر.

إن هذه الأمور لا تزال في حاجة إلى تفصيل، قد تكون مناسبة طرحها موضوع مثل العولمة لشمول مظاهره وآلياته، إلا أنها ربما تحتاج إلى دراسة مستقلة قادرة على الفعل والفاعلية والتشغيل والتمكين.

هذه الرؤية المركبة والمهمة يجب أن تسير في سياقات متوازية ومتفاعلة ومتساندة ومتداخلة، وهذه التصنيفات يجب ألا تكون تصنيفات حابسة في أشكال التعامل والتناول، بل علينا أن نجمع ما بينها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، أو نعتبرها مقدمات ضمن عملية تراكمية بحثية تتعرف

على عناصر السلسلة البحثية، وتَتَغيّا اكتمال السلسلة لاكتمال عناصر الفهم والوعي والسعي جميعاً.

بل إن هذه الرؤية حينما تقدم هذه الأصول وهذه المستويات والتي تتعرف على إمكانات التأصيل والتنظير والممارسات البحثية المتاحة تلهم في (كشف المستور) أو التعامل (المسكوت عنه) من عناصر قضايا تتعلق بالأجندة البحثية، البحث في عناصر "الأجندة الممنوعة"، و"الأجندة المصنوعة"، و"الأجندة المفروضة"، و"الأجندة المحكومة" و"الأجندة المحجوبة" بفعل حالات الافتعال والانفعال من الأمور الغاية في الأهمية، والإغفال الذي يولّد الأجندة المخذولة.

ومن أهم المظاهر التي يتخذها طرفا الجماعة البحثية في المجتمع الأكاديمي الداخلي أو الإقليمي أو العربي أو الإسلامي من جانب، وطرف الجماعة البحثية في المجتمع الأكاديمي الخارجي بما يمثله من إنتاج متنوع من جانب ثان، أن الحالة البحثية ربما تشير إلى حالة الإغفال الذي يعد قرينة على الإغفال من الغفلة، والإغفال من الحجب والحبس، وربما ضمن هذا المساق لا تؤخذ التوجهات النقدية داخل الفكر الغربي ومدارسه المختلفة مساحة من البحث والمعرفة والوعي، وبما تتيحه من إمكانات توظيف ضمن الخطاب الأكاديمي الفاعل والمؤثر، وهو أمر لابد أن ينعكس في اهتمام متزايد بهذه التوجهات والبحث فيها وعنها، وإمكانات تفعيلها ضمن عناصر البنية المعرفية التي تتعلق بتوجهات الخطاب ضمن الجماعة العلمية في الداخل، وربما في الخارج على حد سواء.

١٠- وربما كانت هذه النقطة السابقة تشير إلى بعض ما نقصده ضمن الحالة الوجدانية التي تتوافر ضمن عناصر وتقاليد مهمة تحكم بحق حلقة العولمة في سياق التعامل مع المعلومات، وربما تتضمنه المقولة الشهيرة

"المعرفة سلطة"، كمقولة مهمة نشأت ضمن تطورات معرفية داخل الأدبيات الغربية، ومقولة أخرى امتلكت ذيوعاً ولكن ضمن إطار المعرفة الإسلامية "المعاصَرَة حجاب"، وبين هذا وذاك يجب أن نحدد عناصر منهج النظر والتعامل والتناول لفكرة العولمة التي تقع بين هذا وذلك، وفي إطار تفعيل هاتين المقولتين باعتبارهما مقولتين منهجيتين جديرتين بالتفعيل والتشغيل، هناك معادلات تتعلق بانسياب المعلومات وحركتها من ناحية، وحبس المعلومات واحتكارها من ناحية أخرى، والإغفال النابع من غفلة أو تعمد، والتحيز في تحريك المعلومات وتوظيفها، وعناصر المبالغة والتهوين والتهويل في صياغة المعلومة أو في توظيفها أو في تأثيراتها، وما بين المقولتين السابقتين تقع عناصر مهمة تشير إلى إشكالات أهم يجب التأمل بها عن دراسة العولمة خاصة في جانبها المعلوماتي، والذي يشكل حالة بحثية وأكاديمية، وغالباً معلوماتية جديرة بالتأمل والبحث المتأني.

الأولى: تشير إلى أن تدفق المعلومات يأتي غالباً من مصادر خارجية وغريبة عن الداخل. ولا شك أن حالة (الفيضان المعلوماتي) كعناصر سلطة في المعلومة وتأثيرها في البنية البحثية والمعرفية والأجندة، بل والمناطق التي توجه لها بالدراسة، تتحدد وفق هذه العناصر، كما أن حالة (الإغراق المعلوماتي) كعناصر حجب من المهم أن نتأمل فيها، كيف أن الإغراق في إطار المتوافر والجاهز يغري الباحث بأن يتأمل بما هو موجود في سوق المعلومات، لا ما حجب أو أغفل أو المستور أو المكبوت أو المسكوت عنه، أو المنتثر، أو الهامشي، أو.. إلخ وغير ذلك كثير. فغالباً في سوق المعلومات قد يقصد الباحث أن يتعامل مع موضوع بعينه، ولكن قد لا يجد ما يسنده فيه، فيبحث عن غيره، وهذه العملية تحرك عناصر صرف الباحث عن مقصوده الأصلي، إلى مقصود آخر لم

يكن مقصوداً له، هذه العملية في ظل العولمة جديرة بالتأمل في هذا المقام، "عمليات الإحلال الفعلي والذهني، واحتلال العقل بما هو متاح لا بما يجب أن ينفع به".

الثانية: تشير في المقابل إلى (الاحتكار المعلوماتي)، وتقاليد (حبس المعلومة) في السياق المعرفي والأكاديمي، وهي حالة غالباً ما تكون تابعة لعناصر تصور المجتمع وانسياب المعلومة به، وأن السلطة (صنعة) لابد أن تحتفظ بعناصر (سرها)، و(سر الصنعة) من الأمور المهمة المتعلقة بمعاني السلطة وممارستها التي تحركت ضمن مناخ الاستبداد، الاستبداد لا يعرف عناصر شيوع المعلومة أو دورانها، إنه مجتمع يتعرف على أن (المعلومة سلطة) بالمعنى السلبي الذي يحرك عناصر التحكم والسيطرة. ومن ثم كان احتكارُ المعلومة جزءاً من السلطة وإمكانات تركيزها وتحقيق عناصر تغلغلها، بينما يقع في المقابل (المعاصرة حجاب) من ناحية السلطة التي ترى في المعلومات المتعلقة بكياناتها وسياساتها معلومات محظورة، كيف يمكن أن تجعل السلطة من المعلومات التي تشكك في عناصر قوتها وحجيتها، بل وشرعيتها، متاحة لكل من هب ودب كما ترى السلطة ذلك؟ وفي ظل تقاليد حبس المعلومة التي تعتبر من حبسها مدخلاً من مداخل استقرارها، وذلك في إطار يتعامل مع مقولة مولدة أيضاً وهي (الحبس سلطة)، و(الجهل سلطة). عناصر مهمة جديرة بالتأمل.

وفي إطار هذا وذاك تبدو لنا المفارقة في أن الفيضان العالمي الخارجي في حقل المعلومات قد يجد في المقابل تكريسَ عناصر الاحتكار والحبس المعلوماتي على المستوى الداخلي، أو على الأقل بما لا يتناسب مع حركة انسياب المعلومات ضمن السوق العالمية، يمكن أن يحدث حالة معرفية وبحثية وأكاديمية مهمة في سياق فكرة العولمة في هذا المقام، وأهم تجلياتها ما يلي:

الأول: ازدياد عناصر الفجوة المعلوماتية بكل مظاهرها سواء في إطار المقارنة بين محيطات المعلومات الخارجية، وبين قطرات المعلومات الداخلية؛ معلومات الخارج أكبر بكثير من معلومات الداخل؛ معلومات الخارج عن الداخل أكبر من معلومات الداخل عن نفسه. الاعتماد بالوساطة على مصادر معلومات. خارجية عن الظواهر الداخلية؛ تشكيل أجندة الداخل، تشكيل الرؤية والموقف من خلال حجم المعلومات المباح والمتاح. عناصر اهتمام الخارج بالداخل يفرض أجندة بحثية معينة، بينما في المقابل عناصر اهتمام الداخل بالخارج يفرض أجندة متمايزة وربما مختلفة. عناصر معرفة الداخل من خلال الخارج. تكوين عادات بحثية في سياق المعلومات ومصادر توافرها (عناصر الاعتماد الخارجي على سوق المعلومات الدولي)، صناعة الأجندة في إطار المعلومات، سلطة حجب المعلومات، عناصر عديدة لها كثير من التأثير لو تفحصناها في ضوء فكرة العولمة.

الثاني: اعتماد مقاييس العولمة في التعرف على الداخل، وهذه ضمن عناصر سوق المعلومات المتاح، إن بروز تقارير اتخذت صفة العالمية، بما لها من اهتمامات عالمية من منظورها، وبما لها من نظرة للظاهرة موضع التقدير توضح كيف يمكن توظيف المعلومات وتحريكها وتسكينها وتفعيلها، ولكن وفقاً لأسس مسكوت عنها لكنها كامنة يمكن الكشف عنها. مقاييس التنمية في تقارير التنمية التي تصدر عن المؤسسات الدولية والمالية من المؤشرات الواضحة والقرائن الدالة في هذا المقام. وهو ما يفرض رؤية في النظر والتصور بشكل غير مباشر للظواهر المختلفة المتعلقة بدول العالم الثالث على الأقل. وفي هذا المقام قد تعاني هذه المقاييس من قلة الكفاية، أو تدني درجة كفاءتها في تفسير هذه الظواهر، إلا أنه على ذلك تظل المعتمدة في هذا المقام، فضلاً عن أن هذه

المقاييس قد تستبعد، بل إنها قد تستبعد باليقين الرؤى الأقرب المتميزة للظواهر موضع البحث ومناهج النظر المختلفة والمتنوعة حيالها. إننا قد نكون أمام الحزام المعلوماتي الداخلي صناعة الرؤية للظواهر من خلال حجم المعلومات المتاحة.

الثالث: المعاصرة حجاب، والعولمة أحجب. يقولون إن المعاصرة حجاب بمقدار ما تؤثر الظاهرة الثائرة في مناهج التفكير بها، وبمقدار ما تمثل المعاصرة كاشفاً للظاهرة فإنها تلعب الدور الحاجب بالنسبة إليها، ومن هنا فإن للتحليل التاريخي ميزة، وكذلك للتحليل المعاصر ميزة، إلا أن ميزة هذا يعدُّ عيباً في الآخر والعكس صحيح.

وحينما تكمل هذه المقولة بأن العولمة إلى جانب المعاصرة تحكم حلقات الحجاب وتجعل دراسة الظواهر أكثر غموضاً، وأكثر انحجاباً، حتى لا تفضي بأسرارها ولا يهتك سترها إلا بصعوبة شديدة لاعتبارات الركام حولها، فإننا لا نبالغ في هذا المقام إذ قلنا: إن الحالة الحاجبة تتكرس في إطار الفيضان المعلوماتي المفرط، والحجب المعلوماتي المفرط؛ فكلاهما حاجب بهذا الاعتبار.

الرابع: يبلغ الفيضان المعلوماتي والإغراق حداً يصعب معه فرز المعلومات وبيان مدى أهميتها من خلال الاهتمام بها (زاوية الاهتمام - مجهر الاهتمام) وواقع الأمر أن هذا الاختلاط المعلوماتي، والفيضان، واشتمال المعلومة على الحجة ونقيضها، وتلوين المعلومة وسياقاتها، وتهوين المعلومة والتهويل منها، وتهميش معلومات بعينها، وعدم التوازن المعلوماتي وعناصر حبس المعلومة في الداخل، إنما يكرس حالة من حالات الفتنة المعلوماتية وفقاً لما يخلفه ذلك الأمر من عناصر وجدانية متفاعلة:

الإعجاب والانبهار بالمعلومات المتاحة وحجم هذه المعلومات. اليأس والإحباط من توفير المعلومات على النطاق الداخلي. وصول المعلومة الداخلية عبر مؤسسات الخارج مما يساعد على تكريس انقطاع العلاقة بين مصدر المعلومة الداخلي والباحث، وما يتركه ذلك من آثار. اضطراب المعلومات الداخلية كأمر مقصود. اضطراب المعلومات باضطراب مصادرها. التناحر المعلوماتي بين الفرقاء. اختلاف المعلومات.. وعناصر كثيرة في هذا المقام تخلق حالة معلوماتية تذر الحليم حيرانَ، وضمن هذا السياق يكون الجاهز هو المقدم ويملك حجية إضافية.

الخامس: التطفيف المعلوماتي وصناعة الرؤية، وضمن هذا المساق سنرى أن موضوعات بعينها قد تختفي من على أجندة الاهتمامات، فتقل معلوماتها أو تندر، ومع انعدام توازن معلوماتي بصدد موضوعات، وكل ذلك يسهم بصورة أو بأخرى - بوعي أو من غير وعي - في صناعة وبناء الصورة، وهذا من الأمور الواجب التنبه إليها.

السادس: حالة التسميم المعلوماتي وأولويات الأجندة البحثية. عملية التسميم هي محاولة لتبديل الوظائف من الأساسي إلى الثانوي، ومن الضروري إلى الحاجي إلى التحسيني، وهي محاولة لقلب الميزان أو اختلاله. اختلاط الأولويات وربط ذلك بحجم التوافر للمعلومات أو ندرتها عميلة جديرة بالتأمل والبحث.

السابع: اختلاط الجماعة العلمية والإعلامية في تناول الظاهرة السياسية يخلق حالة من الاختلاط المعلوماتي، وربما يجبر الأكاديمي ضمن الجماعة العلمية لأن يكون تبعاً له في مصدر المعلومات؛ وهي من الأمور التي تستحق المتابعة ومعرفة تأثيرها في المعلومات وإمكاناتها في بناء الرؤية والتعميمات والتقويمات.

الثامن: المعلومات ومدى توافرها وفجوتها قد تخلق حالة من الاتصال والانفصال في آن واحد بين الباحث ومصادر معلوماته، وبين المعلومات والاهتمامات، وبين المعلومات وطرائق المعالجة، كل ذلك في إطار ظاهرة العولمة جدير بالاعتبار والبحث والتأصيل. كيف يحدث الاتصال بمصادر المعلومة الخارجية؟ وكيف يتحقق الانفصال عن مصدر المعلومة الداخلي؟ كيف تنساب المعلومات وتنحبس؟ أمور كلها، تخلق علاقة اعتمادية واتصالية بالعالم، وتكرس علاقة انفصالية. عناصر الشبكة المعلوماتية في ظل العولمة صارت عالمية، أما الشبكة الداخلية للمعلومات فهي إما محتكرة أو محبوسة أو مكبوتة أو محفوظة أو مبددة أو ملونة ومحرفة أو متناثرة.. أو ممزقة أو مترهلة، أو تابعة، وهي حالات تكرس الاتصال الخارجي، وعناصر الانقطاع والانفصال الداخلي، ينطبق هذا بصدد حجم المعلومات المتوافر عن العلاقات العربية/ العربية، أو العربية الإسلامية؛ وإمكانات الوصول إليها، سواء في صعوبتها أو استحالة الحصول عليها من الداخل ويسر الحصول عليها من الخارج من الكتابات الغربية حول تلك الظواهر والموضوعات.

التاسع: قابلية المعلومات للاستطراق بين الداخل والخارج، وهذه من التجليات المهمة، فإن قابلية المعلومات للاستطراق من الداخل إلى الخارج عالية جداً، ومن الخارج إلى الداخل أعلى بل هي طاغية، بينما تظل إمكانات وقابليات هذه المعلومات للاستطراق منعدمة كما أنها غير قابلة للامتزاج بشكل ملفت للنظر بما يكرس عناصر الاعتمادية، إن المعلومات الخارجية (مجتمع المعلومات العالمي) قليلة الكثافة ومن ثم فهي الطاغية دائماً، وهي في متناول الاستخدام والاستعمال، بينما المعلومات الداخلية شديدة الكثافة وتهبط إلى أدنى وتغطى بغيرها من الخارج.. عمليات تشير إلى عناصر الاتصال والانفصال في المجتمع المعلوماتي في عصر العولمة.

العاشر: عشوائية الظواهر. حجب لتحليل الظاهرة إضافة لحجب المعلومة. جملة الظواهر المختلفة التي تتعلق بالداخلي هي حالة عشوائية، وفوضى، وهي تستدعي كمّاً هائلاً من المعلومات المتداخلة، وحقل المعلومات الداخلية قد تشوبه عناصر الفوضى والعشوائية، وتتحرك كل هذه الأمور صوب حجب التعامل مع الظواهر؛ تفسيراً وتحليلاً وتقويماً وتعميماً، يسهم في ذلك استقاء المعلومات الحاضرة، والأبنية المنهجية الجاهزة، وغير ذلك مما لا يسهم في بيان الظاهرة أكثر من حجمها.

غاية الأمر في هذا المقام ضمن عصر العولمة والبنية المعلوماتية التي تشكل أحد أعمدته الرئيسية وأهم عناصر بنيته التحتية، وفي إطار المقارنة بين حقل المعلومات الداخلي والخارجي؛ وأن الأمر في حاجة لتأسيس عناصر (فقه المعلومات) بما يعني التعامل معها تعاملاً واعياً واصطفاء وانتقاء وتوظيفاً وتأثيراً، ودون هذا الفقه فإن كل العناصر السابقة ستؤدي آثارها السلبية في الحقول المعرفية والبحثية والدراسية المختلفة، فضلاً عن الأجندة البحثية والقدرة على إعادة بنائها أو تشكيلها، أو على الأقل إعادة النظر بها ضمن أشكال تناول متنوعة ومبتكرة، نقدية وبنائية.

هذا الفقه يفرض عناصر مهمة تدخل في المعادلة (المعرفة والمعلومة قوة)، المعاصرة حجاب، حبس المعلومة واحتكارها، الفيضان المعلوماتي، عشوائية الظواهر، طبيعة الظاهرة السياسية الداخلية والدولية.. إلخ) عناصر معادلات مهمة تفرض علينا دراستها ضمن مواقف واعية من العولمة وآثارها في البنية المعلوماتية والمعرفية والبنية المفاهيمية والمنهجية، وجملة الحالة الأكاديمية والبحثية.

إن في إطار هذه الحالات الوجدانية التي تتولد وتولّد مواقف معرفية متعددة يمكن رصد عناصر الموقف الوجداني النابع من عدم القابلية للفعل والفاعلية، ذلك أن تمكن تصور كهذا، يجعل الموقف من العولمة موقفاً

قابلاً محايداً، لا فاعلاً أو مقوماً، ويستند هذا الموقف إلى التصورات التي تبرز مع كل أزمة، فتتراكم ضمن ما أسميناه "عقلية الوهن"[(١)]، إلا أن الأمر قد لا يرتبط بذلك فحسب؛ ولكنه قد ينبع من تصور يقوم على مقترب الشخصية القومية، كمقترب تفسيري يكرس كل الصفات السلبية باعتبارها جملة من سمات الشخصية الجماعية الأبدية، ولاشك أن هذا الموقف الوجداني يتحرك صوب القابلية المطلقة للعولمة بحلوها ومرها، بأطرها السلبية أو الإيجابية، فهي في موقف القابلية المطلقة، وهو يتساند مع تواتر إهدار القدرات، وتكرار إهدار الفرص لا استثمارها، بحيث لا يتصور أن هذه الأمة قادرة على التمييز فضلاً عن التصرف حيال الضرر ودفعه، أو تعيين المصالح وجلبها، حتى قد يعتبر البعض أنه (جلب الضرر).

١١- وضمن هذه السياقات المتفاوتة لرصد المواقف في إطار ما تولده من حالات وجدانية يأتي ما يسميه نعوم تشومسكي (هندسة القبول) أو (صناعة الموافقة)، وهي من الأمور التي أشار إليها ضمن عمليات

---

(١) سيف الدين عبد الفتاح: عقلية الوهن..، القاهرة: القارئ العربي، ١٩٩٠.
وضمن سياق الحديث عن المعلوماتية وارتباطها بالعولمة وآثارها يمكن..
- في إطار شبكة المعلومات وعناصر السيطرة ونقد العولمة في هذا المقام انظر:
ريتشارد فولك: شبكة الإنترنت بين الرغبة والرهبة، نحو سيطرة سياسية من نوع جديد، لوموند دبلوماتيك، النسخة العربية، نوفمبر ١٩٩٦، ص٣٢.
يؤكد ناي وصاحبه كيف سيكون من السهل على أمريكة أن تسيطر سياسياً على العالم في المستقبل القريب وذلك بفضل قدرتها التي لا تضاهى في إدماج النظم الإعلامية المعقدة. ويعتقد أن تعريف السياسة الجغرافية الذي أخذ يسود أكثر فأكثر، هو أنها طريقة التحكم في القوة اللامادية أو القوة الناعمة، أي تقنيات الإعلام التي ترسم حدود فضاء التوجيه والتحكم الآليين والفضاء السبراني.
انظر أيضاً أثر المعلوماتية في شن الحروب: جان غيز فيل وذلك يخدمنا أيضاً في شن الحروب، لوموند دبلوماتيك)، نوفمبر ١٩٩٦، ص ٢١.

الترويج (الإعلامية، والسياسية، والإعلانية، والعلاقات، وصناعة الصورة.. إلخ) وهي عمليات تحدث حالة من الموافقة الإذعانية في صورة قبول، إنها تشير إلى حالات الإكراه المعنوي التي تعتبر أكثر تخفياً وأقل بروزاً وظهوراً بحيث يمكن رصدها بيسر وسهولة، هذه الحالة تعبر عن موقف كثير من الأطراف الداخلة ضمن (العقد الدولي للعولمة) بكل تجلياته وتنوعاته، وذلك ضمن إطار أصبح يجعل من التحدي مخاطرة كبرى، ومغامرة غير محسوبة، بل إنها عمليات غير مرغوبة أبداً في ظل تشابك العلاقات والمصالح، وضمن متوالية إذعان شديدة الإحكام تستقي مشروعيتها من عناصر التبعية من جهة، وإمكانات السيطرة والهيمنة من جهة أخرى، وصكوك غفران صاعدة، وشهادات تبييض الوجه وإبراء الساحة، كل ذلك يضمن تكريس الإذعان.

١٢- وضمن هذه السياقات الوجدانية المتعددة يأتي واحد من أهم المواقف التي يستثمر فيها عناصر الموقف المختل بفعل التأثير الوجداني المعتل؛ إنه موقف يستثمر تلك الحالة الوجدانية العامة التي تنتج حالة من حالات عدم الوعي، وعدم الفاعلية على حد سواء، فهي جميعاً تتكاتف وتتساند بحيث تمنع من الموقف الصواب المرتكز إلى الوعي، والمترتب عليه الفاعلية والسعي.

هذا الموقف يمكن تلخيصه في استخدام كل عناصر التبشير، في إطار الحديث عن العولمة باعتبارها خيراً عميماً ستؤتي آثارها الإيجابية لكل المعمورة، وأن عدم اللحاق بها نوع من الخبل أو الجنون، والتحفظ عليها غير مفيد، وإن واقعها أوضح مما يمكن إنكاره أو مواجهته أو البحث في سلبياته، ومن هنا فإن الموقف التابع لهذه الحالة الوجدانية يتحرك ضمن تجاوز مسألة القبول والفرز، ومحاولة الانتقال إلى مرحلة ما بعد القبول، وذلك ضمن صياغات شديدة العموم والتعميم من مثل

(ضرورات التعايش الخلاق مع العولمة أو الكونية) فنحن أمام ثورة كونية، وغالباً ما يحاول هذا التوجه أن يضفي على موقفه ذاك غلافاً معرفياً وتغليفاً منهجياً يتحرك صوب فكرة انهيار البراديمات، ويجعل من العولمة إحدى صور هذه النماذج الزاحفة التي سيكتب لها الاستقرار معرفياً وواقعياً ضمن مساقات مختلفة.

ورغم أن هذا الموقف لا يخلو من بعض عناصر الصحة، إلا أن التحفظ تجاهه يأتي في توظيفه لعناصر الصحة تلك، ورغم أن بعض عناصره تتسم بالصحة والصدق لتعبر عن جزء من (الصدقية) وتمام الكلمة والموقف، إلا أنها مع توظيفها تفتقد عنصر (العدل) في تمامها، من حيث إنه ينتقل من بعض عناصر الصدق إلى عناصر العدل، على تمايزهما، وذلك لاعتبارات التوظيف ومقاصده وغاياته، وهذا الأمر قد وجد تراثاً مهماً ضمن الذاكرة التراثية دلت عليه الكلمة الشهيرة التي أطلقها الإمام عليّ بن أبي طالب: "هذه قولة حق يراد بها باطل"، فالقول الحق لا يراد به دائماً الحق؛ ولكن قد يبدل مقصوده، مستثمراً عناصر الصدق والأحقية فيه لبلوغ المقصود، وإن لم يتوافق مع قيمة الكلمة والموقف. ومحاولةُ رؤية هذا الموقف وتفكيك خطابه من الأهمية بمكان؛ لأنه يستثمر كل آليات التبشير المتعلقة (الانفعال، والافتعال، والإغفال)، بل وخلط صدق المحتوى بانحراف المقصد، وكل ذلك ضمن آليات شديدة التنوع، ومن أهمها - ونحن بهذا الصدد - استخدام كلمات أقرب إلى الشعارات؛ يمكن حفظها من دون أن ترتب عناصر حركة ذات آليات ووسائل وذات عناصر محددة للتفعيل والتشغيل، وقد تكون تلك الكلمات بديلاً عن كلمات أخرى أكثر تعبيراً عن الموقف، والحال الذي نحن بصدده، ذلك أن كلمات مثل "التعايش الخلاق" قد لا تشير مع عدم تفصيلها إلّا على البحث عن موضع قدم ضمن حركة وعملية العولمة، والقبول المطلق لها، وامتلاك بعض أدواتها، وفي كل الأحوال فإن هذا

الموقف مستثمراً تلك الحالة الوجدانية العامة لا يحاول أن يقترب من جملة الأسئلة التي يجب المبادرة بالتساؤل عنها وأهمها:

١- ما هو ذلك التعايش؟

٢- ماذا تعني صفة (الخلاق) فيه؟

٣- ما شروط ذلك التعايش؟ والإمكانات التي ترتبط بتوافرها؟

٤- ما الموانع والعقبات التي تحد من عناصر ذلك التعايش؟

٥- هل التعايش ضمن بنية هيكلية تتضمن كثيراً من المعادلات الشائهة في أصول النظام الدولي، أمر ممكن؟ وكيف يكون خلاقاً في هذا المقام؟

٦- هل يمكن تحويل ذلك (التعايش الخلاق) إلى آليات تحفظ أصول المصالح الكبرى، لا التحول إلى أن تكون تلك صورة من صور أدوات للأقوى أو للمتحكم في عناصر الفاصل في النظام الدولي؟

٧- كيف يمكن التأثير في عملية العولمة، والتعظيم من إيجابياتها على الكيان والتقليل من سلبياتها؟

٨- هل تعتبر العولمة نموذجاً معرفياً؟ وكيف صارت كذلك؟ هل صارت إلى ما صارت إليه بفعل التفسير (الكوني) نسبة إلى (كون) في كتابة بنية الثورات العلمية، أم ما يمكن تسميته بصناعة البراديم وفق علاقات القوة الظاهرة والكامنة؟[1].

---

(١) Kuhn, ob, cit.

انظر أيضاً:

السيد ياسين: الوعي التاريخي والثورة الكونية، حوار الحضارات في عالم متغير، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٩٥.

تساؤلات متنوعة ومتعددة يطول بنا المقام لو أردنا تعديدها بحيث تشكل منظومة مهمة من الأسئلة من الواجب إيضاحها حيث يجب الإيضاح، أو التفصيل في إجاباتها حيث يجب ذلك، والحديث عن تلك الأمور العامة بأكبر قدر من التفصيل والحديث عن الآليات والوسائل، ذلك أننا بصدد الحديث عن (عملية العولمة) التي تتعامل مع واقع شديد التعقيد والتداخل والتشابك؛ وربما هذه التساؤلات تتيح لنا عناصر وصل كل هذه العناصر الراصدة للحالة البحثية والوجدانية على حد سواء من ضرورة الحديث عن نقطة تصل ما نحن فيه بمقدمة الحديث عن بروز العولمة وتكييفها. ودراسة مفصلة حول خطابها العربي والمسلم أمر جدير بالدراسة(١).

(١) يزمع الباحث القيام بدراسة تفصيلية للخطاب العربي والإسلامي حول العولمة وتصنيف اتجاهاته، قارن في هذا المقام في إطار الخطاب حول العولمة في العالم العربي: سعد الدين إبراهيم: العولمة والهوية العربية - خواطر حول جدل المثقفين العرب عن الحاضر والمستقبل، ورقة غير منشورة، ١٩٩٩م.

المستوى الثاني

قراءة التشريح والترشيح

وصلاً بالنِّقاط السابقة التي أشرنا إليها في مفتتح تلك العناصر التي نبهنا إليها والمتعلقة ببروز فكرة النهايات ثم إرهاصات فكرة المابعديات، وإضافات النظام العالمي الجديد، ثم مفهوم العولمة الذي برز ضمن مرحلة انتقالية ليعبر عن العالمية، ثم المذهبية الإيديولوجية، ثم العملية، وما استطاع أن يحركه من حالة بحثية ودراسية وأكاديمية، وحالات وجدانية موازية تراوحت بين القبول المطلق، والرفض المطلق، كاتجاهين حديين، وبين عناصر التبني والتجني، وتفكير لا يغادر هذه القسمة الحدية من دون وعي، وانطلاقاً من النظر البسيط والاختزالي والجزئي والتجزيئي أي ببادي الرأي، لا يتفحص عناصر ما نحن فيه ودراسته بعمق، وضمن أصول معرفية، وقواعد منهجية، وجدية بحثية، ولياقة وملاءمة منهجية، فأنتجت تلك المواقف التي سبقت الإشارة إليها، كل منها استند إلى عناصر حالة وجدانية أثرت في عالم الأفكار في المواقف والأشخاص والأشياء والأحداث والرؤية لها على انفرادها وحال اجتماعها وتفاعلها في سياق منظومة متكاملة. في هذا المقام فإنه من المهم بداءة أن نتساءل: هل هذه أول مرة يبرز فيها المفهوم؟ ولماذا لم يملك الانتشار حينما أطلق إن أطلق في فترة زمنية قبل ذلك؟ هل في العولمة شيء زائد على المفاهيم التي أطلقت قبل ذلك؛ وهل هي تتعلق بها؟ هل العولمة يمكن أن تحرك عناصر بحثية تمكننا في سياقاتها المختلفة وتجلياتها وبناء خريطتها

وعناصرها من اتخاذ موقف واعٍ وناهض وفاعل بكل شروطه والوعي بها، وموانعه والقدرة على التعامل معها، والموقف المركب القادر على التعامل مع كل عناصر منظومة الفعل الحضاري وفق القوانين والسنن المرتبطة به والقادرة على تحليله وتفسيره وتقويمه؟

الأمر يحتاج منا إذن إلى الانطلاق إلى وصف الحالة البحثية ضمن تفعيل ما يمكن تسميته (بخريطة المفاهيم)، والبحث في مفهوم (العولمة) كحالة تطبيقية، بل وتجريبية في إطار تنسيق أكبر قدر من المعلومات المتاحة وتصنيفها؛ بما يحرك عناصر فهم أدق وأعمق وأوضح وأكثر تنظيماً، وهو أمر يتحقق من خلال النظر إلى عالم المفاهيم ضمن علوم مختلفة تتقاطع وتتفاعل بحيث تعطي عناصر (المفهوم) المراد العمل به، الاعتبارَ المنهجيَّ اللائق بما يتناسب مع وظيفة ودور المفاهيم في العالم وصياغة نظرياته الكبرى.

خريطة بناء المفاهيم ومفتاح قراءاتها[١]

. . . .

---

(١) انظر: سيف الدين عبد الفتاح: محاضرات في مادة النظرية السياسية - النظرية السياسية التحليلية وعملية بناء المفاهيم مع التطبيق على مفهوم العولمة، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٩٨م.
قارن محاولة أخرى قيمة: د. محسن أحمد الخضيري: العولمة: مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة، القاهرة: مجموعة النيل العربية، ٢٠٠٠. (انظر فصل ماهية العولمة، خاصة ص ١٠ وما بعدها).
- انظر في تعريف العولمة وصعوبة تناول الظاهرة:
د. علا الخواجة: الآثار الاجتماعية للعولمة في دول الخليج، مشروع دراسة مقدم إلى مؤتمر العولمة والعالم العربي في معالجة الجوانب الاقتصادية. انظر:
د. الفونس عزيز: الوطن العربي ومواجهة تحديات العولمة، وفى الجوانب السياسية وتأثيراتها على العولمة، انظر:
هدى ميتكيس: الآثار السياسية الداخلية للعولمة، د. صلاح سالم زرنوقة: مفهوم =

. . . .

= العولمة، تعريف العولمة وتحديد أبعادها، دراسة مقدمة إلى مؤتمر (العولمة والعالم العربي)، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، ١٧ - ١٨ مايو ٢٠٠٠م.

انظر في تعريف العولمة: أ. د. جودة عبد الخالق: العولمة والاقتصاد السياسي للدولة القومية، الموسم الثقافي لقسم العلوم السياسية، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، أبريل ٢٠٠٠م.

إذ يعرف العولمة بأنها عملية لإعادة تعريف الحيز، هي عملية فك وإعادة تركيب كبرى للكيانات بما يترتب على ذلك من إعادة تعريف الحيز على أكثر من مستوى وفي أكثر من مجال، إعادة تعريف الحيز في أبعاده السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها من الأبعاد.. وهي بهذا عملية شاملة، لها من الرموز التي يسلط الضوء عليها أو يتخذ بشأنها المواقف.

ومن أهم الكتابات التي ميزت بين هذه الأمور جميعاً انظر:

Martin Ablrow, The Global Age: State and Society beyond Modernity, Cambridge & Oxford: Polity Press, 1996. pp.75-96.

ومن المهم أن نشير إلى أهمية هذا الكتاب في استعراض بعض القضايا العربية التي يجدر التوقف عندها، انظر على سبيل المثال الفصل التاسع الذي عنونه المؤلف "The Global Age Hypothesis".

- في إطار أيزو ISO المفاهيم انظر: علي القاسمي، مقدمة في علم المصطلح، القاهرة: مكتبة النهضة المعدية، ط٢، ١٩٨٧، ص ٣٤-٥٥ ويشير إلى تطور محاولات ISO المفاهيم.

-Barbara Snell (ed). Tern Banks for Tomorrow's World, Translating and the Computer (4), London Press Center (A slib), 1983

Unesco, Infotern Series (8) Networking in Terminology International Work, New York, London, Press, 1956

- انظر في أطروحات العولمة واتجاهاتها ونقدها في: أ. د نادية مصطفى: التحديات السياسية الخارجية للعالم الإسلامي ضمن مشروع: دراسة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل، رابطة الجامعات الإسلامية، ١٩٩٩ ص ٢٧ - ٧١.

- في محاولة تعريف العولمة تعريفاً إجرائياً والإشكالات المنهجية التي تتعلق بذلك:

James Reseneau, the Dynamics of Globalization Toward an Operational Formulation, Security Dialogue, val 2b (3), 1996, pp.244-262.

خريطة المفاهيم تتكون من مجموعة مهمة من المستويات لابد أن يتفحصها الباحث، حينما يكون المفهوم من ضمن المفاهيم التي تكون على مستوى العولمة؛ هذه المستويات عشرة توضح الإمكانات والمفاتيح لذاتها ضمن هذه المستويات على تداخلها، وهي قد تتشابه مع نوعيات الخرائط التي يقرأ كل منها مستوى مهماً في عالم المفاهيم. ومن هنا تكون هذه القراءات مع تداخلها وتمايزها عناصر مهمة.

١- المستوى المتعلق بوصف المفهوم وتحديد طبيعته، ومكانه من البنية المعرفية والواقعية، والدور الذي يقوم به وعليه، بل والدور المحتمل، وهو ما يحدد عناصر تسكين المفهوم ضمن البنية المعرفية، والمفاهيمية، وقدراته في استدعاء مفاهيم أخرى، وقابلياته التجميعية.

٢- المستوى المتعلق بالدواعي الأساسية التي تجعل من المفهوم حالة دراسية نموذجية؛ الضرورات العلمية والأكاديمية والمنهجية من جانب، والقدرات العملية من جانب آخر من أهم العناصر التي يجب التوجه إليها ونحن بصدد التعامل مع هذه المفاهيم.

٣- المستوى المتعلق بالإمكانات المحيطة بعالم المفهوم على تعددها وتنوعها، إنها إمكانات تتحول إلى وسائل، ووسائل تتحول إلى قدرات، وقدرات قابلة للتثمير والتفعيل والتشغيل والتأثير، وهي تشمل عناصر متكاملة، إذ ما رُئيت في حجمها وفي مكانها وإمكانية تسكينها.

٤- العمليات المتعلقة بالمفهوم، وهي عمليات مهمة ترتبط بأي مفهوم إلا أنها لا تتم على نحو واحد، ولكنها تختلف، كما أنها لا تتعرض جملة لكل المفاهيم، وهي عمليات قد تشير إلى حقل المفاهيم الذاتية، والمفاهيم الوافدة، والمفاهيم الرحالة، والمفاهيم المنقولة.. إلخ.

٥- المستويات والعناصر المختلفة في عالم المفاهيم من القضايا المهمة، دراسة المفاهيم الشاملة تشير على الباحث بذاتها إلى

سعتها المتميزة، وإلى امتداد العناصر الدالة عليها في الواقع، ورؤية العناصر البنيانية من جهة، والمستويات الدالة من جهة أخرى يحرك بحثاً تشريحياً للمفهوم.

- اتجاهات بناء المفهوم (البناء الإجرائي، التعريف اللغوي والمعجمي، غلبة عنصر على عناصر،.. إلخ).

٦- الوسط والبيئة المحيطة بالمفهوم من الأمور التي تنظر إلى عالم المفاهيم ضمن بيئتها المعرفية والواقعية (علم اجتماع المعرفة) وهي من الأمور الواجب البحث فيها وعنها.

- الأجندة والمفهوم.. المفهوم وفق تعريفه قد يفرض عناصر أجندة ويملك عناصر تصنيف وتوظيف.

٧- العلاقات المتعلقة بالمفهوم في ذاته، سواء أحاطت به من داخله أم من خارجه هي من الأمور المهمة، بما يشير إلى عائلة المفاهيم، والعلاقة بين مفاهيم متنافرة، أو مفاهيم ليست من جنسها، أو مفاهيم ترتبط ولكنها لا تنتمي، علاقات كثيرة تثير عناصر مهمة في التحليل.

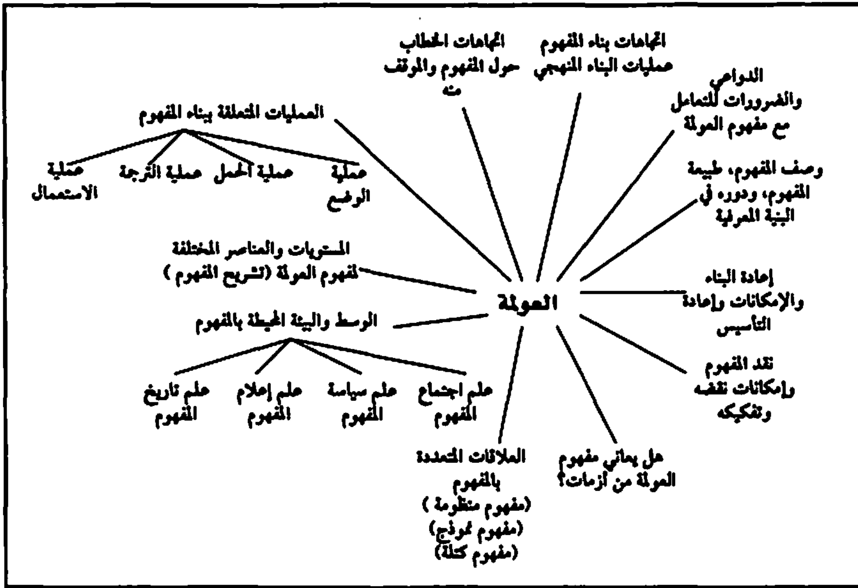
٨- الأزمات غالباً ما تتعلق بالعمليات، والخلل في العمليات يجلب أزمات، إلا أن العناصر الأخرى ذات تأثير أكبر في رصد هذه الأزمات وصورها، وعناصر الكشف عنها في شبكة المفاهيم واستدعاء غيرها، ومقاصد الاستدعاء.

٩- الخطوة السلبية في عملية إعادة بناء المفهوم تتضمن إمكانات النقد التفكيك، وهي عمليات التقويم على مستويات متعددة تحرك أصول بحث مهمة كمقدمة لإعادة البناء.

١٠- تلاقي أوجه القصور هو مدخل لإعادة البناء الذي يعبر عن استقلال عملية البناء بآليات إضافية في هذا المقام، وهي خطوة مركبة

تستفيد من كل العناصر السابقة في الشرح والتفسير والتحليل والتقويم وموضع المفهوم في البنية النظرية والمعرفية، وإمكانات ما بعد البناء من تفعيل وتشغيل.

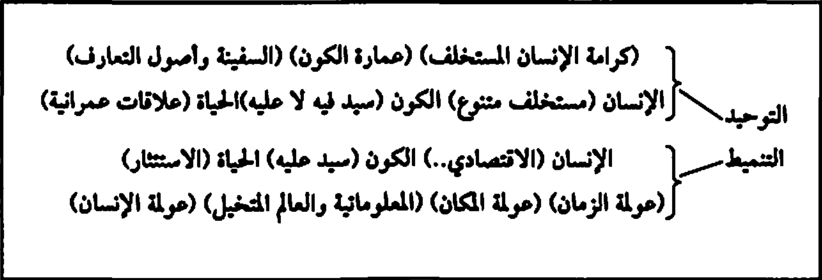
في هذا الإطار يمكن تجريب الخريطة المفاهيمية وتطبيقها على مفهوم العولمة (العمليات الأساسية ما قبل إعادة البناء).



رؤية العالم والنموذج الإرشادي والعولمة

الإسلام بما يؤكده من أنساق (عقدية) (معرفية) (فكرية) (قيمية) (حضارية) يقدم رؤية كلية جامعة يؤصل فيها: رؤية العالم.

والعولمة بما تعتبر ذاتها عملية ليست إلا انعكاساً لأنساق.



العولمة باعتبارها نموذجاً إرشادياً

رؤية للعالم — نسق مفاهيمي — نسق تحليلي وإطار نظري — نسق تفسيري — أجندة أجدر بالتناول

رؤية للعالم:
النسق العقدي
النسق المعرفي
النسق القيمي
إطار المرجع
الأنساق القياسية

نسق مفاهيمي:
عولمة المفاهيم ومفاهيم العولمة
المفاهيم الحضارية
المفاهيم المفتاحية
المفاهيم المنظومة
المفاهيم الكتلة

نسق تحليلي وإطار نظري:
العالم وحده تحليل
المواحدات الفرعية
مستوى للتعاليم الدولية
العالمية/ المواطن العالمي
المجتمع المدني العالمي
/ السوق العالمي مداخل
التحليل - إطار التحليل

نسق تفسيري

أجندة أجدر بالتناول:
القضايا
الموضوعات
الإشكالات

العولمة:
الرؤية للعالم
النسق المفاهيمي
النسق التحليلي والإطار النظري
النسق التفسيري
أجندة البحث الأجدر بالتناول (الإشكالات البحثية)

العولمة - المكان الزمان والإنسان وإعادة تعريف الحيز

يتحدث آري في كتابه عن (المكان) و(الزمان) كمادة للاستهلاك في ظل تطور الرأسمالية، فالزمان يتم توظيفه مورداً اقتصادياً Time is Money، والتوقيت (المواقيت) لا يتحدد في ظل الرأسمالية بالتفاعلات الاجتماعية التي تتم فيه بل بالمنافع المادية التي تعود منه، بما في ذلك وقت الفراغ والسياحة وتحولها إلى معنى وصناعة تهتم (بالمتعة) وليس بالثقافة أو السعادة. وتأتي المدينة هنا تمثل نقطة التقاء حركات الناس ورأس المال والمعلومات: بؤرة ذلك كله Focus for flow of capital, infor. And people وبشكل أو آخر فإن أفكار آري توضح كيف أنه في ظل الرأسمالية تحول الإنسان إلى مستهلك (للمكان) و(الزمن) إلى حد استنزاف المكان (مشاكل البيئة)، لكنه في الوقت ذاتِهِ عبر تحليله نرى كيف أن هذه العملية في حد ذاتها تستهلك الإنسان وتستنزفه.. وإذا كان (آري) قد تعرض لمشكلة استهلاك الأمكنة فإننا يمكننا تطوير أفكاره عن (المدينة) وظاهرة التحضر في عصر ما بعد الصناعة لنتحدث نحن عن الأمكنة المستهلكة للبشر، المستنزفة لهم إنسانياً، ونعيد اكتشاف مفهوم الاغتراب، ورد الاعتبار له وعلاقة الإنسان بالمكان، وما زال هذا البعد في فهم المدينة الإسلامية أو الشعور الإسلامي للاجتماع والعمران الإنساني لا كعلاقات فقط بل كعلاقات تتطور في حيز مكاني وزماني مسألة في غاية الأهمية بل والخطورة عند الحديث عن الإسلام والعولمة، إذ مازال حديث القيم هو السائد دون تسكين هذه القيم في مكان وزمان وتقديم تصورات إسلامية أصيلة وبديلة للإنسان والزمن والإنسان والمكان.. والقيم وسياقاتها المكانية، فهل يمكننا دون وجل أو تردد الخوض في مسألة (عداء) (المدينة) كمكان وبنيته للإنسان.. وللقيم.. وللمتجاوز؟ خاصة مع تحول المدينة الكوزموبوليتانية إلى سوق رأسمال عالمي أفقدها حتى جذورها الفلسفية التي كانت تربط بين الحضر والتحضر، وهدمت وفككت هذه

العلاقة..، فهل مطلوب من الإسلام كي يكون متطوراً أن يقبل المدينة بهذا النمط ويمرر (العولمة الرأسمالية) ويقبلها بعد أن انفكت هذه العلاقة وأصبحت الأمكنة معادية للإنسان.. بل للتاريخ؟[١]

ومن المهم كذلك أن نشير إلى استنزاف الزمن سواء بتأميم التاريخ لمصلحة الحاضر، والمصادرة المستمرة للحاضر في ضوء مستقبل متخيل يعبر عن ثقافة ترتبط بالجديد / الحديث في تجاوز مستمر لا يرسخ عناصر النفع والصلاح، أو ملء الزمن بعناصر نفعية مادية Time is Money، أو بضغط الزمن وسرعته المستنزفة للإنسان اللاهث خلفه، وضمن سياقات (التجاوز داخل الحضارة) (أو اللحاق للدول الأقل تقدماً أو النامية)، يعبر عن ذلك استبدال أجيال التقنية بأجيال البشر. وكذلك في مقالة أبو لغد الذي يلمس فيها القارئ فكرة مراجعة سلطة الدولة وطغيان الرأسمالية

(١) - Jhon Urry, Consuming Places, London, Rovtledge 2 nd ed, 1997, PP 1-29

- في إطار دراسة الحواضر بوصفها ظاهرة صارت واحدة من مؤشرات العولمة (الكوزموبولتان)، انظر ما يشكل إرهاصات لدراسة هذه الظاهرة، والإشارة إلى نمط السكان والعيش والاتصالات وأنَّ المجتمع سيكون معقداً، وستزداد وسائط النقل آلية وابتعاداً عن الخصوصيات وستكون سريعة ومتشابهة، هذا النمط من العيش، وهذا النوع من السكان قد يغدوان شكلاً يسود العالم طراً.

انظر في ذلك دراسات عن مجلة ديدالس، حاضرة المستقبل، ترجمة: محمود حمدي، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦، ص١٤.

لاحظ بعض المقالات المهمة التي تشير إلى ذلك.

- في إطار الربط بين الحداثة والزمان والمكان وإعادة تعريف الأحياز؛ الحيز المكاني؛ التفسيرات التاريخية والزمنية للتغير الاجتماعي؛ الأحياز الإعلامية والإثنية والتكنولوجية والكيانات الاجتماعية والسياسية والثقافية الدولية التي تحل محل نظيراتها القومية....

مايك فيذرستون وآخرون: محدثات العولمة، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المشروع القومي للترجمة، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م.

ومقاومة التهميش الاجتماعي الذي يبرز أكثر ما يبرز في المدن عبر النظر للمساحة والحيز المكاني في علاقته بالبشري / الإنساني وهي تؤكد على أن مواجهة أفكار جون ويدمن تتم بتقسيم مكاني للمدن إلى spaces (أحيزة) أو مساحات territories لاستعادة المحلية locality وذلك إلى مساحات جيرة يمكن استعادة البعد الإنساني فيها، وبذا تنمو الحركات الاجتماعية التي لا تنشأ إلا بعلاقات تحقق غايات مشتركة(١).. كما أن المساحات الصغيرة هي شرط الفاعلية والمبادرة والسيطرة في مواجهة سيطرة السوق والمكان.. وهذه أطروحة Papworth في كتابه الذي يربط فيه بين المساحة والفاعلية Scope، وهناك وعي بارز في النظرية الاجتماعية والاقتصادية بين الباحثين بالعلاقة بين الكفاية والـ Scope والـ Space، لكنها كفاية وفاعلية تتفاوت مقاييسها ومعاييرها، والعولمة هي الرأسمالية في تطورها الذي يعطي أولوية للاقتصاد على الاجتماع، وينتقل من الديمقراطية الليبرالية إلى الليبرالية الديمقراطية، وبذا فإن معيار الكفاية يجنح للاتساع والسيطرة والسوق العالمي، في حين يتراجع الإنساني/ القيمي في هذه الحسابات(٢).. إن الانتقال الذي وصفه Richard Bellamy هو الانتقال من الليبرالية الأخلاقية إلى الليبرالية الاقتصادية(٣).

---

(١) Janet Abu Laghad "Civil/Uncivil Society: Confusing Form with Content" in Mike Douglas and John Friedman (eds) Cities for Citizens: Planning and the Rise of Civil Society in a Global Age, New York, John Wiley and sons, 1998, pp.227-237.

(٢) John Papworth
Small is Powerful: The Future as if People Really Mattered, London: Adamantine Press, 1995.

والذي طور فيه رؤية شوماخير في كتابه الشهير
E. F. Schumacher, Small is Beautiful. London: Blond and Friggs, 1974.

(٣) انظر
Richard Bellawy, Liberalism and Modern Society, Cambridge: Polity Press, 1992, pp.1-8.

ولم تكن جانيت أبو لغد وحدها هي التي لاحظت مع غيرها من حقل الأنثروبولوجيا عدم مثالية الحديث عن مجتمع مدني (مديني / متحضر/ حضاري)، وأن هذه الصورة التي قدمت في مقابل الدولة المهيمنة المسيطرة تخفي العنف الكامن داخل هذا المجتمع مع نمو المدينة حجماً، وتطورها علاقات وتركيباً واقتصاداً وسوقاً، بل كان الفكر السياسي أيضاً يرصد هذا التحول وإخفاق هذه (النيات الحسنة) للحداثة عند التطبيق في واقع الرأسمالية المتوحشة (كما يصفها د. رمزي زكي)، ومن أكثر الأطروحات بلاغة كتابات جون كين[١] عن العنف ونظراته في إخفاقات الحداثة داخل المكان / المدينة.

وليس فقط (الإنساني) هو المهدد.. فقد يرى أنصار الحداثة أننا نقصد بالإنساني (المتجاوز) وهم يريدون تصوراً للإنسان أكثر (وجودية) من ذلك، لا بأس، لكننا نلفت النظر إلى أن المهدد هنا أيضاً في ظل عولمة السوق وغلبة الاعتبارات الاقتصادية على غيرها أن الديمقراطية ذاتها (كجوهر) مهددة..، فالمدن الكوزموبوليتانية التي تشهد انقسامات طبقية حادة، ودرجة تهميشية عالية، ترفع من معدلات الفقر التي تتجلى في مناطق أو أحزمة الفقر في المدينة، تتحدى مفاهيم المواطنة من اشتراك جماعة سياسية في الوعي والقيم ودفاعها عن القيم الحضارية (الحضرية) Civic virtues والمشاركة السياسية، وكلها أفكار تصطدم في الواقع بالانشطارات الثقافية والطبقية في المدينة العالمية المتعولمة، فماذا يبقى من الديمقراطية في ظل العولمة.. هذا السؤال الذي يشغل النظرية السياسية الليبرالية الآن[٢].

---

(١) انظر

John Keane, Reflections on Violence, London: Verso, 1996 Pp. 107-128.

(٢) انظر على سبيل المثال الكتاب الهام:

David Held, Democracy and the Global Order: From the Modern Stake to Gosmopolitan Governance, Cambrige, Polity Press, 1997.

إن الحديث عن علاقة الإسلام بالعولمة أو موقفه منها يجب أن يتجاوز التوفيق بين الإسلام والعولمة "ليندمج في هذا العالم الجديد، ويقوم برسالته من خلال تطويره وتجديده بالاجتهاد"، وليس كما نكرر دائماً في المنتديات الفكرية ونداقع عنه ضد تهم التخلف، وإنما علينا أن نسأل: ما هي إشكالات العولمة مع الإنسان والمجتمع، لأن الإسلام في جوهره رؤية للعالم بما يشتمل على رؤية للإنسان والمجتمع الإنساني، ومقاصده هي مقاصد حفظ إنسانية هذا الإنسان وتماسك هذا المجتمع، وذلك في الزمان والمكان وعبر التاريخ.. كلٌ لا يتجزأ.. ومنظومة مترابطة معادية للتفكيك موالية للإنسان..

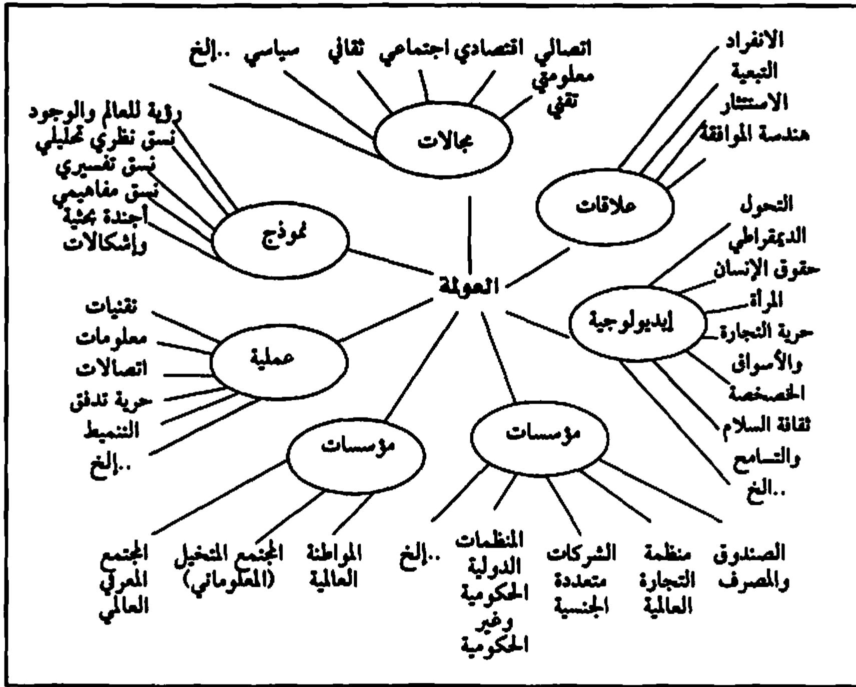
فإذا كانت العولمة تتحدى ذلك الإنسان.. وتفتت المجتمع وتنشئ ما سماه زيجموند باومان بالتجمع Togetherness على أنقاض المجتمع، ليعيش البشر في مدن كبرى، لكن بروح فردية وجماعية هي بقايا وفتات[١] (Fragments). فالقضية ليست رفضاً أو قبولاً، إنما الإشكالية الأكبر هي طرح الأسئلة الحقيقية وإدراك طبيعة العولمة التي نتحدث عنها: طبيعتها الحقيقية لا المتوهمة، حتى نستطيع التعامل مع قضاياها بوضوح.. وبشكل متفاعل، ونقدي، وتوليدي بناء، بدلاً من التعامل مع أسطورة كأساطير سبقت، فالدولة القومية كانت في حينها قضاءً لا مرد له، وحتمية تاريخية لبناء أمة ودولة لا دافع لها، فتم بناء الدولة على أشلاء الأمة، وتبين الآن في مرحلة (ما بعد) القومية ما فعلته (الدولة القومية) كمفهوم من جرائم في حق المجتمع.. بشراً.. وجماعات.. وقبائل.. وشعوباً.. وثقافات.. وحدوداً.. وتفاعلات.. وأبنية.. وقيماً.

المهم أن نتعامل مع عولمة حقيقية لا متخيلة.. وألا نسقط في

---

(١) Zygmunt Bavman, Life in Fragments: Essays in Postmodern Morality, Oxford: Black Well, 1995..

هاوية تصور متخيل للعولمة، يمكن أن نطلق عليه وصف "Virtual Construction of Globalization"(١) كما ابتلعنا في صمت من قبل منظومة مفاهيم دون مراجعة التي كانت "Imagined" بدورها. فمن يجرؤ على التفكير والفهم والتفسير والتحدي وتقديم البديل؟ البديل الإنساني الإسلامي.



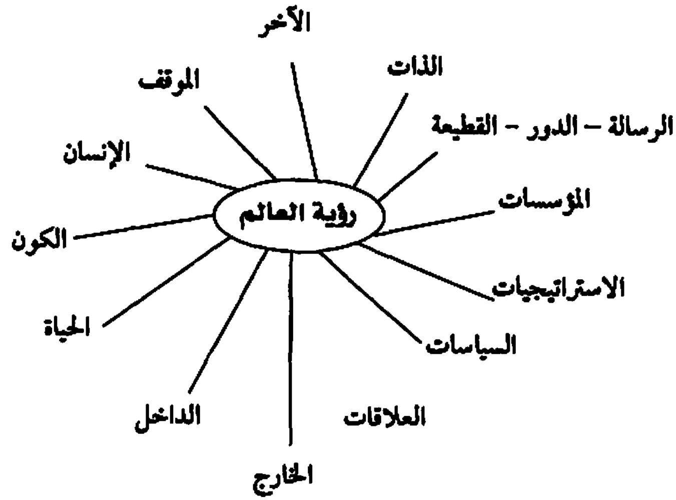
(١) David Holmes, Virtual Politics: "Dentity and Community in Cyberspace, London: Sage, 1997.

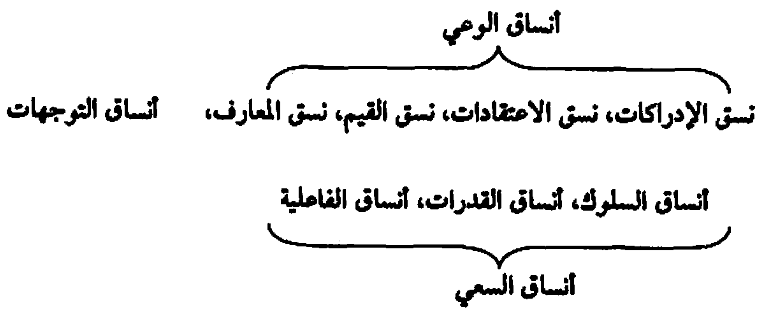
- من الكتابات المهمة الواصفة للحالة المعلوماتية ومجتمع المعلومات وعلاقاته بتشكيل المجتمع العولمي وما يتركه من آثار في الزمن والمكان والمجتمع:

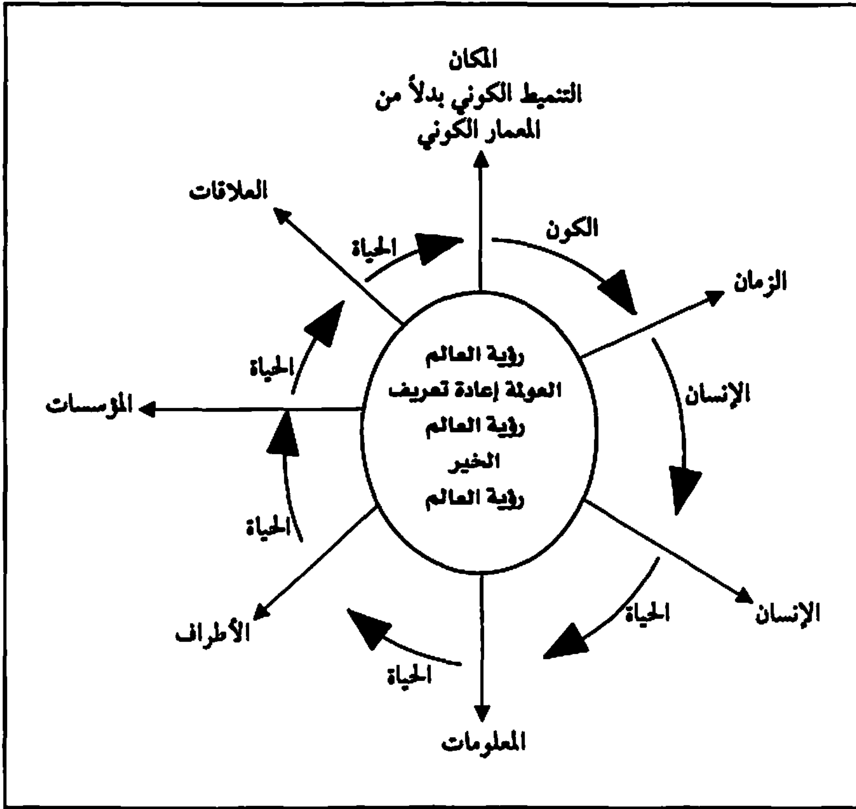
Manuel Castells, the Information Age: Economy, Society and Culture: The Rise of the Network Society, Blackwell Publishers Imc. third Edition, 1998, Vol. 1.

ومن المهم مطالعة المجلدين المكملين:

vol. 2 (The Power of Identity)
vol. 3 (End of Millennium)


الآخر
الموقف
الذات
الإنسان
الرسالة - الدور - القطيعة
المؤسسات
رؤية العالم
الكون
الاستراتيجيات
الحياة
السياسات
الداخل
العلاقات
الخارج


أنساق الوعي
أنساق التوجهات
نسق الإدراكات، نسق الاعتقادات، نسق القيم، نسق المعارف،
أنساق السلوك، أنساق القدرات، أنساق الفاعلية
أنساق السعي



العولمة أعلى مراحل الحداثة، وهي بهذا الاعتبار لها رؤية للإنسان والكون والحياة، وتتولد عن هذه الرؤية الأساسية رؤية مشتقة تتحرك صوب صياغة (الإنسان الفرد) (والفرد الدولة) (والدولة والمجتمع) صياغة العلاقات ونسق قيم في إطار من عملية ممتدة عولمة القيم وقيم العولمة.

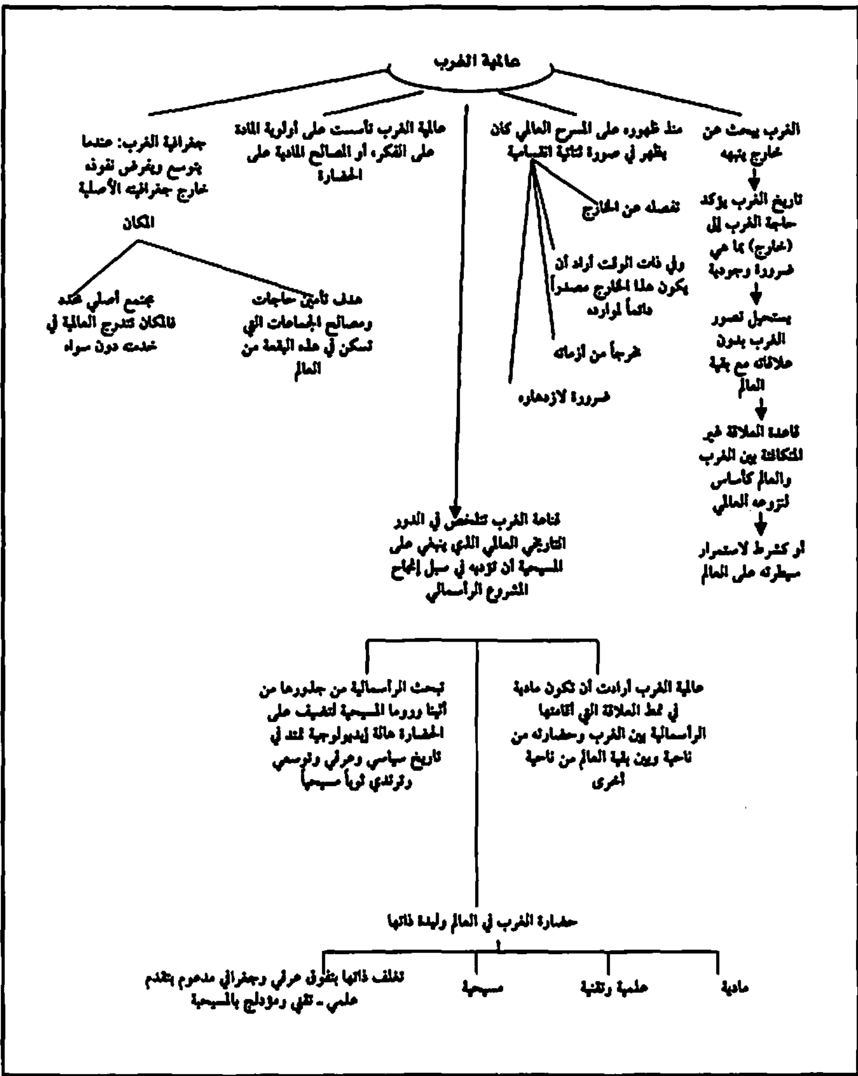
الحداثة	مذهبية الحداثة	عملية التحديث
Modernity	Modernism	Modernization
العالمية	مذهبية العولمة	عملية العولمة
Globality	Golbalism	Globalization

الأولى صاغت قضية نحو الاتجاه الانتشاري في إطار النموذج التحديثي، والثانية صاغت القضية نحو نموذج التنميط في إطار النموذج العولمي. ومن هنا ليس عجيباً أن يصدّر مارتن ألبرو "Martin Albrow" كتابه The Global Age: State and Society Beyond Modernity بمقولة تعتبر مهمة في هذا المقام Refusing to be Modern[١]. ربما هذا يسوقنا ويحق إلى ضرورة أن نكتب خرائط عالمية الغرب ومساراتها وكلياتها[٢].

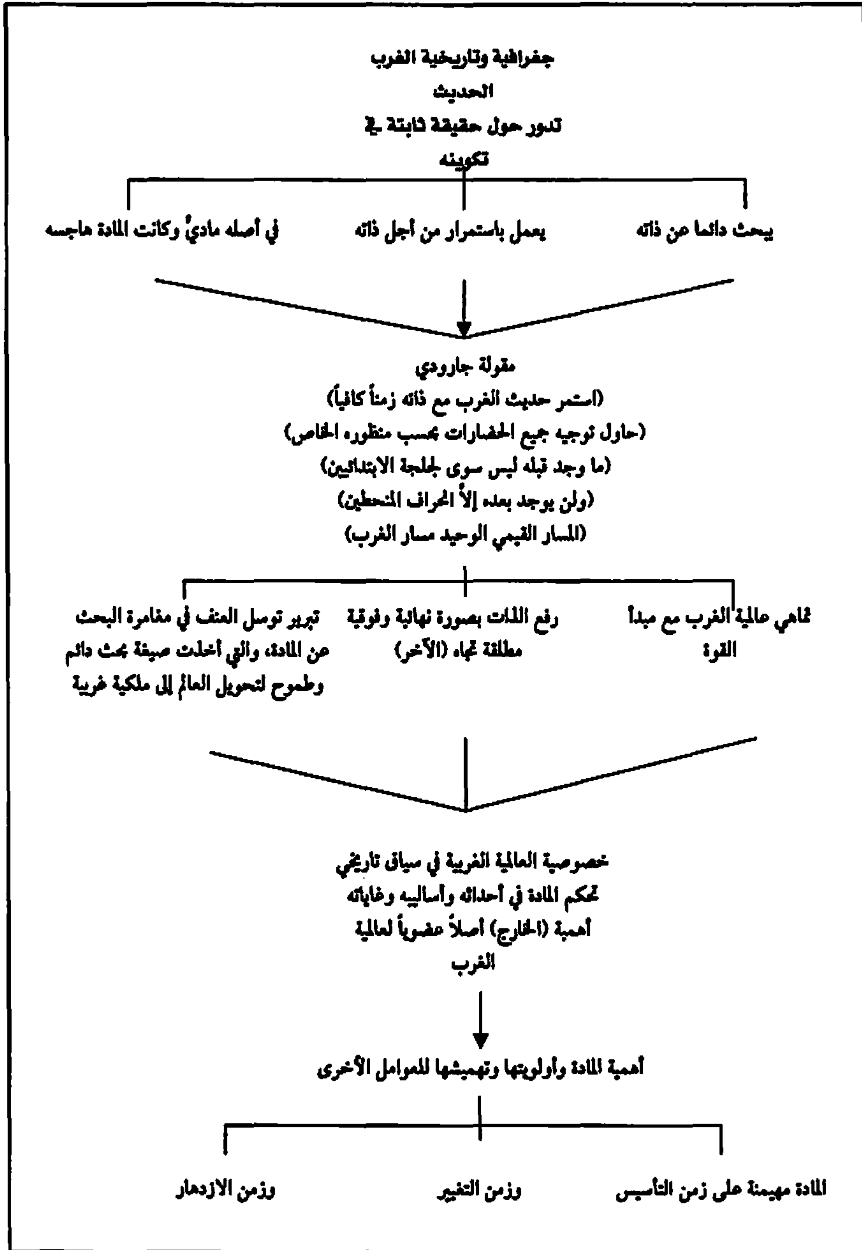
---

(١) انظر في ذلك الربط المهم بين العولمة والحداثة:
Martin Ablrow, the Global Age: State and Society beyond Modernity, Cambridge & Oxford: Polity Press, 1996. pp.7. FF.

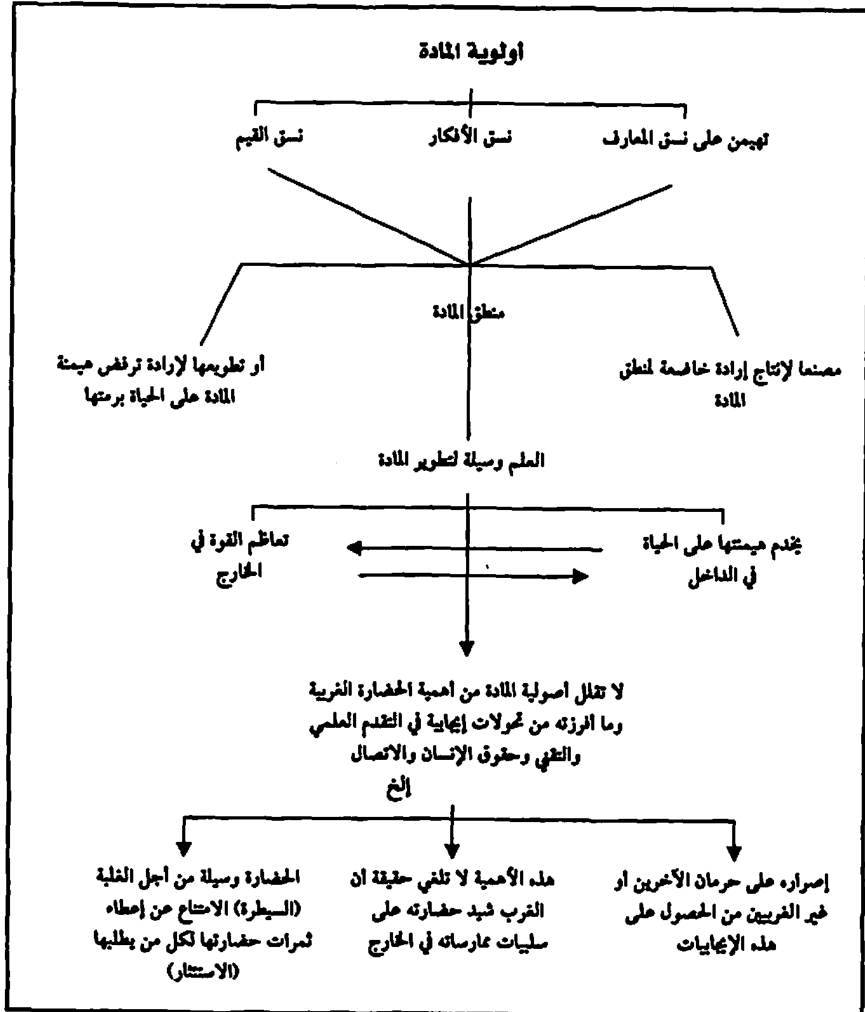
(٢) وفي واحدة من أهم الدراسات القيمة التي تعالج ما تجد فيه من دراسة العلاقة في إطار رؤية العالم؛ من المهم مطالعة: د. علي الشامي: الحضارة والنظام العالمي، أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب، بيروت: دار الإنسانية، ١٩٩٥م، وقد أسهم هذا الكتاب في صياغة بعض الخرائط التي ضمناها هذا البحث.



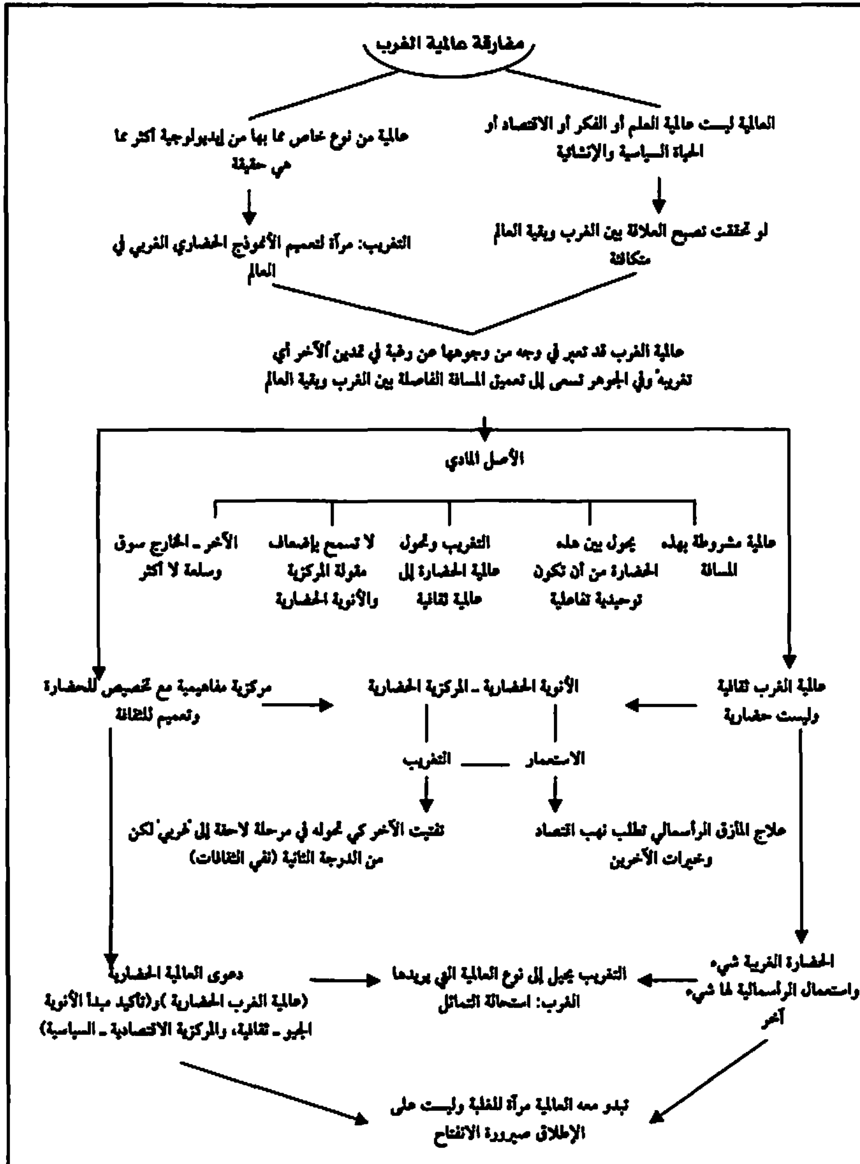
عالمية الغرب
الغرب يبحث عن خارج يتبعه
تاريخ الغرب يؤكد حاجة الغرب إلى (خارج) بما هي ضرورة وجودية
يستحيل تصور الغرب بدون علاقاته مع بقية العالم
قاعدة العلاقة غير المتكافئة بين الغرب والعالم كأساس لتوسعه العالمي
أو كشرط لاستمرار سيطرته على العالم
منذ ظهوره على المسرح العالمي كان يظهر في صورة ثنائية انقسامية
تفصله عن الخارج
وفي ذات الوقت أراد أن يكون هذا الخارج مصدراً دائماً لموارده
مخرجاً من أزماته
ضرورة لازدهاره
عالمية الغرب تأسست على أولوية المادة على الفكر، أو المصالح المادية على الحضارة
جغرافية الغرب: عندما يتوسع ويفرض نفوذه خارج جغرافيته الأصلية
المكان
هدف تأمين حاجات ومصالح الجماعات التي تسكن في هذه البقعة من العالم
مجتمع أصلي محدد فالمكان تتدرج العالمية في خدمته دون سواه
قناعة الغرب تتلخص في الدور التاريخي العالمي الذي ينبغي على المسيحية أن تؤديه في سبيل إنجاح المشروع الرأسمالي
عالمية الغرب أرادت أن تكون مادية في نمط العلاقة التي أقامتها الرأسمالية بين الغرب وحضارته من ناحية وبين بقية العالم من ناحية أخرى
تبحث الرأسمالية من جذورها من أثينا وروما المسيحية لتضيف على الحضارة هالة إيديولوجية تمتد في تاريخ سياسي وعرقي وتوسعي وترتدي ثوباً مسيحياً
حضارة الغرب في العالم ولبقية ذاتها
مادية
علمية وتقنية
مسيحية
تغلف ذاتها بتفوق عرقي وجغرافي مدعوم بتقدم علمي - تقني ومؤدلج بالمسيحية



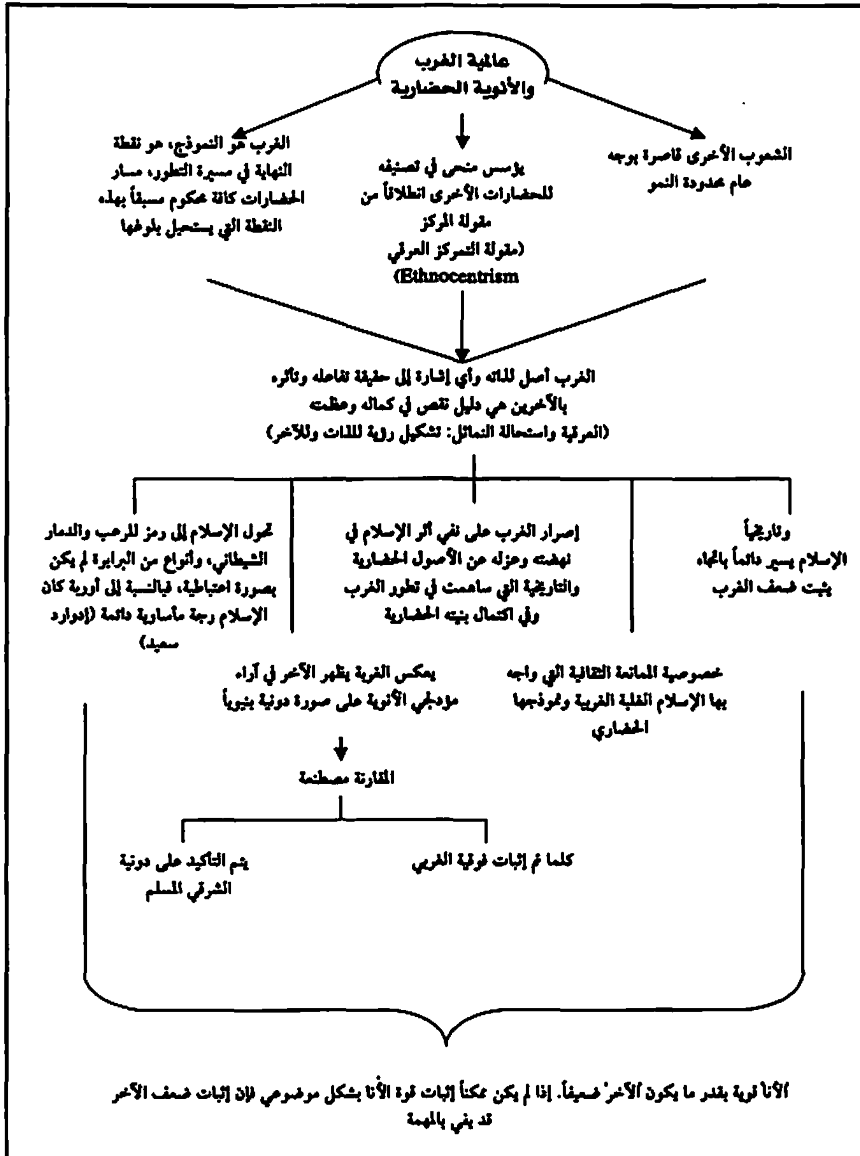
جغرافية وتاريخية الغرب
الحديث
تدور حول حقيقة ثابتة في
تكوينه
يبحث دائما عن ذاته
يعمل باستمرار من أجل ذاته
في أصله ماديٌ وكانت المادة هاجسه
مقولة جارودي
(استمر حديث الغرب مع ذاته زمناً كافياً)
(حاول توجيه جميع الحضارات بحسب منظوره الخاص)
(ما وجد قبله ليس سوى لجلجة الابتدائيين)
(ولن يوجد بعده إلاّ انحراف المنحطين)
(المسار القيمي الوحيد مسار الغرب)
تماهي عالمية الغرب مع مبدأ القوة
رفع الذات بصورة نهائية وفوقية مطلقة تجاه (الآخر)
تبرير توسل العنف في مغامرة البحث عن المادة، والتي أخذت صيغة بحث دائم وطموح لتحويل العالم إلى ملكية غربية
خصوصية العالمية الغربية في سياق تاريخي
تحكم المادة في أحداثه وأساليبه وغاياته
أهمية (الخارج) أصلاً عضوياً لعالمية
الغرب
أهمية المادة وأولويتها وتهميشها للعوامل الأخرى
المادة مهيمنة على زمن التأسيس
وزمن التغيير
وزمن الازدهار

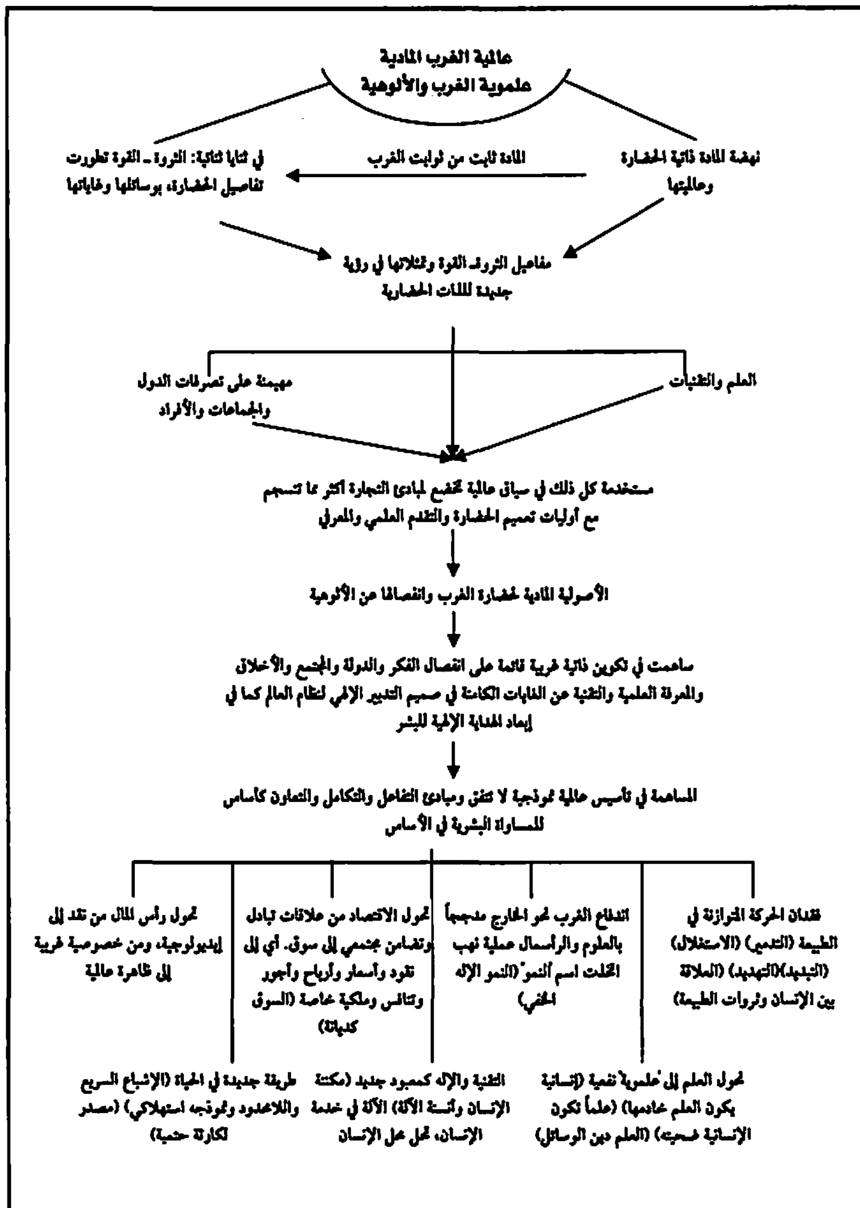


اولوية المادة
تهيمن على نسق المعارف
نسق الأفكار
نسق القيم
منطق المادة
مصنعا لإنتاج إرادة خاضعة لمنطق المادة
أو تطويعها لإرادة ترفض هيمنة المادة على الحياة برمتها
العلم وسيلة لتطوير المادة
يخدم هيمنتها على الحياة في الداخل
تعاظم القوة في الخارج
لا تقلل أصولية المادة من أهمية الحضارة الغربية وما افرزته من تحولات إيجابية في التقدم العلمي والتقني وحقوق الإنسان والاتصال الخ
إصراره على حرمان الآخرين أو غير الغربيين من الحصول على هذه الإيجابيات
هذه الأهمية لا تلغي حقيقة ان الغرب شيد حضارته على سلبيات ممارساته في الخارج
الحضارة وسيلة من أجل الغلبة (السيطرة) الامتناع عن إعطاء ثمرات حضارتها لكل من يطلبها (الاستئثار)



مفارقة عالمية الغرب
العالمية ليست عالمية العلم أو الفكر أو الاقتصاد أو الحياة السياسية والإنسانية
عالمية من نوع خاص بما فيها من إيديولوجية أكثر مما هي حقيقة
لو تحققت تصبح العلاقة بين الغرب وبقية العالم متكافئة
التغريب: مرآة لتعميم الأنموذج الحضاري الغربي في العالم
عالمية الغرب قد تعبر في وجه من وجوهها عن رغبة في تمدين الآخر أي تغريبه وفي الجوهر تسعى إلى تعميق المسافة الفاصلة بين الغرب وبقية العالم
الأصل المادي
عالمية مشروطة بهذه المسافة
يحول بين هذه الحضارة من أن تكون توحيدية تفاعلية
التغريب وتحول عالمية الحضارة إلى عالمية ثقافية
لا تسمح بإضعاف مقولة المركزية والأنوية الحضارية
الآخر ـ الخارج سوق وسلعة لا أكثر
عالمية الغرب ثقافية وليست حضارية
الأنوية الحضارية ـ المركزية الحضارية
مركزية مفاهيمية مع تخصيص للحضارة وتعميم للثقافة
الاستعمار
التغريب
علاج المأزق الرأسمالي تطلب نهب اقتصاد وخيرات الآخرين
تفتيت الآخر كي تحوله في مرحلة لاحقة إلى غربي لكن من الدرجة الثانية (نفي الثقافات)
الحضارة الغربية شيء واستعمال الرأسمالية لها شيء آخر
التغريب يحيل إلى نوع العالمية التي يريدها الغرب: استحالة التماثل
دعوى العالمية الحضارية (عالمية الغرب الحضارية)و(تأكيد مبدأ الأنوية الجيو ـ ثقافية، والمركزية الاقتصادية ـ السياسية)
تبدو معه العالمية مرآة للغلبة وليست على الإطلاق صيرورة الانفتاح


عالمية الغرب
والأنوية الحضارية
الشعوب الأخرى قاصرة بوجه عام محدودة النمو
يؤسس منحى في تصنيفه للحضارات الأخرى انطلاقاً من مقولة المركز
(مقولة التمركز العرقي
(Ethnocentrism
الغرب هو النموذج، هو نقطة النهاية في مسيرة التطور، مسار الحضارات كافة محكوم مسبقاً بهذه النقطة التي يستحيل بلوغها
الغرب أصل للذاته وأي إشارة إلى حقيقة تفاعله وتأثره بالآخرين هي دليل نقص في كماله وعظمته
(المركزية واستحالة التماثل: تشكيل رؤية للذات وللآخر)
وتاريخياً
الإسلام يسير دائماً باتجاه يثبت ضعف الغرب
إصرار الغرب على نفي أثر الإسلام في نهضته وعزله عن الأصول الحضارية والتاريخية التي ساهمت في تطور الغرب وفي اكتمال بنيته الحضارية
تحول الإسلام إلى رمز للرعب والدمار الشيطاني، وأنواع من البرابرة لم يكن بصورة احتياطية، فبالنسبة إلى أوربة كان الإسلام رجة مأساوية دائمة (إدوارد سعيد)
خصوصية الممانعة الثقافية التي واجه بها الإسلام الغلبة الغربية ونموذجها الحضاري
يعكس الغربة يظهر الآخر في آراء مؤدلجي الأنوية على صورة دونية بنيوياً
المقارنة مصطنعة
كلما تم إثبات فوقية الغربي
يتم التأكيد على دونية الشرقي المسلم
الأنا قوية بقدر ما يكون الآخر ضعيفاً. إذا لم يكن ممكناً إثبات قوة الأنا بشكل موضوعي فإن إثبات ضعف الآخر قد يفي بالمهمة



عالمية الغرب المادية
علموية الغرب والألوهية
نهضة المادة ذاتية الحضارة وعالميتها
المادة ثابت من ثوابت الغرب
في ثنايا ثنائية: الثروة ـ القوة تطورت تفاصيل الحضارة، بوسائلها وغاياتها
مفاصيل الثروة ـ القوة وتمثلاتها في رؤية جديدة للذات الحضارية
العلم والتقنيات
مهيمنة على تصرفات الدول والجماعات والأفراد
مستخدمة كل ذلك في سياق عالمية تخضع لمبادئ التجارة أكثر مما تنسجم مع أوليات تعميم الحضارة والتقدم العلمي والمعرفي
الأصولية المادية لحضارة الغرب وانفصالها عن الألوهية
ساهمت في تكوين ذاتية غربية قائمة على انفصال الفكر والدولة والمجتمع والأخلاق والمعرفة العلمية والتقنية عن الغايات الكامنة في صميم التدبير الإلهي لنظام العالم كما في إبعاد الهداية الإلهية للبشر
المساهمة في تأسيس عالمية نموذجية لا تتفق ومبادئ التفاعل والتكامل والتعاون كأساس للمساواة البشرية في الأساس
فقدان الحركة المتوازنة في الطبيعة (التدمير) (الاستغلال) (التبديد)(التهديد) (العلاقة بين الإنسان وثروات الطبيعة)
اندفاع الغرب نحو الخارج مدججاً بالعلوم والرأسمال عملية نهب اتخذت اسم النمو (النمو الإله الخفي)
تحول الاقتصاد من علاقات تبادل وتضامن مجتمعي إلى سوق. أي إلى نقود وأسعار وأرباح وأجور وتنافس وملكية خاصة (السوق كديانة)
تحول رأس المال من نقد إلى إيديولوجيا، ومن خصوصية غربية إلى ظاهرة عالمية
تحول العلم إلى علموية نفعية (إنسانية يكون العلم خادمها) (علماً تكون الإنسانية ضحيته) (العلم دين الوسائل)
التقنية والآلة كمعبود جديد (مكننة الإنسان وأنسنة الآلة) الآلة في خدمة الإنسان، تحل محل الإنسان
طريقة جديدة في الحياة (الإشباع السريع واللامحدود ونموذجه استهلاكي) (مصدر لكارثة حتمية)

إن هذه الخرائط في النهاية تعني أن تخرج عالمية الحضارة من رحم غلبة معرفية وضعت الأنا الغربية في مواجهة العالم مثلما وضعتها في صراع مع ذاتها.

وفي الحالتين نهلت العالمية من معين الغلبة، حيث تأسس منطق الحضارة على قاعدة إثبات هذه الغلبة ضد حضارات الآخرين وضمن الذات الإنسانية في آن معاً، وبصورة مقارنة عن المسار الخاص لتاريخ العالم، ذلك المسار الذي أعطى للإنسان ثقة بذاته وتكاملاً بين أبعاده الوجودية، مثلما فتح للبشر أبواب التعارف والتفاعل.

العولمة مراجعة نقدية في ضوء الخطاب العربي المعاصر والرؤية الإسلامية (ضرورات الترشيح)

في إطار الاهتمام بموضوع العولمة بوصفه واحداً من الموضوعات التي فرضت نفسها على الساحتين الإعلامية والعلمية، وفي سياق الخطاب الذي شاع حولها، خاصة في الفترة الأخيرة، وفي إطار ما يمثله المفهوم والموضوع من حالة نموذجية لأعراض برج بابل التي تشير إلى فوضى الفهم، وحدية المواقف، فإن ذلك يمكن أن يمثل حالة دراسية نموذجية لدراسة هذا الموضوع دراسة لا تجعل همها الأول أو اهتمامها الأساسي في التعبير عن موقف من قضية (العولمة)، ولكن تجعل ذلك ضمن زاوية الاهتمام، ولكنها مسبوقة بدراسة معمقة لوصف الحالة التي يمثلها خطاب العولمة[1]، ومن هنا يهتم هذا الشق من الدراسة بمجموعة من النقاط:

---

(١) يعكف الباحث على القيام بدراسة مشتركة مع أستاذته الدكتورة نادية محمود مصطفى التي تقوم على دراسة الخطاب الغربي حول العولمة، بينما يختص الباحث بالخطاب العربي وتحليله.

الأولى: الحالة البحثية والأكاديمية والعلمية للخطاب العربي المعاصر حول قضية العولمة، دون إهمال امتداد المعالجة لهذا الموضوع للتناول الإعلامي المتمثل في الصحف التي تتعرض لرؤى حول هذا الموضوع.

الثانية: أن وصف الحالة البحثية والإعلامية يترتب عليه عملية تصنيف للاتجاهات والمواقف المتعددة في معظم تشكيلاتها الفكرية والبحثية، دراسة الخطاب وتصنيفه مقدمة لتحليل بُنى هذا الخطاب، معالمه السياسية، وجهاته واتجاهاته، مفرداته الأساسية، مفاهيمه المفتاحية. مناهج النظر والتعامل والتناول مع القضية موضعِ التحليل والظواهر التابعة لها أو المشتقة منها. طبيعة الإسنادات المرجعيةِ المستخدمة من قبل تلك التوجهات، وطبيعة الموضوعات المستدعاة بمناسبة هذا الموضوع. دراسة بنية الخطاب وبيئته، وغاياته ومقاصده من العمليات التي تستأهل توصيف خريطة كلية وتصنيفية لذلك الخطاب.

الثالثة: أن دراسة الخطابْ توصيفاً وتصنيفاً غير مانعة من دراسة الخريطة النقدية لهذه الاتجاهات للعولمة، ضمن مستويات دراستها المختلفة، والعولمة ضمن هذا المقام من الواجب دراستها باعتبارها نموذجاً Paradigm وكذلك كونها مفهوماً، وباعتبارها مذهبية أو إيديولوجية، وأخيراً باعتبارها عملية، ولاشك أن الخطاب العربي حينما يتعرض لهذه القضية فإنه يدخل ضمن تفاعلاته للبحث عن مكان وموقف وعلاقة الكيان الاجتماعي الحضاري العربي والإسلامي، وموضعه من قضية العولمة لهذه الرؤية النقدية، وتصنيف اتجاهاتها ومقولاتها من الأهمية بمكان، ذلك أن المواقف بطبيعتها قد تولد رؤية نقدية هنا أو هناك، وربما تولد رؤى أخرى تنقد النقد، استنباط مناهج النقد لقضايا تهم الخطاب العربي في هذا المقام عملية بحثية مهمة من الضروري القيام بها وعليها.

الرابعة: أما النقطة الأخيرة التي يمكن الاهتمام بها فهي: هل يمكن أن تسهم (رؤية إسلامية) في هذا النقاش الدائر حول الموضوع؟

هل يمكن أن تقدم عناصر رؤية نقدية ومراجعة لقضية العولمة؟

هل ما تحمله هذه الرؤية من تصور حول مفهوم (العالمية) وما تؤسسه من رؤية للعالم، يمكن ألّا تحمل مجرد عناصر مراجعة نقدية فقط، بل يمكن أن تطور رؤية بنائية لهذا المفهوم، بحيث تؤسس عناصر الاشتراك والافتراق بينهما؛ كما يحرك حساب معادلات النفع والضر، والمنافع والخسائر، والإمكانات والفرص، والعقبات والموانع في إطار يستثمر الجانب المتعلق بواقع العولمة؟ هذه الموضوعات التي تشكل منظومة لدراسة قضية العولمة في الخطاب العربي والإسلامي غير منقطعة الصلة بالشق الأول من هذه الدراسة المتعلق بخريطة الاتجاهات الغربية في توجهها حيال (العولمة).

ذلك أن هذه الدراسة في شقها الثاني (العولمة في الخطاب العربي) لابد أن تحمل - ما استطاعت - عناصر مقارنة منهجية، ضمن التأثيرات التي يتركها الخطاب الغربي في الخطاب العربي حول هذه القضية، والبحث في الكيفيات التي ينتقل بها مفهوم معين مثل (العولمة) إلى الخطاب العربي، ذلك أن البحث في المشترك والمختلف، والبحث في الأشباه والنظائر من ناحية، والفروق من ناحية أخرى؛ عناصر مهمة في دراسة عالم الأفكار، وتأثير كل ذلك في الطرائق السجالية العربية حول قضايا تقليدية وجديدة ومتجددة.

ومن ثم لا تهدف هذه المقاربة إلى الوقوف عند حد تسجيل (المواقف) أو تبني توجه بعينه، أو الدخول ضمن توجهات النقاش المحتدم حول العولمة، في كل المجالات الاقتصادية والاتصالية

والاجتماعية والسياسية والثقافية فقط، ولكن تهدف هذه المقاربة، إلى التوصيف والتصنيف والتوظيف.

التوصيف للحالة البحثية والخطاب العربي عامة، وما يعبر عن سمات متنوعة، هذا الوصف يوفر مادة بحثية للنظر إليها بالنظر النقدي للاتجاهات المختلفة في الخطاب العربي حول العولمة.

والتصنيف للتوجهات المختلفة حول الحديث عن (علم كلام العولمة) وبيئته الثقافية والفكرية والعلمية، عملية التصنيف توضح قسمات خريطة الخطاب.

أما التوظيف فهو عملية تفاعلية بين جانبي التوصيف والتصنيف، بحيث تعبر عن إمكانات استثمار هذين الجانبين، في تقديم أسس أولية لرؤية نقدية ومراجعة علمية (للعولمة) في امتداداتها ومستوياتها ومجالاتها المختلفة، وما يمكن أن تسهم به رؤية إسلامية في هذا المقام.

عمليات متكاملة ومتكافلة، تتساند ضمن منظومة تؤكد على ضرورات الدراسة المنهاجية المتكاملة، وما تشكله من إمكانات توفرها هذه الدراسات من بناء موقف منهجي رصين، وليس مجرد اتخاذ مواقف أو تبني توجهات ببادي الرأي من دون تأصيل أو إسناد.

هذا الاقتراب الذي يوفر قدراً من المعلومات ويحركها نحو فئات تصنيف يوفر جملة من المزايا في البحث والتحليل، وذلك في سياق تحاشي معظم عناصر القصور والتقصير؛ من مثل التركيز على الراهن لا على عملية تكونه، والتركيز على الجزئي وتعميمه، لا على التعرف على حقائق كليته وامتداداته وشموله، والتركيز على الفروع دون تنسيبها أو إسنادها لأصولها، والتركيز على السطح الظاهر دون النفاذ لأعماق الظاهرة ومكوناتها الفاعلة فيها وربما المشكلة لها، وما يعني ذلك من

التركيز على الأعراض لا العوامل الأساسية، والتركيز على الهامشي لا الأساسي والمفصلي.

كذلك فإن هذا الاقتراب يشكل متطلبات سابقة في دراسة عالم المفاهيم، المفاهيم ليست عالماً مصمتاً تتم دراسته في الدوائر العلمية والأكاديمية، المفاهيم أصبحت تبنى على الأرض، وصارت في سياق علم إعلامها وسياساتها واجتماعها، تقترن بعمليات القوة وفق مضامينها المتسعة، دراسة المفهوم ضمن وسطه وبيئته، وقدراته وإمكاناته، وعملياته المرتبطة بعملية وضعه وبنائه، وعلاقاته التي تترتب على التعامل معه وبه، كلها قضايا مهمة لا يمكن دراستها بعمق، دون التعرف على ذاكرتها التاريخية من جانب، وخرائط الخطاب الدائر حولها من جانب آخر، عملقة المفاهيم صارت من القضايا التي تستأهل البحث والاهتمام، والعناصر الإعلامية التي تحيط بالمفهوم من انفعال أو افتعال أو إغفال لا تزال تحتاج إلى رصد ووصف.

كما أن هذا الاقتراب بما يتضمنه من ضرورات التعامل مع الرؤى النقدية والاهتمام بعناصرها، إنما يتكامل مع دراسة (واقع عالم المفاهيم، ويتجاوز ذلك إلى الإمكانات النقدية الداعية لعمليات (إعادة بناء المفهوم) ليس كعملية بحثية أو أكاديمية فقط، بل بما يشير إلى عناصر مهمة في عملية (التمكين) لعالم المفاهيم المراد البحث والتأصيل له في عالم الواقع وعالم الأحداث.

كما أن هذه المقاربة لا تغفل - بل تراكم، مثلما أشير إلى ذلك آنفاً - عن بحث العلاقات الدولية في الإسلام، ومن هنا جعلت من (عالمية الإسلام) كفكرة مهمة، مدخلاً من مداخل هذه الدراسة، وما تتيحه من إمكانات مراجعة نقدية وقدرات متاحة في بناء المفهوم أو إعادة بنائه.

إن الخروج من سياق التبشير بمفهوم (العولمة) أو التهوين من آثاره والمترتبات عليه لا يتم إلا من خلال مثل هذه الدراسات العلمية والمنهجية.

وضمن هذا السياق البحثي فإن التعامل مع العولمة كنموذج معرفي، سواء كان ذلك واقعاً أو محتملاً، إنما يضيف إلى إمكاناتنا في فهم أعمق لقضية العولمة، هذا النموذج يتضمن رؤية للعالم والوجود والواقع بكل تشابكاته وامتداداته، وكذلك فإنه يشتمل على بناء نظري، وكذا على بناء مفاهيمي، وبناء تفسيري، فضلاً عما يشير إليه كل ذلك من معضلات وقضايا أجدر بالتناول وما يولده ذلك من أجندة بحثية. هذه العناصر جميعاً تتيح ليس إمكانات دراسة قضية العولمة فقط، بل يتعدى الأمر ذلك إلى إمكانات المقارنة والنقد ضمن أنساق معرفية مختلفة ومتمايزة ورؤى حضارية متنوعة ومتعددة، فهل يمكن ضمن هذا التصور المقارنة بين رؤيتين للعالمية: العولمة المستندة إلى النموذج المعرفي الغربي، والعالمية المستندة إلى النموذج المعرفي الإسلامي، هل هذا جائز؟ وإن جاز فما هي المتطلبات المنهجية لإجراء مثل هذه المقارنات ضمن هذه المستويات المتعددة؟

كما أن هذه المقاربة لا تهمل النظر إلى العولمة باعتبارها عملية Process ومن ثم تقترب من "واقع العولمة" وإمكانات التعامل معه بحثياً وواقعياً على حد سواء.

خلاصة القول: إن قضية العولمة، وفق هذا المسار والمساق حالة بحثية نموذجية للتعامل مع قضايا كثيرة، نظن أن علم السياسة في منتوجاته العربية لم يقف عندها طويلاً، وربما حان الوقت - ضمن حالة مفاهيمية اختلط فيها الأكاديمي بالإعلامي، والعلمي بالتبشيري - أن نحاول القيام بمثل هذه الدراسات المؤسسة على رصد ووصف وتوظيف من جانب، كمقدمات للنقد والتقويم وإعادة البناء من جانب آخر.

الجماعة العلمية في عالم المسلمين وظاهرة العولمة

ومن المفترض أن تمثل الجماعة العلمية الأكاديمية جانب الريادة في خوض غمار هذه القضايا الصاعدة وجوداً وتأثيراً بطرائق مأمونة ومتميزة فضلاً عن اتسامها بالعلمية والمنهجية.

ولكن خوض هذه الجماعة العلمية يجب ألا يكون كخوض اللاعبين والهواة، ولكنه تعبير عن رؤى بصيرة علمية؛ عين منها على المفهوم (الظاهرة الصاعدة)، وأخرى على حقل معرفي يشكل مجال التخصص ومجهر الاهتمام. ومن ثم كان من الضروري الاهتمام برؤية هذه المجالات المعرفية في سياقات العولمة وهي لا تلهث خلف (عولمة الاهتمام)، ولكنها تتبصر وتهتم بفهم العولمة[١].

ومن ثم وجب الاهتمام بالمفهوم الذي يتعلق بالعولمة تشريحاً وترشيحاً، تشريحاً لمكوناته، وترشيحاً لما اختلط به، ذلك أن حسن إدراك الشيء فرع على تصوره، ومن هنا كان من المهم لتلك الجماعة أن تكيف العولمة وطرائق النظر إليها:

هل العولمة نموذج معرفي صاعد Paradigm؟

هل العولمة ظاهرة؟ هل العولمة مفهوم جديد؟

هل العولمة جديدة أم قديمة (كظاهرة)؟

هل العولمة عملية Process؟

---

(١) انظر: د. حسن نافعة، د. سيف الدين عبد الفتاح (محرران) العولمة والعلوم السياسية، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - قسم العلوم السياسية، سلسلة محاضرات الموسم الثقافي (١)، العام الجامعي ١٩٩٨-١٩٩٩، ٢٠٠٠، ص ١٣ -٣٥.

هل العولمة قبل هذا تشكل نظاماً للقيم؟

وهل العولمة تشكل بعد كل شيء رؤية للعالم؟

أسئلة من هذه النوعية كان من الواجب على الجامعة العلمية في حقل العلوم السياسية أن تقوم بالتساؤل عنها، وكان من المهم أن تقدم إجابات متنوعة ومتعددة، إلا أنها في النهاية كونت صورة وخريطة إدراكية وفكرية متكاملة لو أحسن الجمع بينها، لأمكن الخروج من دائرة تنوع الاختلاف إلى دائرة جوهر الائتلاف فيما بين هذه الرؤى المتنوعة.

وكان من الضروري التساؤل كيف كان تأثير العولمة في هذه الحقول المتنوعة في إطار البحث، على عدة مستويات:

- العولمة وعالم المفاهيم المرتبط بها والمستدعي معها - لزوماً وضرورة - منطقاً وعلماً.
- العولمة وأطر التحليل بما تعنيه من البحث في التأثيرات التي تتركها على مستويات التحليل، وفئات التحليل، ووحدات التحليل، وأدوات التحليل وغير ذلك مما يتعلق بالإطار التحليلي تنظيراً وتطبيقاً.
- العولمة وسياقات التفسير، هل تركت العولمة تأثيرات في مسارات التفسير القائمة للظواهر المختلفة بحقل العلوم السياسية؟ وهل وصل الأمر بالعولمة أن تشكل مساراً متميزاً ضمن هذه المسارات، وهي في هذا المقام قد درست كثيراً من العلاقات النظرية والتطبيقية والتي تترك بدورها آثاراً تفسيرية في جملة الظواهر السياسية المتنوعة؛ من مثل:
  - العلاقة بين الداخل والخارج.

- العلاقة بين الاقتصادي والسياسي والاجتماعي ونسب أوزان التأثير المتعلقة بكل منها.
- العلاقة بين السياسي والثقافي.
- العلاقة بين الظاهرة الدينية والظاهرة السياسية.
- العلاقة بين التفاعلات الرسمية الحكومية، وغير الرسمية وغير الحكومية.
- العلاقات بين التنظيمات والمؤسسات المختلفة على المستويات الداخلية كافة، الأقليمية/عبر القومية، الدولية والعالمية.
- العلاقة بين التطورات التقنية والمعلوماتية وكثير من الظواهر، من حيث حجمها، وتسارعها، ومكونات وشبكة العناصر المتداخلة فيها؟.

إن منهج النظر لهذه العلاقات وأشكالها ومساراتها لابد أن يترك آثاراً من الناحية التحليلية والتفسيرية من الواجب أخذها في الحسبان، لأن إهمالها لا يعني إلا نقصاً في التحليل وقصوراً في عملية التفسير، وفي النهاية خللاً في عمليات التنظير لا يورث في النهاية إلا أزمات مستحكمة تؤثر في مجمل الحقول والمجالات المعرفية المختلفة.

العولمة والأجندة البحثية والإشكاليات الأجدر بالتناول

فالأمر اليقيني أن العولمة (الظاهرة، المفهوم، العملية) قد تركت تأثيرات لا تنكرها عين، ولا تخفى على كل صاحب لب، ولا يخطئها أي باحث أو دارس، في برنامج (أجندة) القضايا والإشكاليات الأجدر بالتناول والتي احتلت مرتبة متقدمة من جراء تلك التأثيرات. إلا أن الجماعة

العلمية في هذا المقام ليس شأنها شأن كل من كتب في هذا الموضوع أو هذا ما وجب أن يكون ولكنها تهتم بفحص تلك الأجندة وترتيباتها، وتتعرف على خريطتها من دون أن تنزلق إلى (عولمة الأجندة)، فإن فحص (أجندة العولمة)، غير (عولمة الأجندة) بالقطع، والجماعة البحثية والعلمية إذ يجب عليها ألا تخطئ الواقع أو تقفز عليه فإن عليها كذلك أن تفحص عناصر هذا الواقع وما يحمله من قضايا، إذ إنها هي القادرة، بحكم التخصص وامتلاكها القدرات البحثية والمنهجية في دراسة الظواهر السياسية الصاعدة والمتجددة والملازمة والمنتجة والناتجة من العولمة وعنها، أن تكون عناصر أجندة بحثية نابعة (لا تابعة)، نابعة من احتياجات مجتمعاتها وما تفرزه من سياسات ومواقف وعلاقات. وهي بذلك أي الجماعة العلمية قادرة على البحث في أجندة العولمة وتقصي عناصرها وفحص موجهاتها، لا الخضوع إلى عولمة الأجندة وسطوة موضوعاتها.

إن قضية وضع الأجندة البحثية والعلمية وترتيب القضايا، وتأسيس مشروعات علمية وبحثية هي من القضايا الاستراتيجية في تأصيل كيان أي حقل معرفي ومجالاته المتنوعة، وإذا كان ذلك واجباً في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية فهو أوجب في حقل العلوم السياسية لظاهرة أو مفهوم ينتمي بالأساس لهذا الحقل ومجالاته المختلفة.

ومن هنا فإن الجماعة العلمية لا ينبغي لها أن تتحرك حيال هذه المفاهيم أو التوجهات أو الظواهر الصاعدة ببادي الرأي، وأن تتعامل معها بالتلقي، بل لها وعليها أن تمارس أقصى درجات أساليب النقد، ضمن عقلية كاشفة وفارقة وناقدة، فهذا من شأن الجماعات العلمية وتمايزها وإسهامها في حقولها المعرفية.

إن هذه الجماعة العلمية اعتقاداً منها بأن الأسئلة الصحيحة هي نصف الإجابة، فقد اهتمت اهتماماً كبيراً بتصويب الأسئلة أو إعادة صياغتها

حول موضوع العلاقة وحول كثير من تأثيراته، وهو شأن مهم أدى إلى التأكيد على:

- قدم الظاهرة وتاريخيتها.
- جدة الظاهرة وتميزاتها.
- العولمة: عملية - ظاهرة - مفهوم - رؤية.
- العولمة كعملية والعولمة كأيديولوجية.

كانت هذه بعض عناصر تفكير ساهمت في إعادة صياغة الأسئلة حول العولمة ومنهج النظر إليها وإدراكِ مفاصلها. أما في مجال التأثيرات فكان التأكيد على:

- أن معظم التأثيرات التي نتعرض لها ليست وليدة بروز مفهوم العولمة ولكنها ربما سبقته.
- إن العولمة قد تكون أحدثت تأثيرات جديدة، لكنها تركت كذلك أثراً في جملة تأثيرات أقدم نسبياً وحركتها بشكل سريع وكثيف، فاختلف النظر لكثير من الظواهر كماً ونوعاً، وكثافة وسرعة وتعقداً.
- إن التأثيرات للعولمة يجب ألا ترى في مجالات السياسات والعلاقات بل من الواجب رؤية هذه التأثيرات في المجالات المعرفية والتخصصية.
- أنه يجب النظر إلى العولمة بصورة توازن بين مجالات الفرص فيها، مكامن الخطر منها، العولمة فرص ومخاطر.

هذه أيضاً بعض عناصر تفكير شغلت موجهات لعملية التأثير والبحث فيها وعنها على مستويات مختلفة، في محاولة لصياغة التساؤلات الصحيحة التي يجب البدء بها.

كما أنَّ من الضروري على الجماعة العلمية الاهتمام بقضية (المفاهيم)، إذ تعتبر المفاهيم وحدات التعامل الأساسية داخل حقل العلوم السياسية خاصة، والعلوم الإنسانية والاجتماعية. ومن هنا كان مدخل كل إسهام ضمن هذا الموسم الثقافي هو التعرض (لمفهوم العولمة) والبحث في عملية تشريحه وترشيحه، وهي من الأمور المنهجية التي اقترنت بهذه الجماعة العلمية واقترنت هذه الجماعة بها، تحديد المفاهيم وعملية بنائها ورؤية المفهوم ضمن سياقاته الداخلية والخارجية من الأمور التي فرضت نفسها على اهتمام هذه الجماعة، إلا أن الجانب الآخر الذي لم يول الاهتمام الكافي كان المتعلق في:

- رؤية صناعة المفاهيم في إطار ارتباطها بالظواهر السياسية المختلفة، وكيف أن المفاهيم في بنائها صارت تبنى على الأرض ضمن علاقات قوة ظاهرة وكامنة، صاعدة ومؤثرة، وأن رؤية شبكة علاقات القوة في سياق دراسة المفاهيم السياسية صارت من الأهمية بمكان في هذا المقام.
- القول بأن المفاهيم تصنع على الأرض يسوقنا بالضرورة لا إلى البحث فقط في مفاهيم العولمة ولكن إلى عولمة المفاهيم، وكيف كانت عولمة المفاهيم خطورة سابقة، وربما واحدة من عمليات العولمة، حرثت الأرض لها ومهدت الطريق كأفضل ما يكون لمسيرتها.

ومن هنا فمن الضروري:

- النقاش حول المفهوم، ومكامن الغموض والإبهام فيه، ومداخل الافتعال في معالجته وقدرات التمييز بينه وبين غيره، أو ما يختلط به من مفاهيم.

- الحوار حول العام والخاص من تأثيرات في حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- النقاش المستفيض حول العمليات المصاحبة للعولمة في مجال الظواهر المختلفة.
- النقاش والجدل الدائر حول العلاقة بين الداخل والخارج وأوزان كل منهما، وقدر التداخل والتشابك بين السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وبروز الاهتمام بالتحليل الثقافي والمنظور الحضاري في هذا المقام.
- أهمية إبراز وبلورة رؤية إسلامية للعولمة، وإبراز العالمية في قبالتها، والحديث عن الشروط القيمية المرتبطة بكل منهما.
- أهمية التنبيه إلى الموانع التي لا تنسجم بالضرورة وظاهرةَ العولمة وضرورة التعرف عليها في ضوء بروز (الإقليمية) والهويات الإثنية والثقافية والتعددية على المستوى العالمي والنسبية الثقافية، بما يطرح قضية الخصوصية في مواجهة العولمة.
- ضرورة البحث في تأثير العولمة بوصفها ظاهرة في دراسة الظواهر السياسية المتعلقة بالمنطقة العربية وعلاقاتها المستقبلية في إطار عنوان يجب ألا يغيب في المتابعة البحثية، وهو الذي يتعلق بالعرب والعولمة.

كما يبدو من فحوى وروح النقاش أن توجهاً أكيداً واجب الاضطلاع به يرتبط بوجه عام بالاهتمام بالدراسات المستقبلية المتعلقة بتأثيرات العولمة في الدوائر المختلفة وبالأشكال المتنوعة وعلى المستويات كافة على تعددها، دون أن تستبعد معنى المخاطر في العولمة ولا تهمل معنى

الفرص فيها، في إطار دراسات أكاديمية وعلمية ومنهجية تحقق المزيد من فهم الظاهرة تأثيراً واستقبالاً.

أنساق القيم ورؤية العالم

حول التفاعل بين رؤية واقع القيمة والأخطاء في عمليات التنظير

- **القيم الجديدة وتسويغ الدعوة للعالمية؛ واقع القيمة وأخطاء التنظير**

في إطار السيولة لفكرة النسبية التي تنطلق من قاعدة إطلاقية النسبية، يبدو وصف القيم بأوصاف تعضد نسبيتها، وإمكانية أن ينفي بعضها بعضاً، ويحل محلها أنساق قيمية أخرى؛ يمكن الحديث عن القيم التقليدية والقيم الحديثة أو الجديدة، وصف القيم بالتقليدية أو القدم هو مدخل لوصفها بالسلبية أو بتعويقها عناصر التقدم والحياة الإنسانية المتمدينة، بينما في المقابل وصف القيم بالجديدة أو الحديثة يعني وصفها بالقيم الإيجابية المساعدة على الحضارة والمدنية.

وكما أشرنا فإن القيم هي أحد المفاهيم الحضارية الكبرى أو مفاهيم المظلة التي تشتق منها مفاهيم فرعية، تعمل ضمن نسق من شبكة القيم، وشبكة المفاهيم، وشبكة المعتقدات.

ونظن أن القيم الجديدة وفق هذا السياق هي قيم تفضيلية مرغوبة، بينما القديمة أو التقليدية هي قيم متدنية الاعتبار غير مرغوب بها أو فيها، القيم الجديدة سارت ضمن مسارات تروج وتسوغ لمفهوم العالمية الذي صار في حد ذاته مذهبية Globalism. مما أدى إلى نفي جملة من القيم وتهميشها في حقل التعامل الدولي، وبرزت قيم أخرى تتوافق مع تأسيس الدعوة إلى العالمية من خلال المركزية الغربية، وبدا هذا المفهوم يفرض

أولوياته العملية وأجندته البحثية حتى رفع من قيم، من مثل: السلام والتسامح ضمن عملية تقوم على مركزية القيم الغربية ومحاولة تعميمها على أنحاء المعمورة، وبدا هؤلاء يتناسون أن السلام والتسامح ليست قيماً تأسيسية أو كلية بل هي من القيم المشتقة عن أصول قيمية كلية من العدل والمساواة والاختيار، وهو أمر أبرز قدراً من التهميش للقيم الجوهرية والأصلية لمصلحة قيم فرعية اشتقاقية، لا تفهم إلا مع أصولها، ولا تطبق إلا باعتبارها تابعة لها. وذلك سياق ثنائية القيم التقليدية والقيم الجديدة[١].

---

(١) في إطار المفارقة بين التقليدي والحداثي في مجال الثقافة والقيم يمكن مطالعة مؤلف ألموند التقليدي في حقل أدبيات التنمية السياسية، كما يمكن ملاحظة عناصر هذه المناقضة ضمن كتابات أخرى، انظر:

G. Hlmond and S. Verba,k Civic Culture, Poston: Lihle Brown and Company, 1965.

قارن سيف الدين عبد الفتاح: حوار النخبة المثقفة حول العنف والإرهاب، ومراجعة نقدية ضمن الثقافة السياسية في مصر بين الاستمرارية والتغير.

د. محمد كمال المنوفي: أعمال المؤتمر السنوي السابع، جامعة القاهرة مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٤، المجلد الأول ص ٥٩٢ ومابعدها.

انظر في فكرة النظام العالمي الجديد وثقافته في مواجهة ثقافات أخرى: د. فوزي محمد طايل، ثقافتنا في إطار النظام العالمي، القاهرة: مركز الإعلام العربي، ١٩٩٤، انظر خاتمة فصل (اتجاهات الثقافة في إطار النظام العالمي الجديد) ص ٦٩-١٠٤.

مجدي نصيف (إعداد): حرب الخليج والنظام العالمي الجديد، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩١.

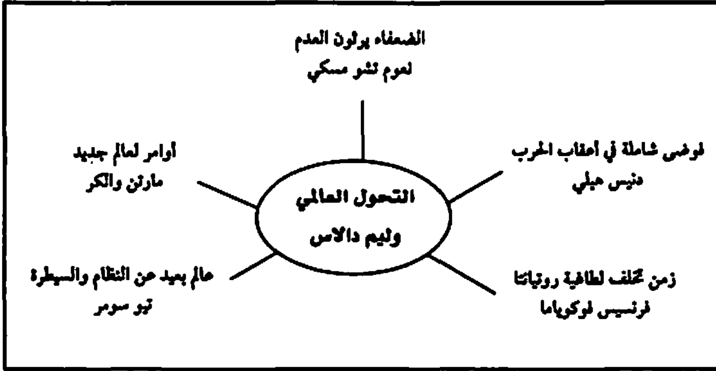
والكتاب يتضمن فصولاً ستة كلها مقالات مترجمة تعالج أموراً تتعلق بمسيرة هذا النظام العالمي الجديد.

وهناك من الكتابات ما يربط بين إرهاصات النظام العالمي الجديد والعولمة الحديثة في مرحلة التكوين: بدري يونس: مزالق العولمة الحديثة في النظام العالمي الجديد، بيروت: دار الفارابي ١٩٩٩م.

=

. . . .

=



- في سياق يتحفظ على العولمة والحديث عن العولمة والمزاعم الرائجة الأسطورية عن تبلور قريب العهد لهيكل اقتصادي معولم، وفي عنوان المقدمة قد يعبر عن هذه المعاني: العولمة هل هي أسطورة ضرورية؟ وهو أمر يناقش صحة ودقة الكثير من الدعاوى الشائعة حول (العولمة).

انظر: بول هيرست وجراهام تومسون: مساءلة العولمة - الاقتصاد الدولي وإمكانات التحكم، ترجمة: إبراهيم فتحي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩، انظر بصفة خاصة التقديم: ص ٣ - ٢٨.

انظر أيضاً نقداً مهماً للعولمة في إطار محاولتها فرض تلك السوق الحرة على العالم وهو أمر سيخلق كارثة إنسانية مقبلة كتلك التي خلقها النظام الشيوعي.

جون جربي: الفجر الكاذب- أوهام الرأسمالية العالمية، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، القاهرة، مكتبة الشروق، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م.

- حول سياتل وظاهرة العولمة وضرورة النظر الفاحص في انتقاد العولمة غربياً ومن قبل الدول النامية، انظر: هشام يوسف: النظام التجاري الدولي والعالمية والدول النامية، دراسة مقدمة إلى مؤتمر (العولمة والعالم العربي)، مرجع سبق ذكره.

- انظر ذلك النقاش ذا الدلالة الذي تم بين اللوموند ديبلوماتيك والفاينانشال تايمز.. وقد عبر محرر العدد أن تصور المجلتين إنما يعبران عن تصورين مختلفين للعالم، هذا الملف الذي يستحق دراسة مستقلة وتحليل نصوصه في إطار الرؤية الناقدة والمتبنية للعولمة: انظر هذا الملف لوموند ديبلوماتيك، أغسطس ١٩٩٧، ص ١٢، ومابعدها.

=

. . . .

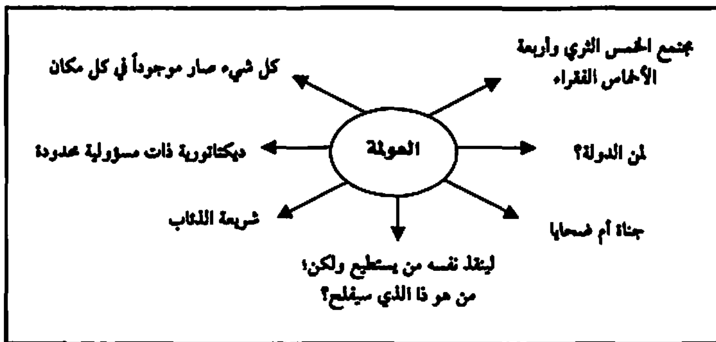
= - د. منير الحمش: العولمة ليست الخيار الوحيد، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.

- في إطار الكتابات النقدية لابد أن تستفيد الرؤية الإسلامية من نقد أنساق أخرى؛ سواء داخل السياق الغربي أم العربي، خاصة ما يقدمه من نقد على المستوى المعرفي والمنهجي. ومن الكتابات المهمة والتي يمكن استنباط الأصول المعرفية للعولمة:

عبد الحي يحيى زلوم: نذر العولمة: هل بوسع العالم أن يقول لا للرأسمالية المعلومالية؟، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م.

- وضمن هذا المقام في أثر العولمة السلبي على قاعدتي الديمقراطية والرفاهية انظر وراجع: هانس - بيتر مارتن، هارالد شومان: فخ العولمة- الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة د. عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم: أ. د رمزي زكي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أكتوبر ١٩٩٨م.

- ومن المهم النظر إلى عناوين الفصول التي تمثل رؤية متكاملة للعالم (للذات والآخر)، (والعلاقات)، (والآثار والمآلات)، (وأنساق الرموز والقيم والثقافة والحضارة ... إلخ).



فصول ثمانية، يشكل الفصل التاسع منها رؤية تترتب عليها: التوقف عن السير على غير هدى، إنها النتيجة التي تترتب على أحوال العولمة ومآلاتها.

وفي هذا المقام من المهم مطالعة كتاب أولريش بك: ما هي العولمة، ترجمة =

- **القيم وتصادمها؛ قيم الحضارة الغالبة وعناصر التهميش القيمي**

نظامان للقيم؛ المصادمة والمغالبة، صراع الحضارات والمكون الثقافي والأطر القيمية:

من المهم أن نشير إلى أحد الأشكال الجديدة في التعامل البحثي والعلمي، فضلاً عن التعامل الثقافي، بحيث تطلق جملة من المقولات الاختبارية التي تقوم في هذا الوقت بما كانت تقوم به التنظيرات المختلفة، هذه المقولات تستدعى من ردود الأفعال لتوضح موقفاً هنا وموقفاً هناك، إيذاناً بفتح أسواق الجدل والمساجلات.

من هذه المقولات التي ارتبطت بالمذهبية الجديدة Globalism، نهاية التاريخ وصراع الحضارات، لتعبر بذلك عن الحضارة الغالبة، ونسق من القيم يقوم في سياق المغالبة والمصادمة، وتعبر هذه المقولات عن مكونات ثقافية وأطر قيمية ظاهرة كامنة، ورغم ما بدا في بعض هذه المقولات من مسار للتحليل الثقافي والحضاري إلا أنها تقوم على تزكية

= أبو العيد دودو: كالونية- ألمانية، ١٩٩٩م، منشورات الجمل.
وهو يتحرك صوب التعامل مع أفق العولمة، وتأثيراتها المكانية والزمانية والإنسانية.
صدمة العولمة، ماذا تقي العولمة؟ الأبعاد -التناقضات- التحديدات، مفارقات العولمة، المواطنة العالمية، أخطاء العالمية، أجوبة عن العولمة.
ومن أهم ما يؤكد عليه أولريش أنه "ليس هناك من مخرج وطني من العولمة، ولكن هناك مخرجاً عبر الحدود" ص ٢١٨.
انظر أيضاً من هذه الكتابات ما يعين على ذلك النظر المعرفي في إطار جملة العمليات التي يرتبط بها انحسار الدولة القوية، الانسياب البشري، العولمة من منظور نهاية التاريخ، العولمة أم فردوس الأنبياء، العولمة إمبريالية حديثة، مصيدة الاستهلاك، العولمة والثقافة، العولمة والعلم؛ العولمة: إله العلم!! وهو أمر يتعلق بديانة العولمة، ومتضمناتها الإيديولوجية والمعرفية والثقافية.

النسق القيمي الغربي وتعميمه وكونتته وعالميته، بينما في المقابل تبحث في تهميش الأنساق القيمية الأخرى أو افتراض عناصر مواجهة شبه محتومة بين الحضارات وأنساقها القيمية، وبدت العملية هنا ضمن رؤيتين تتوازيان:

الأولى تقوم على أساس من عملقة أنساق القيم الغربية الكونية، والتأكيد على انتصارها المؤزر بما لا يدع أي مساحة للتفكير في سياق تعديلها أو نقدها أو الإحلال محلها، إن هذا النسق يشهد - بفعل تلك المقولات - أقصى فاعلياته (انتهاء التاريخ) وأقصى قدراته (صدام الحضارات المخالفة)، ومن ثم تبدو هذه الرؤية ضمن عملقة هذا النسق وتزكية سياقاته الفلسفية والفكرية والقيمية والسياسية والثقافية.

الثانية تقوم على أساس تهميش، وتحجيم إن لزم الأمر، للأنساق القيمية المختلفة أو المخالفة، كما يتصورها النسق الغربي، وذلك ضمن لغة تتراوح ما بين التهوين من قيمة تلك الأنساق القيمية وإمكاناتها وإسهاماتها الحقيقية على أرض الواقع، وفاعليتها، أو التشويه من هذه الأنساق، فإن أثبتت فاعلية لها، فهي فاعلية مرضية أو متمردة، وضمن هذا السياق بدت أهم الأفكار والآليات ضمن صناعة العدو بما يمثله ذلك من سياقات فكرية وقيمية وحضارية[١].

---

(١) وفي إطار فكرة نهاية التاريخ الواردة لدى فوكوياما، والمناقشات التي دارت حولها انظر:

- فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ: ترجمة عن مجلة ناشيونال إنترست، صيف ١٩٨٩م، القاهرة، دار البيادر للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.

- انظر مقدمة ملف، مجلة الاجتهاد حول (النظام العالمي الجديد ونهاية التاريخ) الاجتهاد، السنة الرابعة، العددان ١٥-١٦: ربيع وصيف ١٩٩٢م، ص٢٧٥ - ٢٧٦.

- في إطار صدام الحضارات انظر: صموئيل هنتنجتون؛ صدام الحضارات -
=

• القيم وهندسة القبول (قبول ما لا يقبل) واقع القيمة وأخطاء التنظير

ربما في سياق ما أشرنا إليه آنفاً من محاولات تنميط النظام القيمي على المستوى العالمي في ضوء الدعوة والدعاية لنسق القيم والمعتقدات الموصوف بالعالمي الذي يعد في حقيقة الأمر نسقاً غربياً، ترى هذه الحضارة بفعل القوة التي اتخذت أشكالاً متنوعة، من أهمها الترويج وعناصر الاتصال الجديدة، والقرية العالمية، والثورة المعلوماتية[(١)]، ارتبط كل ذلك بما عبر عنه نعوم تشومسكي، (هندسة القبول)[(٢)] والتي تحاول استخدام الآليات المتعددة ضمن عمليات ممتدة ومتراكمة ومتنوعة الأساليب في قبول ما لا يقبل، وتعميم ما يقبل بغض النظر عن الآليات المستخدمة والوسائل التي ترتكز عليها، وبقطع النظر عن مدى قيمتها أو تعبيرها عن القيم والتزامها بها، فإنها

= إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، القاهرة: سطور. ١٩٩٨.
انظر مقالة هنتنجتون والردود عليها، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ٢٠٠٠م.

(١) مقولات كثيرة تشيع حول عصر المعلومات، والمعلوماتية، والقرية العالمية، والثورة الاتصالية والتقنية، يجب تحريها، والتعامل معها في نطاق حقيقة الواقع وما يتركه من آثار في الإدراك والتعامل والتفاعل: انظر على سبيل المثال: ثابت ملكاوي، إشكالية العقل العربي: بين الذات والآخر والآخر الجديد، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٩٥م، ص٢٥ وما بعدها.

(٢) حول هندسة القبول بوصفها مفهوماً محورياً ضمن كتابات نعوم تشومسكي يمكن مطالعة: نعوم تشومسكي، إعاقة الديمقراطية، الولايات المتحدة والديمقراطية، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢م.

-Edward S. Herman and Noam Chomsky, Manufacturing Consent; the Political Economy of the Mass Media, New York, Pan theau Books, 1988, Preface.

تتحرك ضمن دائرة الغاية تبرر الواسطة، وتخرج عن دائرة حسن الوسائل من حسن المقاصد.

فليس كل قبول يعبر عن حالة من الرضى المتكامل والاقتناع، وإنما قد يعبر عن قبول يغلف ضمن عناصر إذعان أو سيطرة أو ترهيب أو تعميم وتنميط، وهو - بعبارة أدق - إكراه في ثوب القبول.

في هذا السياق علينا أن نفحص ضمن مقولات المدخل القيمي في إطار الرؤية الإسلامية كإطار مرجعي، هذا النمط من (القيم السائدة) وإمكانات نقدها وعناصر تخلفها وتكونها وتعمقها وسيادتها وهيمنتها.

• مفهوم القيم والمركزية الحضارية الأوربية (القيم ونطاقها الحضاري)[1] واقع القيم وأخطاء التنظير

هل يمكن أن تكون القيم فكرة عنصرية ترتبط بنطاق، بينما هي خارجه تنقلب في أصول التعامل ليتحكم بها قواعد وقوانين أخرى؟ إنها نظرة للآخر تتفاعل فيها عناصر رؤية لا ترى الآخرين أهلاً لتلك القيم أو تطبيقاتها، إن مراعاة القيم تتم في نطاق حضاري، أما خارجه فلا تعمل القيم، أو بالأحرى تهمل أو يعاد تفسيرها، بل ربما تطبق عناصر رؤية مختلفة تتأسس في معظمها على السيطرة والهيمنة ولكن لها تعلق بمدخل القيم، علينا هنا أن نتصور جملة من النماذج:

١- شعب الله المختار والتعامل بالقيم داخل منظومته واختفاء كل عناصر القيمة أو الضبط من خلالها، مع تعديها ذلك النطاق، ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٣/ ٧٥].

---

(١) في إطار بعض العلاقات المفترضة بين عمليات التغريب، ونظريات التحديث يمكن مطالعة كتابات أشارت إلى هذه الصلة، أهمها: المرجع السابق، ص ٣٤ وما بعدها.

٢- الحركة الاستعمارية التي مهد لها ما سمي بحركة الكشوف الجغرافية التي لم تكن تعني إلا حركة هيمنة وسيطرة واستغلال الثروات، هذه الموجات اتخذت من عبء الرجل الأبيض وقيمه التي يحملها (قيم المدنية)، شعارات تشير إلى حبس القيم في نطاق حضاري لا تتعداه، أما النطاقات الأخرى، فهي إما مجالات حيوية، أو أراض لا صاحب لها، أو موضوعات للمقايضات والمساومات بين القوى المتنافسة في الحقل الاستعماري.

٣- المركزية الغربية ترى من نظامها القيمي حجية لا نقاش فيها، إن قوانين الغالب - بما فيها النظام القيمي - يجب أن تسود إن رَغَباً، وإن رَهَباً. عناصر المركزية تلك بدت في عناصر غاية في الأهمية باعتبارها المعيار الذي تقاس عليه الظواهر والقواعد والقيم والتوجهات والمواقف، بدا ذلك في تصدير نماذج القيمة، عمليات التغريب في النطاقات الحضارية المختلفة خاصة ضمن سياقات ونظريات التحديث وما في حكمها.

٤- النظام العالمي الجديد الذي أشار إلى عالميةٍ محورُ مركزها الحضارة الغربية، خاصة التصور الأمريكي، القيادة الأمريكية للعالم لم تكن تعني إلا فرض الأنساق القيمية في إطار ما هو متعارف عليه بأنه نمط للحياة way of life فعناصر من مثل: حقوق الإنسان، الديمقراطية، الموقف من الإرهاب.. كل تلك تعبيرات تحاولُ أن تجعل من ذلك أنماطاً، أو بمعنى أدق، تنميطاً حضارياً عالمياً، إنها عالمية المركز التي تؤكد عناصر الإلحاق والهيمنة من خلال المركز. وغير ذلك من أمور أسهمت كلها في ترويج العنصرية بالمعنى الثقافي والحضاري العام، ولو في النطاق الحضاري، لتؤسس فكرة مركزية الحضارة الغربية.

• قرية عالمية أم سفينة الأرض؟ إشكالية القيم وعالميتها

في ظل تطورات أسميت بثورة الاتصال وثورات المعلومات حسن عند بعضهم أن يستخدم مفهوم القرية العالمية Global Village تأكيداً على عناصر التواصل في الأحداث والمعلومات Global Internet، وهي تطورات وتغيرات ومتغيرات غير منكرة على المستوى الدولي كانت لها تأثيراتها العالمية في المستويات الحضارية كافة. إلا أن ذلك تم في سياقات لم تملك معها هذه العناصر أن تحقق حتى مضموناتها الكامنة في الكلمات أو التركيبات اللغوية، فقد حققت هذه التطورات وبفعل منتدى مالكي القوة سيطرة وهيمنة على عالمي الاتصال والمعلومات باعتبارهما من أهم العوالم لصناعة الصورة وتدويل النماذج الحياتية والقيمية. بدأ البعض يتحدث عن ضرورات الانخراط الخلاق ضمن أطر الفلسفة الكونية وسياقات المجتمع الكوني. من دون أن يتحدث هؤلاء عن قشرية الاتصال والتحكم المعلوماتي على الأقل ضمن نطاقات محدودة، وبدت هذه العوالم تؤسس أدواراً تقوم على صناعة الأفكار والاهتمامات والأولويات والبرامج وأنماط التفكير وأنماط العمل وتنميط الاستهلاك، وتشييع عناصر قيمية مرتبطة بكل ذلك. ومع ذلك فإن قدراً من الإشكالات الكامنة والظاهرة (المجاعات) (التلويث البيئي المقصود) (الحروب الأهلية)، (نظم التبادل غير العادلة في المجتمع الاقتصادي الدولي) (تجارة السلام أو الموت..) إلخ؛ التي لا تشير إلى إشكالات فقط، بل إلى تشوهات كامنة، هذه التشوهات استطاعت أن تحجبها مقولات القرية العالمية التي لم تكن تعني سوى قشرة اتصالية ومعلوماتية تغلف هذه التشوهات حاجبة لها، من دون أن ترى أو تتحرك ضمن منطق التعارف وسفينة الأرض Ship of the Earth[1]، والذي يقتضي منطقاً اتصالياً ولكنه

---

(١) تعبير سفينة الأرض تعبير مهم، من الإنصاف أن يشيع في التداول، فهو يؤدي =

تكافلي، أو منطقاً معلوماتياً ولكنه حقيقي وجوهري، بحيث يحقق عناصر العدل العالمي ضمن البحث عن القيم الحافظة على ما يقول (دويتش) من أن العلاقات الدولية هي فن الإبقاء على الجنس البشري، ولكنه فن يرتبط بسياقات قيمية وسياسات فعلية وحقيقية، لا قرية عالمية هي أشبه ما تكون ببيت العنكبوت في وهن علاقاته وشبكته(١).

- **القيم وعناصر مصدريتها التاريخية (القيم المتخلفة) (القيم العصرية):**

من أهم مداخل التهميش القيمي ضمن هذا السياق استخدام عنصر الزمن (القدم والحداثة) باعتبارهما قيماً، من دون النظر إلى الوعاء الزمني باعتباره يحمل عناصر قيمته وفاعليته؛ من الفعل والقيمة في آن واحد، وتفعيلها في الواقع من دون النظر إلى القدم والحداثة، والتاريخي أو المعاصر(٢).

= معاني الاتصال المسؤول، لا مطلق الاتصال أياً كانت المعادلات التي ينطوي عليها وطبيعتها: انظر: رجاء جارودي: حفارو القبور، ترجمة: رانيا الهاشم، بيروت، باريس: دار عويدات، ١٩٩٣م، ص ١٧.

(١) يمكن مطالعة هذا التعريف المهم الذي يتضمن أصولاً قيمة في الحفاظ على الجنس البشري كياناً ووجوداً وفاعلية وتفاعلاً لدى كارل دويتش في: كارل دويتش: تحليل العلاقة الدولية، ترجمة شعبان محمد شعبان، مراجعة وتقديم د. عز الدين فودة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ص ٧٧-٨٣ وما بعدها.

- تشير إلى بيت العنكبوت بمضامينه الواهية، رغم شبكيته وتعقده الآية القرآنية: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ٤١].

(٢) القدم والحداثة بوصفها معايير لتقويم الأفكار والأحداث والقيم أمور مهمة يجب تحريرها، فالاستناد الزمني في هذا المقام له خطورته في تشكيل البنية المعرفية وأنساقها المتولدة عنها، وهي تقوم على افتراض من الواجب مراجعته حول تلازم الحداثة الزمنية مع الصلاحية، وتلازم القدم مع عدم الصلاحية، وهو=

وتبدو أهمية هذا الأمر لما يترتب عليه من آثار منهجية من الضروري أخذها في الاعتبار، وكأن لسان حال هذا التوجه يقوم على قاعدة (النسخ القيمي)، إن اللاحق من القيم ينسخ السابق، وإذا كان من الممكن تقبل ذلك ضمن نسق حضاري يجعل من التجاوز أهم قيمة حتى إن لم يسم بأسماء؛ بدا ذلك ليس في شكل مراجعات علمية وبحثية فحسب، بل في التبشير بكثير من النهايات Ends، والتبشير في الوقت نفسه، بالمابعديات Posts في سياق من النسخ المستمر المتلاحق ترعاه عناصر تغيرات تتمتع بالسيولة في حقل المعلومات والاتصال(١).

ومن هنا يبرز الاتجاه ليشير إلى القيم المتخلفة السلبية التي يمثلها عالم المسلمين، بل والإسلام باعتباره المسؤول والمولد لهذه القيم.

ميشيل جوبير(٢) واحد من هؤلاء الذين ينقدون القيم الإسلامية في العنف والتسلط والإكراه في سياق نقده لمفاهيم لم يتوقف عندها بالبحث

= افتراض لا يستند إلى تأسيس منهجي؛ منير شفيق، الإسلام في معركة الحضارة، بيروت: دار الكلمة للنشر، ١٩٨٣م.
طارق البشري: ماهية المعاصرة، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٦م، ص ٧ وما بعدها.
انظر أيضاً: طارق البشري، الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٦م، ص٤٧ وما بعدها.

(١) في إطار التجاوز والنسخ ضمن الأنساق المعرفية التي تبنت فكرتي (النهايات) والمابعديات، وأثر ذلك في عالم القيم وعدم استقرار النظرة إلى القيم، يمكن أن يكون ذلك موضوعاً للبحث المستفيض، وهو أمر يخرج عن اهتمامات البحث المباشرة ولكن يستحق المعالجة.

(٢) انظر مقالة ميشيل جوبير وزير الخارجية الفرنسية الأسبق، في إطار تصورات إدراكية شديدة الخطورة، تتعامل مع عالم المفاهيم في المنظومة المعرفية الإسلامية بكثير من الترصد، وبقدر من الاستسهال وعدم التعمق، وبقدر غير يسير من اللغة الاتهامية التي يبني عليها في النهاية منظومة للتجني لا البحث المنهجي: =

والفحص من مثل (دار الحرب ودار الإسلام)؛ ولسنا هنا في مقام الدفاع أو الرد، ولكن أردنا فحسب أن نشير إلى عناصر رؤية لها مؤيدوها، تحاول أن تصم الإسلام بقيم هي ليست منه، ثم يصف هذه القيم بالسلبية والتخلف، ويصف الإسلام ذاته بالتخلف، ضمن أكبر عملية لصناعة الصورة، وضمن ما أشير إليه في عنوان يحتمل التورية (تغطية الإسلام)(١). ومن نافلة القول في هذا المقام أن نؤكد أن القيم كتأسيس وكليات تابعة لا تتعلق أو لا تكون ثابتة لعناصر متغيرة من (قدم) أو جدة بل هي تملك عناصر حجيتها الذاتية والموضوعية، بل والواقعية، في ضوء التلاحم بين جملة هذه العناصر. فالقيم من المناطق التي لا تقبل (التجاوز) في الرؤية الإسلامية، وليست هناك قيم متخلفة وقيم عصرية بفعل الزمان؛ بل هناك قيم صالحة ومصلِحة بحكم الكيان والتكوين والفاعلية والتفعيل من خلال أصولها ومتطلباتها.

- **القوة وعلاقاتها بقضية تهميش القيم (قيم القوة وقوة القيم)**

من أهم العناصر التي أسهمت في عملية التهميش القيمي مدخلاً ومآلاً، تحليلاً وتفسيراً هو الرؤية المنظومية للعلاقة بين القوة والقيمة، وذلك في سياق اعتبار قيمة القوة تسبق قوة القيمة، القيمة ضمن هذه المعادلة تابعة للقوة، ومن هنا بدت رؤية القيمة مرهونة بصاحب القوة وبحدود القيمة؛ تنظيراً وتأويلاً وتفسيراً وتطبيقاً. القوة وفق هذا التصور تعلو القيمة في منظومة الفعل الحضاري وإمكاناته، فهي تابعة للقوة؛

= Michel Jobert, regards sur l'integrisme de La dar El-Hab, Ahram Hebdo, 9-15 Novembre, 1994, P 15 Fahmy Hwaddi, 61-22 Novembre, 1994, p.13.

(١) في إطار صناعة الصورة، والتغطية الإعلامية والعلمية للظاهرة الإسلامية انظر: إدوارد سعيد: تغطية الإسلام، ترجمة: سميرة نعيم خوري، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٣م.

تتشكل منها وتتأسى بها، هذه العلاقة التي تضيف للقوة حجة إضافية وسلطة مضافة ضمن غطرسة القوة، وغطرسة القوة هي جملة من التصورات والأفعال والأقوال تكون عنصر انفراد، ومنظومة إذعان وإخضاع وقسر وإلحاق وتأصيل لشبكة التبعية في الأفعال والعلاقات(١).

القوة بهذا المعنى تحلُّلٌ من كل التزام قيمي، سوى إمكانات تعظيمها وتضخمها؛ ليس في الشكل فقط، ولكن - ربما في كثير من الأحوال - في التصور والإدراك.

صراع القوى وتوازن القوى، وتوازن الرعب، وتوازن المصالح كلها عمليات تابعة لهذه النظرة القائمة على أسبقية القوة على القيمة؛ ربما تصل إلى حد نفي القيمة واستبعادها.

معادلات القوة وفق هذه الرؤية تؤدي إلى جملة من العلاقات غير السوية وجملة من الأحداث تكشف عن التوتر الكامن خلف الأفعال والأقوال؛ وعن نمط العلاقات ضمن عناصر تشوه، تستبقي بفعل عناصر الاستئثار بالقوة والتشوه القائم على قاعدة من الظلم البادئ، هذه المعادلات غير الموزونة؛ وتورث جملة من التنظيرات والممارسات على شاكلتها.

---

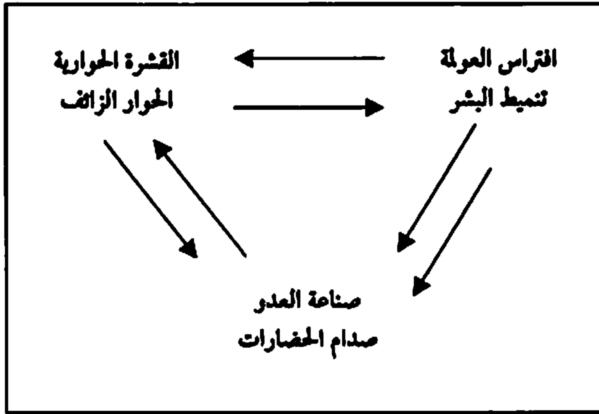
(١) في إطار نقد مفهوم القوة ضمن هذا التصور انظر:
د. أحمد يوسف أحمد، د. محمد زيادة: مقدمة في العلاقات الدولية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥م، ص ٣٧-٤٢.
انظر أيضاً: د. علي أصغر الكاظمي: دور القوة في المجتمع والعلاقات الدولية، ترجمة: محمود عبد الكريم، الفجر الجديد، العدد ٣، السنة الأولى ربيع الأول ١٤١٣هـ، ص ٩٢-١١٨.
في إطار فكرة غطرسة القوة وما تحمله من معادلات، قد نجد إشارات متنوعة يمكن ملاحظة بعض منها في: وليم فولبرايت: غطرسة القوة، ترجمة: محمود شكري العدوي، القاهرة: دار الكتاب العربي للنشر، د. ت، مواضع متفرقة.

إن تصحيح هذه المعادلات فضلاً عن أوزانها، وإدخال عناصر تحقق للمعادلة فاعليتها القيمية؛ أمر لابد منه، فالقوة ضمن عناصر المعادلة هذه تابعة لأصول (البينات)، وحدود الكتاب، كلياته وقيمه التأسيسية، وعناصر (الميزان والعدل) في تكوين المنظومة، المحقق للجمع والتفاعل الذي يزن طرفي المعادلة، وتأتي القوة عنصراً من عناصر المعادلة يلتزم بهذه العناصر جميعاً فلا يجعلها فرطاً من أي حد فتتحول إلى غطرسة ظالمة تعبر عن جملة ممارسات ومعادلات ورؤى وعلاقات على شاكلتها، ليس فيها من معاني الميزان من شيء، وتتعملق القوة ضمن هذه المعادلة فتكون لها بيناتها الخاصة وكتابها الخاص وميزانها الخاص الذي تفرضه كله من خلالها.

المستوى الثالث

مقدمات القراءة الناقدة
الكاشفة الفارقة

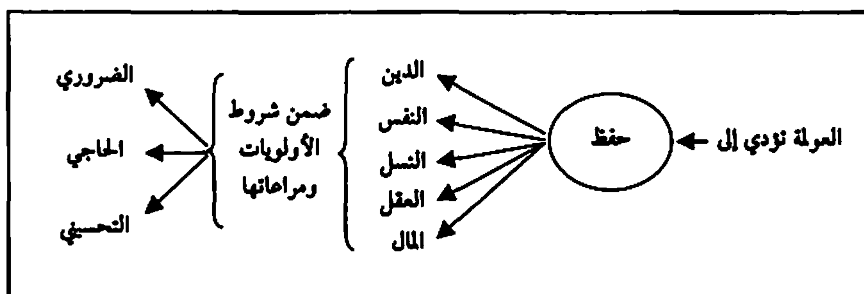
تحاول أن تعالج موضوعاً شاع ضمن أشكال من الحوار، تنوعت وتعددت توجهاته ومواقفه، وهو العلاقة بين أفكار مثل حوار الحضارات وتصادمها وظاهرة العولمة. إذ تهدف هذه الورقة إلى الكشف عن شبكة الارتباطات الكامنة والظاهرة بين هذه الموضوعات على اختلاف توجهاتها. ومن هنا وجب علينا ألا نغفل العلاقة بين العولمة بوصفها ظاهرة وعملية من جانب، وحوار الحضارات وصدامها بوصفها آليات توظف ضمن سياقاتها. هذه العلاقة إنما تشكل دالة مهمة على حوار الحضارات المأزوم الهادف إلى تنميط البشر، خروجاً على سنة الاختلاف وحقائق التنوع والتعدد الثقافية، وصدام الحضارات المزعوم القاصد إلى تصنيف الأعداء والخصوم داخل الدوائر الحضارية المتنوعة الهادفة إلى إشاعة أشكال التهديد والردع، بين حوار للحضارات أسيء استخدامه كآلية، وبين صدام للحضارات؛ يلقي الأوصاف جزافاً على الحضارات ويحدد الموقف منها مصنفاً إياها في دائرة الأعداء والخصوم؛ تأتي العولمة تفترس الخلق بما يسمى (القرية الكونية) و(الثورة الاتصالية والمعلوماتية) ضمن قشرة حوارية تشير إلى معاني (الحوار الزائف) لا الحقيقي، وإيديولوجية صدامية تعنى (بصناعة العدو). وصار الأمر متفاعلاً في علاقة متفاعلة ومستطرقة في آن واحد يؤكد عليها الشكل التالي:



ذلك أن تلك العمليات ترتبط بالعولمة، والحوار الخالي من الشروط الابتدائية والأساسية والمقاصد الكلية، يفقد جوهره ومغزاه وقيمته وفاعليته، وصدام حضاري مفتعل يقوم على صناعة العدو يهيئ المعمورة لصراع قادم تستنفر فيه الحضارة الغربية طاقاتها ضمن صناعة الخطر، (الخطر الأخضر) الذي يتمثل في الحضارة الإسلامية، مهما أشارت إليه الدلائل والمؤشرات من هالة الافتعال حول الدائرة الحضارية الإسلامية التي تتسم في واقعها الفعلي بالهوان الشديد والوهن المتراكم، كل ذلك يشير إلى الفجوات بين الشعارات والممارسات، بين القيم المدَّعاة وتطبيقاتها، بين (عالمية الاستخلاف) و(عولمة الاستئثار).

هذه الفجوات تشير - ومن أقصر طريق - إلى افتقاد عمليات العولمة ومقولات الحوار الحضاري كما يمارس على الأرض، ودعاوى صدام الحضارات كما يروج لها، افتقادها إلى البنية الأساسية التي تؤكد عليها الرؤية الإسلامية ضمن عالمية الاستخلاف؛ التي تجعل من مفهوم (تعارف الحضارات) والعمليات المترتبة عليه، والمقاصد المرتبطة به، والآليات التي تشتق منه خروجاً على افتراس العولمة ومقصدها في تنميط البشر،

وحوار حضاري زائف لا يعدو أن يكون مثل قشرة حضارية حوارية ظاهرها الرحمة وباطنها الهيمنة والسيطرة والطغيان، ضمن ما أسماه نعوم تشومسكي (هندسة الموافقة والقبول)، أو تحقيق الرضا في ثوب الإذعان؛ وضمن سياقات هذه الرؤية يمكننا أن نقدم رؤية نقدية أولية للعولمة في سياق بناء النموذج المقاصدي المقاصد الكلية العامة، فنعرض مقولات وعمليات العولمة على معايير حفظ الكليات (الدين، النفس، النسل، العقل، المال)، وضمن ترتيب عناصر أولويات تسهم في نقد واقع العولمة (الضروريات، الحاجيات، التحسينيات)، يمكن إبراز هذه الرؤية النقدية ضمن هذا الشكل:



ضمن هذا السياق الذي يشير إلى تعارف الحضارات على أنه مفهوم محوري في الرؤية الإسلامية والمقاصد الكلية التي تقدم رؤية نقدية للعولمة وعملياتها، من المهم أن نؤصل معنى التعارف الحضاري ومتطلباته وتوابعه وارتباطاته، والأنساق المعرفية والقيمية التي تتولد عنه. تعارف الحضارات ليس إلا واحداً من قسمات رؤية العالم في منظور الرؤية الإسلامية، ينفي ذلك المفهوم عن معنى العالمية كل معاني الطغيان، ويقصي عن الحوار كل ممارساته الزائفة، ويكشف كل معاني الافتعال في دعوى صدام الحضارات.

وعالم المسلمين مدعو إلى أن يسهم بفاعلية في بناء النسق القيمي

الحاكم والضابط للعلاقة بين الحضارات، صحيح أنه قد لا يستطيع أن يسهم في البناء المادي (التقني) إلا أن عليه أن يسهم برؤيته في تعارف الحضارات ليرشد المسيرة الحضارية، هذا الإسهام أحد مستويات شهوده الحضاري والذي يجب ألَّا نتخلى عنه وإلا تخلى عنا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ٤٩/١٣].

مدخل النقد والبناء وإعادة التأسيس يشتمل على عدة عناصر نركز على بعض منها:

١- رؤية العالم في الذاكرة التاريخية.

٢- التحيز في المفاهيم المرتبطة بالعولمة.

٣- المفهوم الحر والمفهوم العبد.

٤- النموذج المقاصدي والعولمة.

٥- عالمية الإسلام وتعارف الحضارات.

٦- نقد عالم المسلمين ومستقبل التحديات للعالم الإسلامي.

تقسيم الدور في سياق مقارن من منظور رؤية العالم؛ الذاكرة التاريخية:

من المهم أن نؤكد أن مسألة التقسيم للمعمورة منظوراً إليها في سياق رؤى العالم، وفي سياق منظور حضاري أرحب، هي عملية من طبائع الأمور، فمادام هناك (ذات) و(آخر) وذات (وغير)، وعلاقات صداقة وعداء تشكل جوهر السياسة على ما يشير كارك شميت وفروند، فإن التقسيم الفطري يقوم في كل عصر إلى ثلاث دور متباينة كشيء تفرضه طبيعة الأمر،

فدائماً تعتبر كل أمة دارها دار سلم وأمن، بينما تدخل مع الآخرين في علاقات تتفاوت بين حالة حرب معها وأخرى لا تخضع لسيادتها، ومن ثم فهي دار حرب وعداء، وبين هذا وذاك يستثنى من هؤلاء الداخلون معها في صلح أو هدنة أو عهد أو صداقة، والمتابعة التاريخية تؤكد هذا الأمر بحيث لا تقبل لتلك القاعدة نقضاً، إلا أن متابعة ذلك من الأمور التي تخرج عن نطاق بحث كهذا، فضلاً عن قيام أحد الباحثين بدراسة قيمة بمتابعة هذا التطور بشكل يتسم بالتقصي العلمي والمنهجية المنضبطة.

كما أكدنا أننا ضمن هذه الدراسة التي توضح الإسهام التصنيفي للمدخل القيمي فإن قضية تقسيم الدور أو المعمورة، يحمل في طياته رؤية متكاملة للعالم والآخر، والمبادئ الكلية الحاكمة لهذه العلاقات ضمن سياق المنهاجية المقارنة نقدم ذلك ضمن جملة من النقاط الأساسية:

- **تصنيف الدور وأثره في فكرة الاعتراف الوجودي والشرعي:**

من أهم إسهامات الرؤية التصنيفية من منظور الإسلام للمعمورة أنها أشارت إلى تميز جوهري بين الاعتراف الشرعي القانوني الكامل من جانب؛ والاعتراف الواقعي من جانب آخر، ويعد هذا التميز ترجمة فعلية للقاعدة الكلية "عدم الوجدان لا يعني عدم الوجود"، فإن الوصف لا ينفي الوجود بل يؤكده، وما يترتب على تلك الرؤية من مواقف وقرارات وسياسات. مقتضيات الوجود لا الوجدان (الخصومة والعداوة والكراهية) هي الحاكمة في أي تعامل.

لا يمكن فهم هذا المعنى الخاص بالاعتراف الواقعي (الوجود) على أنه مدخل للتعامل إلا في سياق فكرة (التعارف) وتنوع مستوياتها، التعارف بوصفه مفهوم تأسيس وعملية ممتدة يتضمن اعترافاً ضمنياً وكامناً بالوجود، وعناصر التعارف بدورها وباعتبارها عملية تتنوع وتتعدد وفق (الحالات - التعاملات - المواقف - الصفات - العلاقات) من جانب

وفق الشروط والاختيارات والبدائل والتبني من جانب آخر..، التعارف وفق هذه الرؤية يعبر عن مساحة حركة ممتدة ومتنوعة وقائمة على أسس واقعية من الاختلاف، وباعتبار الاختلاف سنة كونية وإنسانية، والتعارف الممتد يعتبر عالمية الدعوة المستندة إلى مخاطبة عناصر الفطرة الإنسانية المشتركة، وأصول التكريم الإلهي للإنسان، وحمله للأمانة، ومخاطبته بأصول التكليف، وحركة الاستخلاف العمرانية لعموم البشر والإنسان[١].

ووفق هذه الرؤية فإن الشرع ينتظم جميع العلاقات البشرية بقطع النظر عن طبيعة تلك العلاقات وموضوعها وأوصاف أطرافها، ومن ثم فإن علاقات دار الإسلام بغيرها من الوحدات الدولية محكومة بذلك الجانب من الشرع المتعلق بهذا النوع من العلاقات، ويترتب على ذلك أن دار الإسلام لا يمكنها الخروج على ما ارتضته شرعاً لها وإلا فقدت صفتها دار إسلام، ولا تفقد تلك القواعد والأحكام شرعيتها ولا قانونيتها بعدم اعتراف غيرها بها؛ بل إن مخالفة هذه الوحدات والبلاد لتلك القواعد الآمرة لا يعطي بحال مبرراً لدار الإسلام للتحلل منها، ولو من قبيل المعاملة بالمثل.

ومن هنا فإن الشرع إذ يفترض قيام سلطة ذات سيادة واختصاص إقليمي لرعايةِ أحكامه ووضعها موضع التطبيق العملي، فهناك أحكام ومبادئ تتعلق بموضوع السلطة والدولة ونظامها وشؤونها، وهناك أحكام لا يمكن تنفيذها من دون سلطة، خاصة أن من صفات الشرع المشملَ

---

(١) قارن في هذا المقام مارسيل بوزار: إنسانية الإسلام، ترجمة د. عفيف دمشقية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٦م، وهذا الكتاب يعالج قضية الانتشار الإسلامي من خلال ما أسماه بالخلق الدولي، وهو في هذا المقام يعبر عن تميز مفهوم عالمية الإسلام عن ادعاءات معاني العالمية لدى توجهات أخرى تاريخية؛ كما يمكن أن تمتد إلى مناقشة قضية العولمة في عصرنا الحاضر، انظر ص ٧ وما بعدها.

بمعنى عدم اقتصار أحكامه على تنظيم العلاقات الفردية فحسب، وإنما تمتد أحكامه لتنظيم علاقات البشر جميعاً، أفراداً وجماعاتٍ ودولاً.

ووفق هذا التصور فإنه من البدهي أن تكون هناك علاقات بين ما اصطلح على تسميته دار الإسلام من البلاد وبين غيرها من الدور والبلاد، وحتى لو كانت دار الإسلام لا تعترف اعترافاً شرعياً بغيرها من الدور، فإن هذا لم يشكل مانعاً من الاعتراف الواقعي بها، بوصفها كيانات موجودة فعلاً وتباشر سلطانها واختصاصاتها الإقليمية على رعاياها، بل وحتى على رعايا دار الإسلام المستأمنين فيها، كما تنشأ بينها وبين دار الإسلام علاقات متنوعة من السلم والحرب والتعاهد والتجارة بحكم هذا الوجود، الأمر الذي يفرض وجود قواعد معينة تنظمها على نحو ما وتعتبر ملزمة على الأقل، بالنسبة إلى دار الإسلام.

- **التقسيم الدولي للمعمورة والواقع الدولي المعاصر؛ مراجعات وإعادة طرح**

نعالج ضمن هذه النقطة في سياق إسهامات المنظور القيمي بتجلياته العقدية والشرعية والقيمية والحضارية والسننية والمقاصدية نقاطاً ثلاثاً نظن أهميتها في عمليات التأصيل والتفعيل والتشغيل، فضلاً عن إشارتها إلى موضوعات بحثية متجددة.

الأولى: التقسيم الدولي للمعمورة في الرؤية الإسلامية؛ الثابت والمتغير.

الثانية: نهاية التاريخ وصدام الحضارات وحوارها، ورؤية العالم وتقسيم المعمورة.

الثالثة: نموذجان للعالمية (عالميتان) العلاقة بين الذات والآخر وعملية التصنيف.

الأولى: التقسيم الدولي للمعمورة في الرؤية الإسلامية؛ الثابت والمتغير

من الموضوعات المهمة في هذا المقام أن نتعرف على القواعد الثابتة ضمن مفهوم التقسيم الدولي للمعمورة (تصنيف الدور)، وكذلك التعرف على المناطق المتغيرة التي تستدعي مراجعة التقسيم والتصنيف، إشكالية العلاقة هذه بين الثابت والمتغير تستحق المتابعة بالدراسة والتحليل.

إن حالات الفوضى والارتباك تشير وبقدر لا بأس به من ضرورات الفقه المعاصر الذي يراعي عناصر متعددة، من دون اللجوء إلى محاولات إخضاع الواقع لاجتهادات تخص عالماً آخر، مختلفاً سياسياً وعقيدياً عن عالمنا الراهن؛ أننا في هذا السياق أمام قسمة جديدة، والقسمة السياسية القديمة التي كانت تشطر العالم إلى (دار إسلام) وإلى جانبها (دار العهد)، ثم (دار الحرب) أفرزت قوى متفاعلة وفقاً لهذا التقسيم.. في إطار العالم الحديث، ومع بروز الدولة القومية اختفت القسمة القديمة، وجاءت قسمة جديدة ومعها قوى جديدة، وبمواصفات جديدة، لكي تتولد عنها ضروب جديدة من القتال.. ظلت علاقة الإسلام والمسلمين بأوربة في حالة من المد والجزر في أثناء الحروب الصليبية، وحروب الأندلس، وفتوحات العثمانيين في أوربة إلى أن سقطت بلدان العالم الإسلامي كلها تقريباً في قبضة الاستعمار الأوربي الحديث..، وبعد نحو قرنين من الزمان استطاعوا أن يغيروا القسمة القديمة للعالم (الواصفة للواقع آنذاك)، استطاعوا أن يغيروها سياسياً وثقافياً، خارجياً وداخلياً، فلم يعد العالم منقسماً إلى دار إسلام ودار عهد ودار حرب؛ لأن دار الإسلام بالمواصفات الشرعية التي حدها الفقهاء اختفت من القسمة السياسية للعالم، وعلى أنقاضها ظهرت الدولة القومية، وصارت دول المسلمين أقرب ما تكون إلى

(فسيفساء سياسية) مكونة من دول ودويلات وإمارات، تتوزعها الخلافات والأطماع، وربما يتقاتلون..

لقد خبا هذا التقسيم السياسي القديم وكاد يختفي، لاختفاء أساسه الواقعي الذي استند إليه، والتقسيم والقسمة الجديدة تحتاج إلى دراسة علمية شاملة لتحديد مواصفاته، وتبعاً لذلك يمكننا وصف ضروب القتال والاقتتال الحديث، وأساليب المواجهة وطرائق تحصيل القوة.. إلخ.

وبغير تلك الدراسة لابد أن نتعرض للخلط والاضطراب؛ فالأمر موضع مزلة أقدام ومضلة أفهام.

ومن المهم في هذا السياق أن نطرح الأسئلة الصحيحة ونحن بصدد عمليات التصنيف، خاصة أن بعض الدراسات الحديثة لم تتنبه إلى التغير الحادث وتأثيراته في القسمة القديمة للعالم، وحلول قسمة جديدة، فبدت وكأنها تتحدث عن مقام مختلف، وواقع متبدِّل، ومضت تتحدث عن ذات القسمة القديمة وأحكامها، كأن شيئاً لم يحدث أي تغير.

ألَم تحدث الدولة القومية عناصر قسمة جديدة؟ ألَم تحدث الظاهرة الاستعمارية بإرهاصاتها قسمة تكوَّنت على أرض الواقع؟

عناصر القسمة الجديدة للعالم الإسلامي أفرزت جملة من الصعوبات والمشكلات لا يجوز لنا بحال أن نتخطاها أو نقفز عنها، لأنها غيرت المعادلات وأطرافها ووسطها، وبالقطع محصلتها ونتائجها.

إننا في هذا السياق أمام أسئلة جديدة، يجب أن نتعرف على فقهها، هذه الأسئلة يجب أن نقدم لها صياغات صحيحة، لأن السؤال الصحيح هو نصف الإجابة، لأنه حركة في مسار صحيح[1].

---

(١) انظر في تأسيس العلاقة وتصنيف الدور والمترتبات المنهجية على ذلك، وكذلك تطور كتب السير ومسألة داري الحرب والسلم: رضوان السيد: كتب السير، =

إن الأوضاع التي انبنى عليها التصور العام وبقي مستصحباً قروناً طويلة، هذا الوضع تغير في عدد من أركانه الهامة في العصر الحديث، من نهايات القرن الثامن عشر حتى اليوم، وبهذا لم نعد أمام التصنيفات التقليدية في دار حرب ودار إسلام ودار عهد، أو ما فتح صلحاً وما فتح عنوة.. وهي أمور تفرض البحث في معايير مختلفة وجديدة نستهدي بها في ضوء خبرة التاريخ المعاصر، وبالنظر إلى الملامح الرئيسية التي تشكل حركة تاريخنا المعاصر التي تستهدف الاستقلال السياسي وتوحيد البلدان ومقاومة الاستعمار والتخلص من التبعية في كل صورها السياسية والاقتصادية والثقافية، كما وجب النظر إلى التغيرات ومظاهرها في الأوضاع المعاصرة، ورؤية مدى اختلافها عن الأوضاع السابقة.

الثانية: نهاية التاريخ وصدام الحضارات، والحوار فيما بينها، رؤية العالم وتقسيم المعمورة

في إطار ترسيخ فكرة العولمة برزت مقولات اختبارية من النوع الذي استدعى نقاشاً امتدت دائرته. من أهم هذه الأفكار نهاية التاريخ لفوكوياما، الذي استند إلى التبشير بانتصار مؤزر لليبرالية الغربية، واعتبر

= مسألة داري الحرب والسلم نموذج كتاب السير لمحمد النفس الزكية، بحث غير منشور، تحت الطبع. وكذلك دراسة ظهور دار الإسلام وزوالها دراسة في الاجتهاد الفقهي، تحت الطبع أيضاً.

وقارن: محيي الدين محمد قاسم: التقسيم الإسلامي للمعمورة، دراسة في نشأة وتطور الجماعة الدولية في التنظيم الدولي الحديث، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦م.

انظر هذه الملاحظة الناقدة في استمرار تقسيم المعمورة إلى دار حرب ودار سلم ومنطق ذلك التصنيف في السياسة المعاصرة في:

Ali A. Mazrui, The political Culture of North -South Relation: The cose of Islam and the west, Paper written for Russian Littoral Project Conference of (The Decline of Empiers), Univ. of California, San Diego, January 9-11, 1996.

كل التحديات في هذا المقام هامشية بما فيها التحدي الإسلامي، بينما هنتنجتون كان أكثر تعبيراً عن حقيقة مفادها أن الثقافات والحضارات المرشحة لأن تشكل عائقاً أمام هذا الانتصار للحضارة الغربية وثقافتها تتمثل في الحضارة والثقافة الإسلامية، والكونفوشيسية، وبرزت في هذا المقام إيماءات وإشارات، بعضها من طرف خفي وبعضها الآخر بشكل مباشر، تؤكد على أن (الإسلام) أياً كان تفسيره له في المستوى الذي يقصده منه يشكل (العدو)، وواقع الأمر وفي إطار الذاكرة التاريخية للتقسيم الخاص بالمعمورة، كذلك في إطار أن هذه الرؤى تمثل وتعكس بصورة أو بأخرى صورة للعالم، ومحاولة لتحديد وتعيين العدو، وهو ما جعل تلك المقولات ليست بعيدة بأي حال من الأحوال عما نحن بصدده في تقسيم المعمورة.

يتضح من هذه الرؤى، استناداً إلى تقليد متواتر داخل الحضارة الغربية، أن الحضارة الغربية لا عالم المسلمين هي التي تعين (العدو) وتصنف المواقف بناء على ذلك التكييف، ومن ثم فهو يعبر عن خيار الحضارة الغربية باعتبار الإسلام عدواً، وليس من المعقول أن يعتبر طرفاً في العلاقات الدولية غيره عدوا، لا يعتبره الطرف الآخر عدواً هو الآخر[1].

ومن هنا تبدو لنا جملة المغالطات التي تحرك هذه التصورات التي تتهم الإسلام والمسلمين تاريخياً حتى الزمن المعاصر، هذه النظرة

---

(١) انظر مقولات العدو الأخضر في هذا المقام، جون اسبيزيتو: التهديد الإسلامي أسطورة أم حقيقة؟ القاهرة الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٩٥م.
انظر أيضاً، يوجين هيلر وأندريا لويج: الإسلام العدو بين الحقيقة والوهم، ترجمة: أيمن شرف، القاهرة، الفرسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص ١٩-٥٤.
في إطار فكرة الخطر الإسلامي انظر:
Hipplar, Jochen and Andrea Lueg, (eds), The Next Threat: Western Perceptions of Islam, London: Pluto Press and Transnational Institute, 1995.

تتهم الإسلام والمسلمين تاريخياً حتى الزمن المعاصر، هذه النظرة الاتهامية ضمن صناعة الصورة تفعل فعلها، وتشكل رؤى تصنيفية لتقسيم المعمورة من جديد.

وفي إطار هذه المغالطات قد لا تفتأ هذه الرؤى أن تشير إلى إسقاط صفات حول العنف والإرهاب وتحاول إلصاقها بالإسلام ثقافة وحضارة وواقعاً. على الرغم من واقع الضعف الذي لا يسمح لعالم المسلمين أن يعينوا أعداءهم وما يترتب على ذلك من علاقات.

ويعبر النقاش حول هذه المقولات عن عناصر غاية في الخطورة؛ إذ تهمل هذه المقولات وتسفهها على أهميتها الواقعية والعملية بل والبحثية والعلمية.

الثالثة: نموذجان للعالمية، العلاقة بين الذات والآخر وعملية التصنيف

تكتمل حلقات هذه الرؤية وما يترتب عليها في إطار التعامل الدولي والعلاقات الدولية وفي إطار المقارنة بين نموذجين للعالمية، وما يترتب على ذلك من علاقات بين الذات والآخر، وما يحرك ذلك من عمليات تصنيف[١].

---

(١) انظر إطار العالميتين: علي الشامي: الحضارة والنظام العالمي أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب، مرجع سابق، ص ١٩-٢٨.
وقارن وقرب: نعوم تشومسكي، الأنظمة العالمية قديماً وحديثاً، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولي للفكر والإبداع، القاهرة، فبراير ١٩٩٣م.
- Ali Mazrui, Globalization, Islam and the West: Between Homogenizatian and Hegemonizatian, the American Journal of Islamic Social Sciences, vol. 15 No 3, Fall 1998, pp.1-13.
انظر أيضاً محاولة أخرى للربط بين الإسلام والعولمة ودراسة هذه العلاقة على مستوى التحديات والواقع:
Ibrahim M. Abu, Rabi,
Globalization: A Contemporary Islamic Response.
=

. . . .

= وفي إطار مفهوم الهوية الإسلامية انظر: M. A Muqteder Khan, Constructing Identity in "Global" Politics, Ibid pp.81-106.

انظر أيضاً ضمن مدخل التحديات:

Ahmed, Akbar S., Islam Towards the Global Millennuim, the Challenge of Islam, the World Today, August, September 1996)

وفي إطار الرؤى والتصورات:

Husein Zohahair Mir, Global Islamic Politics, New York: Harpercollings College Publishers. 1995.

وفي إطار الرؤية المستقبلية انظر:

Ali Nawaz Memon, The Islamic Status Future of the Muslim in the new world Order, 1995.

وضمن مسار موضع العالم الإسلامي في النظام العالمي الجديد انظر: عبد الهادي أبو طالب: العالم الإسلامي ومشروع النظام العالمي الجديد، بيروت: دار الساقي، ١٩٩٥م.

- ضمن هذا الإطار انظر: محمد إبراهيم مبروك (تحرير): الإسلام والعولمة، القاهرة: الدار القومية العربية، ١٩٩٩م.

انظر أيضاً د. عبد اللطيف العبد (محرر): الإسلام في عصر العولمة، كتاب المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية، جامعة القاهرة: دار العلوم، قسم الفلسفة الإسلامية، ٣-٤ مايو ١٩٩٩م.

انظر بصفة خاصة:

السيد الشاهد: العولمة والعالمية بين المنظور الإسلامي والمنظور الغربي، ص ٥٩-٧٨. عبد الفتاح أحمد الفاوي، العولمة وموقف الإسلام منها، ص ١٤٥ وما بعدها.

أ. د عبد المقصود عبد الغني: عالمية الإسلام والعولمة، ص ٢٧٩ وما بعدها.

إبراهيم هلال: ماهية الإسلام بين الماضي والحاضر، ص ٣٢٣ وما بعدها.

عبد اللطيف محمد العبد: دور الدعوة الإسلامية في عصر العولمة، ص ٣٥٥ وما بعدها.

محمد أحمد المسير: ختم النبوة الوجه الآخر لعالمية الإسلام، ص ٣٦٩ وما بعدها.

عبد الحميد عبد المنعم مدكور: الإسلام والغرب في ظل العولمة، ص ٤١٣ وما بعدها.

=

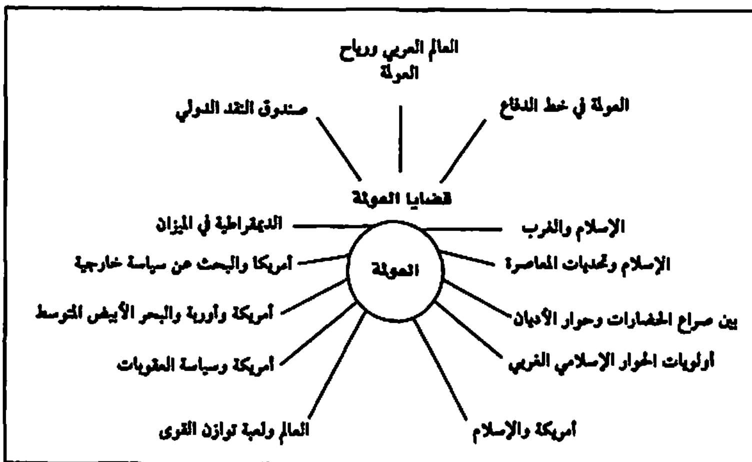
إن عالمية تستند إلى أصول الاختلاف والتنوع، والتعارف والاستخلاف والتعايش والحوار وحقيقة الإقناع (الوظيفة الحضارية)، لتعبر بذلك عن رؤية تأسيسية للعالم يحتل فيها الآخر مساحة مهمة لا تقوم على تصنيفه المؤبد في دائرة (العدو)، إلا إذا اعتبر هو أي الآخر أن ذلك خياره في أن يكون عدواً، فعالمية الاستخلاف تقوم بالأساس على مراعاة حق الغير.

= د. خليفة حسين العسال: دور الدعوة الإسلامية في عصر العولمة، ص ٤٩١ وما بعدها.

د. عبد الفتاح أحمد: العولمة والثقافة في ميزان مفكري الإسلام، ص ٥٧٣ وما بعدها.

د. مصطفى حلمي: كيف نصون الهوية الثقافية الإسلامية في عصر العولمة، ص ٦١٩ وما بعدها.

وفي إطار التعامل في العلاقة بين الإسلام والعولمة عبر مفهوم وسيط، يمكن مطالعة حسن أوريد: الإسلام والغرب والعولمة، الدار البيضاء -الرباط: مطبعة النجاح، منشورات جريدة الزمن، ١٩٩٩م. وضمن هذا المقام يمكن ملاحظة خريطة المعالجة.



أما شأن العالمية التي تبدو في ظاهرها تحرك عناصر العولمة إلى ثورة المعلومات، وثورة الاتصالات، وثورة التقنية، فإنها في حقيقتها ليست إلا غطاء للمركزية الكامنة في الحضارة الغربية، والإبقاء على معادلات النظام الدولي التي تحقق أكبر فاعلية لتلك المركزية في الاستفادة من أوضاع التبعية والإلحاق، والهيمنة والسيطرة، وعناصر الاستئثار ضمن الإبقاء على المعادلات الشائهة والمشوهة التي تعبر في جوهرها عن البنية الظالمة لمنظومة العلاقات الدولية الناتجة عن تلك المعادلات والتفاعلات، إنها معادلة تقوم على قاعدة من مراعاة مصالح النمط الحضاري الغربي في ظل مقولات من مثل نهاية التاريخ وصدام الحضارات اللذين سبقت الإشارة إليهما، تتضخم فيها الذات لتصير المركز وتمتد وفقاً لحركتها ومصالحها على كامل مساحة المعمورة، الآخر فيها ليس أمامه إلا الإلحاق أو اللحاق بالركب الحضاري، إن استطاع - في ظل معادلات ظالمة - أن يحقق ذلك، إن الرؤية للعالم من خلال العولمة، غير الرؤية للعالم من خلال عالمية الإسلام القائمة على الدعوة، والوظيفة الحضارية القائمة على التعارف والإقناع والاستخلاف.

نحن بحق أمام نموذجين يمثلان جوهراً مختلفاً بل ربما متناقضاً، هذه المقارنة في حاجة إلى دراسات متأنية تحرك عناصر توصيف وتصنيف؛ وكذلك إلى عناصر تقويم لأطر (العولمة) المستحدثة التي صارت بحكم انتشارها كفكرة، مشروعاً لنموذج معرفي إرشادي يحرك عناصر بحث وأجندة بحثية تتوافق معها، كل ذلك يحتاج إلى دراسات متأنية وعلمية ومنهجية.

المفهوم الحر والمفهوم العبد؛ مدخل نقدي لخطاب العولمة ومفاهيمها المشتقة

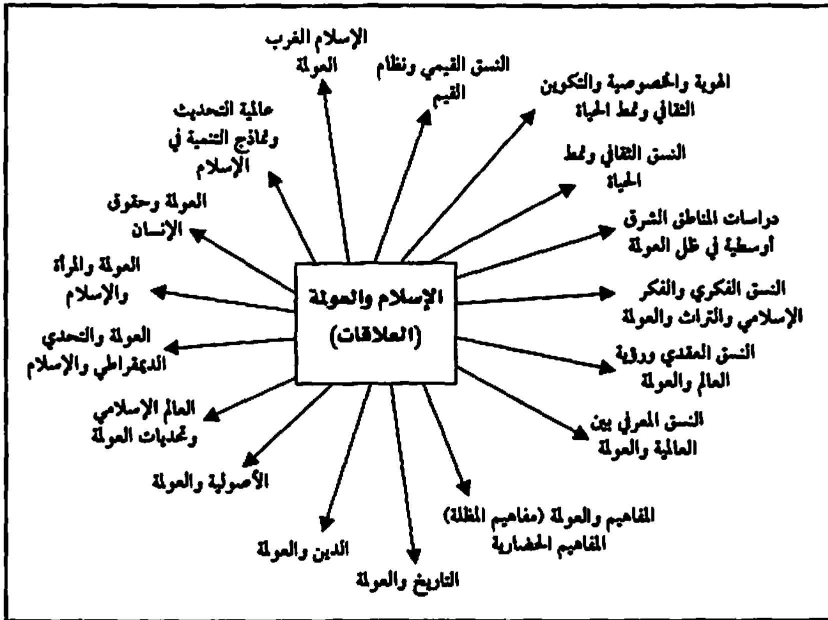
إن البحث في مفاهيم العولمة ومنظومتها جدير باستخدام عناصر عقلية كاشفة وفارقة فيه. ومن ثم فإن تركيزنا على هذا المدخل المستقى من مقولة أبي حيان التي تشكل مفتاحاً لمراجعة عالم المفاهيم، هل تنتج العولمة عالم مفاهيم عبداً أو حراً، لابد أن نرجع بعض الشيء إلى الخلف وإلى مفاهيم سيقت أطلقت على ظواهر مثل (الاستعمار)، ومفاهيم مثل (الاعتماد المتبادل) ومفاهيم مثل (نظام عالمي جديد) مع ما تحمله هذه المفاهيم من عناصر تزيين، مما يعتبر من زخرف القول؛ فاللفظ الذي يبدو حراً في مبناه ربما يكون عبداً في معناه ومغزاه ومآلاته وتأثيراته(١).

حول قدرات رؤية العلاقة في مستوياتها وتقديم الرؤية النقدية الفارقة والبانية

العلاقة بين العولمة والإسلام شديدة التنوع في المستويات، وفي سياقات الدراسة الفعلية وارتباطها بقضايا وموضوعات ومنظومات مفاهيم

(١) في إطار مدخل المفهوم الحر والمفهوم العبد كمدخل نقدي لدراسة عالم المفاهيم السياسية والاقتصادية والحضارية انظر: أبو حيان التوحيدي: رسالة في العلوم، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د ت، ص ٢٧.
وقد أورد على لسان أحد العلماء: "... مدار الكلام على أربعة أركان: منها ما جاد لفظه ومعناه، ومنها ما خس لفظه ومعناه، ومنها ما جاد لفظه وخس معناه؛ ومنها ماخس لفظه وجاد معناه ... فقد وضح للمنصف أن ثلاثة أركان من هذه الأربعة قد تهدمت وتداعت، وأن المفزع إلى الأول"، ويقول: "... متى فاته اللفظ الحر، لم يظفر بالمعنى الحر لأنه متى نظم معنى حراً ولفظاً عبداً، أو معنى عبداً ولفظاً حراً فقد جمع بين متنافرين بالجوهر ومتناقضين بالعنصر..".
ربما تطبيق هذه المعاني على مفهوم العولمة من الأمور الجديرة بالاعتبار، وكذلك كلمة الاستعمار المظلومة، وكلمة الاعتماد المتبادل الزائفة.

وقيم، يتضح ذلك من الشكل التالي الذي يوضح تعقد مستويات العلاقة(١):

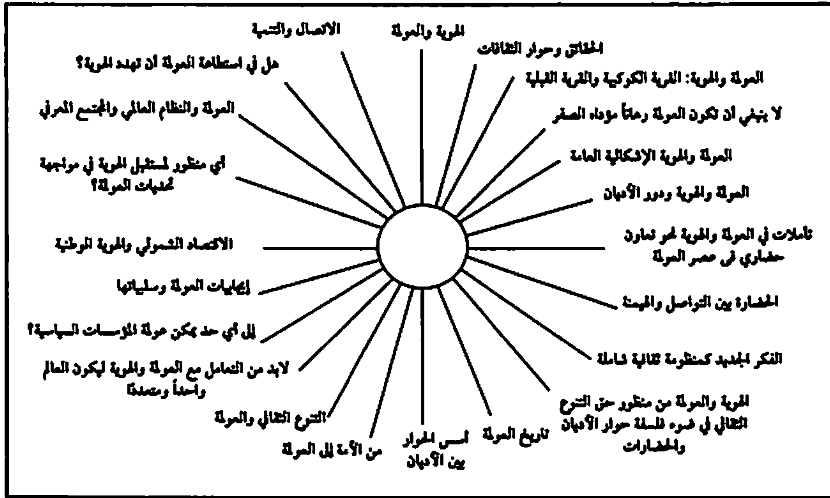


(١) دراسة العولمة عبر وسائط واقعية أو مفاهيم أو عناصر جزئية أو أفكار مرتبطة بها، من أهم أشكال المعالجة، انظر على سبيل المثال: العولمة والهوية، ندوة (العولمة والهوية) موضوع الدورة الأولى، الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مايو ١٩٩٧م. يمكننا أن نستبين بعض عناصر هذه الأجندة من موضوعات وردت في محاور الندوة ذاتها:

=

. . . .

=



وإذا كانت هذه الندوة غلب عليها دراسة قضية الهوية مع الإشارة إلى حالات، فإن دراسات أخرى اتجهت إلى دراسة ما يرتبط بالمنطقة العربية من خلال معالجة آثار العولمة في قضية الهوية؛ انظر على سبيل المثال: تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، بيروت- لندن: دار الساقي ١٩٩٩م.

وانظر أيضاً: العولمة والثقافة واللغة والخطاب كوسائط مهمة في هذا المقام: د. عبد السلام المسدي: العولمة والعولمة المضادة، القاهرة: كتاب سطور ١٩٩٩م.

وهو في هذا المقام يستحدث منهجاً هو المنهج السيميائي متخذاً من الظاهرة السياسية والظاهرة الاقتصادية منظومة من القرائن والعلامات والأمارات يفك شفرتها بواسطة المجهر الثقافي، هو بحث في سيمياء الثقافة بين الفكر العربي والنظام العالمي على حد تعبير مؤلفه.

- انظر في الدين وارتباطه بالعولمة:

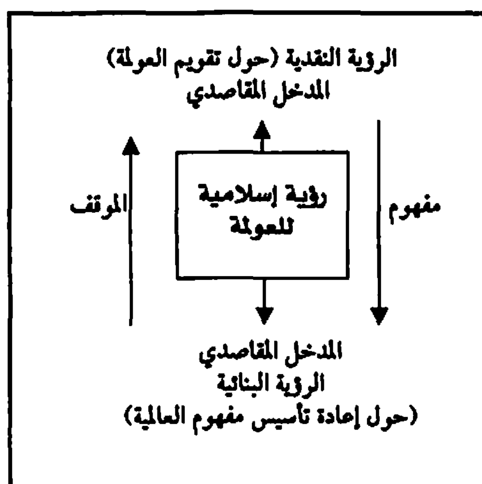
Roberton, R., Globalization, Politics and Religion, in: J. A. Beckford and the Luchmann (ecds) the changing face of religion, sage studies in International Sociology, val. 3 London, 1989, pp 10 - 23 Akbar S. Ahmed & H. Donnan, Islam, Globalization and Postmodernity, London & New York Routledge, 1994.

Peter Beyer, Religion and Globalization, London, Sage Publications, 1994.

انظر بصفة خاصة:

=

ومستويات التعامل البحثي مع العلاقة على نحو منهجي معرفي تعتبر مقدمة لدراسة الرؤية المقارنة النقدية الفارقة والكاشفة والبانية وهو أمر يعكسه الشكل التالي:



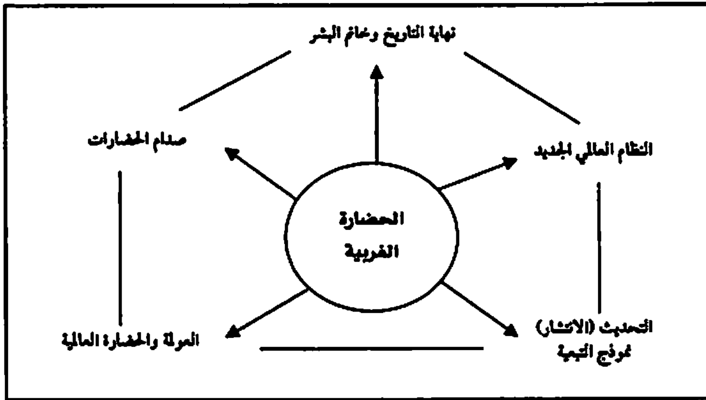
بين نقد فكرة الحضارة والنظام العالمي الجديد الذي شكل إرهاصاً لبروز مفهوم العولمة وكذا الحداثة تتحرك مقدمات النقد في رحلة العولمة.

= Systematic Religion in Global Society pp.60 FF.
Religion and Social Movements in Global Society. Pp 97 FF

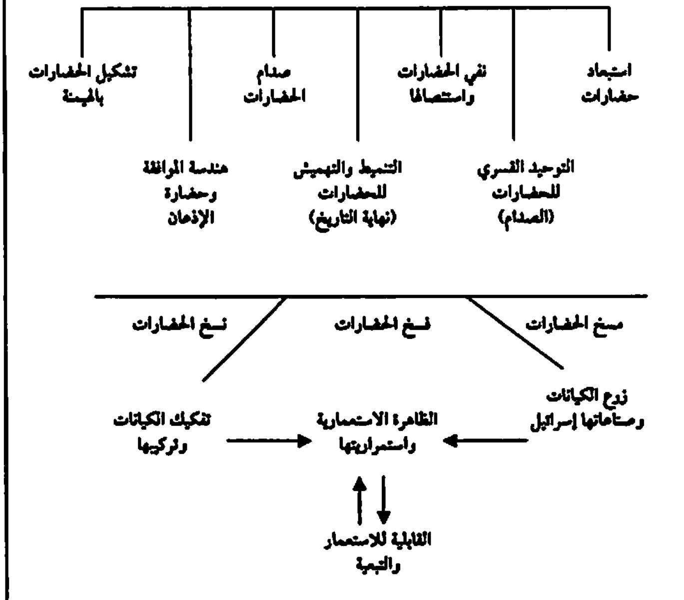
- انظر أيضاً في ربط بين الأصولية أو الإيديولوجيات الأصولية وإيديولوجية الليبرالية المتعولمة وفكرة نهاية التاريخ ضمن: سمير أمين: مناخ العصر؛ رؤية نقدية، القاهرة: سينا للنشر، ببروت: الانتشار العربي ١٩٩٩م، ص٧٢ وما بعدها.

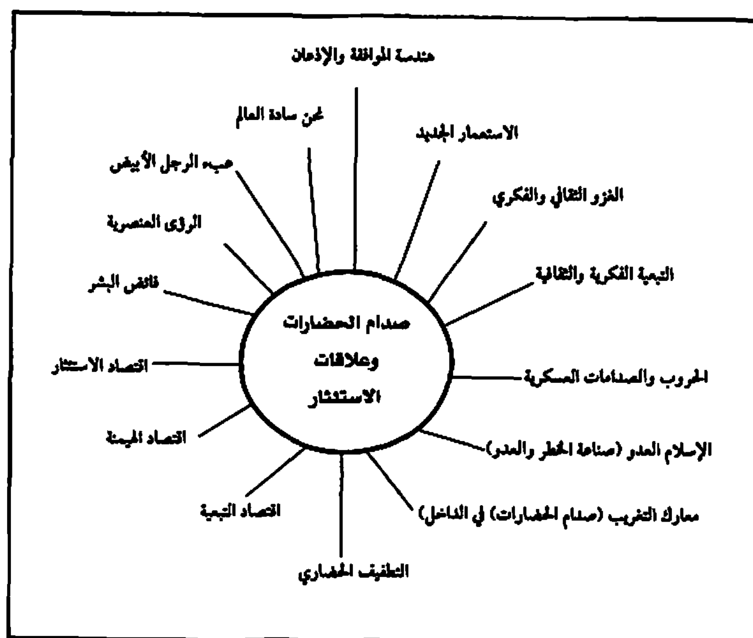
- من المهم في هذا المقام أن نتعرف على خطابات متعددة تحاول من خلال الجزئيات أن تقدم خطاباتها بوصفها مدخلاً لتشكيل رؤية للإنسان، سواء عن طريق حقوق الإنسان، أو الحقوق النوعية النسوية؛ انظر على سبيل المثال محمد أمزيان: الاجتهاد في الخطاب النسوي من شرعنة العلمنة إلى شرعنة العولمة، المنعطف، عدد (١٥-١٦، ٢٠٠٠، ص ١٥٤- ١٧٠).

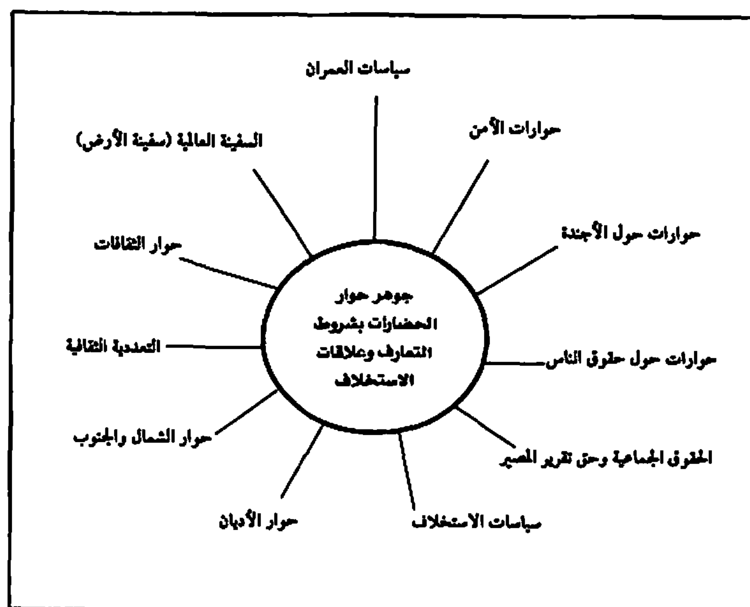
رحلة العولمة
وصدام الحضارات



النماذج الظالمة للعلاقة بين الحضارات

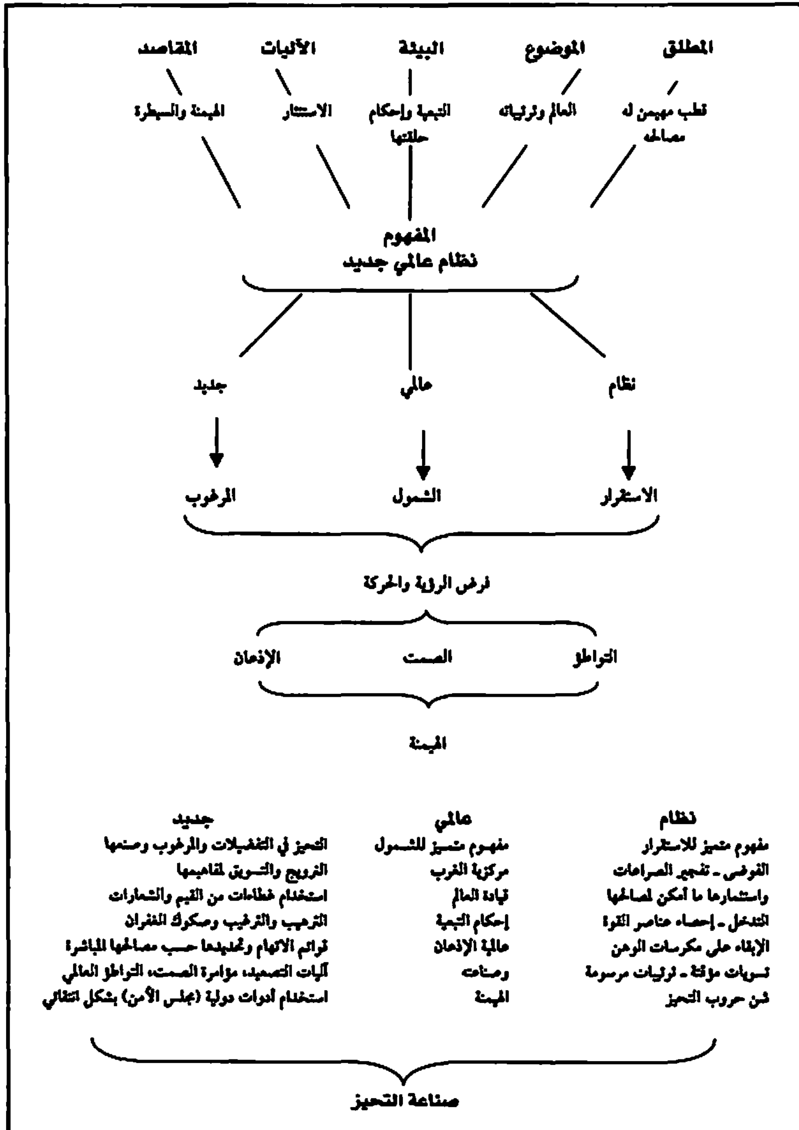



هندسة الموافقة والإذعان
نحن سادة العالم
الاستعمار الجديد
عبء الرجل الأبيض
الغزو الثقافي والفكري
الرؤى العنصرية
التبعية الفكرية والثقافية
فائض البشر
صدام الحضارات
وعلاقات
الاستئثار
اقتصاد الاستئثار
الحروب والصدامات العسكرية
اقتصاد الهيمنة
الإسلام العدو (صناعة الخطر والعدو)
اقتصاد التبعية
معارك التغريب (صدام الحضارات) في الداخل
التطفيف الحضاري


سياسات العمران
حوارات الأمن
السفينة العالمية (سفينة الأرض)
حوارات حول الأجندة
حوار الثقافات
جوهر حوار
الحضارات بشروط
التعارف وعلاقات
الاستخلاف
التعددية الثقافية
حوارات حول حقوق الناس
حوار الشمال والجنوب
الحقوق الجماعية وحق تقرير المصير
حوار الأديان
سياسات الاستخلاف

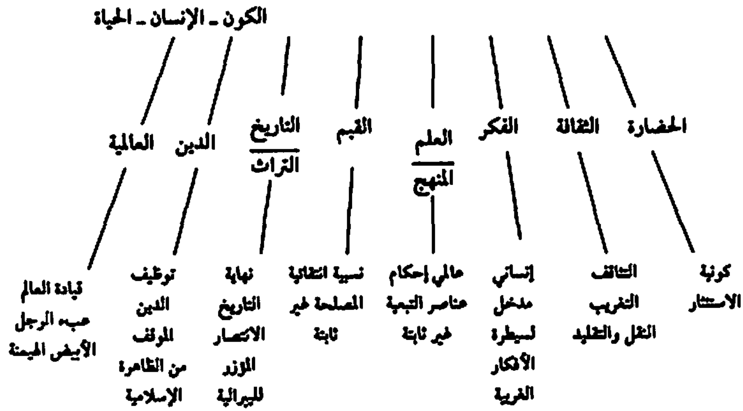
هذه الرؤية يمكن التعامل معها ضمن منظومة الأشكال التالية:

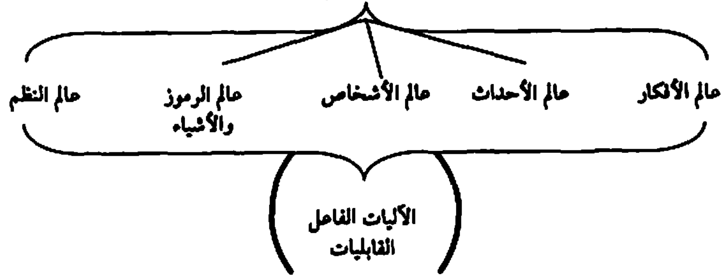
خريطة التحيز
في مفهوم النظام العالمي الجديد



التحيز الأصيل والتحيز المشتق في مفهوم النظام العالمي الجديد

رؤية العالم



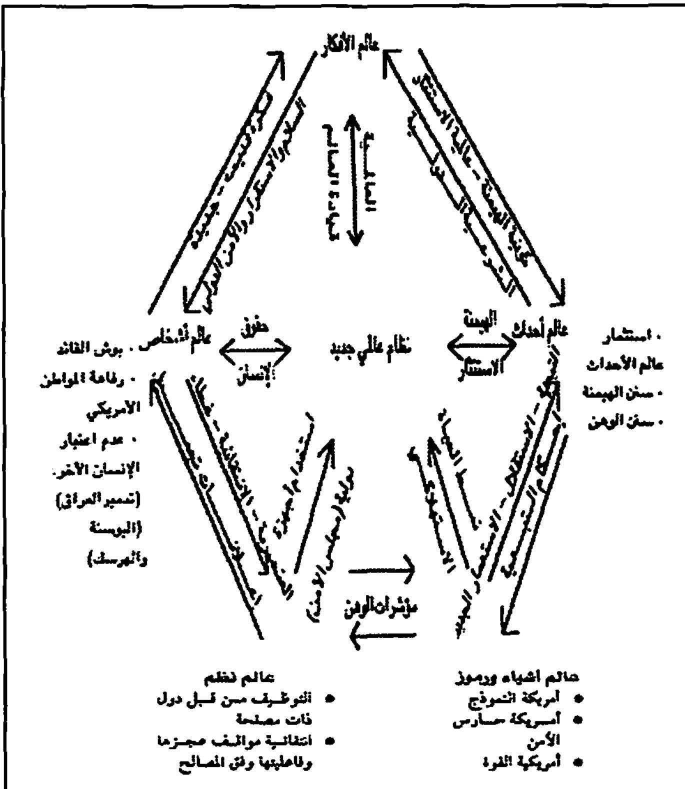


بيئة التحيز



النظام العالمي الجديد

شبكة العلاقات لصناعة التحيز
في مفهوم النظام العالمي الجديد

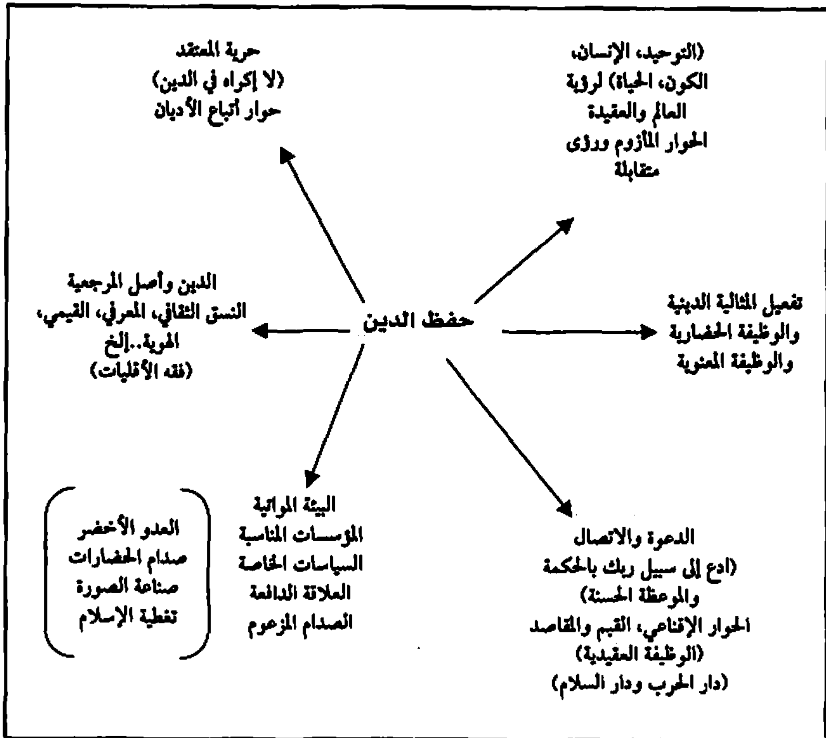


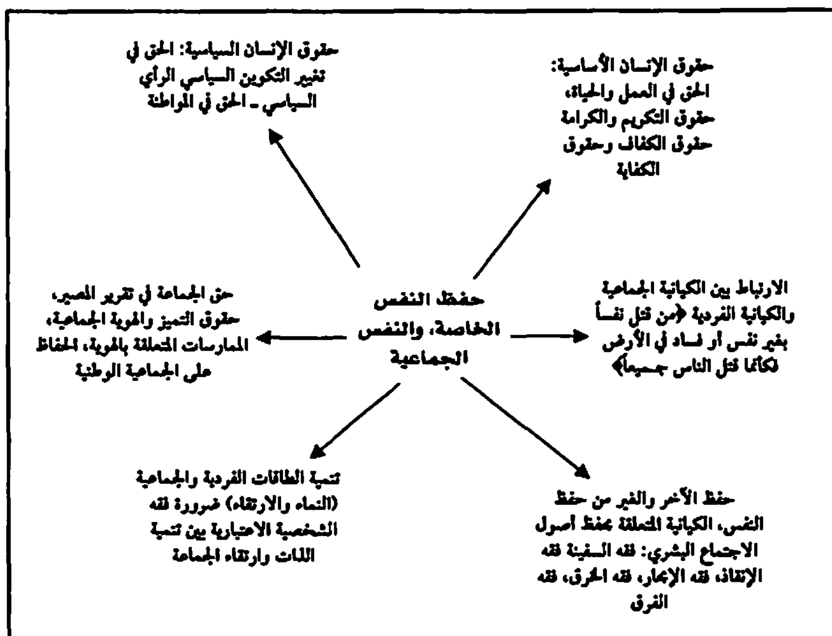
ثم يأتي النموذج المقاصدي ليقدم رؤية نقدية وبنائية في آن واحد. نمثل لها بالأشكال التالية، وهو أمر يستحق دراسة مفصلة ومنفصلة[١].

---

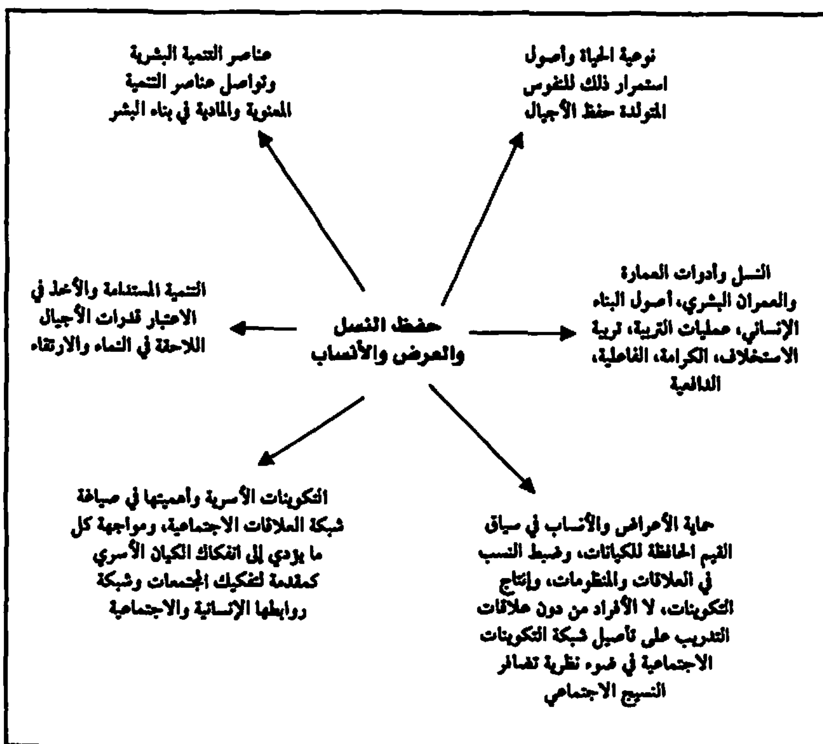
(١) انظر في مقام تفعيل دراسة مدخل المقاصد كنموذج ناقد وبنائي ودراسة الظواهر السياسية والاجتماعية؛ سيف الدين عبد الفتاح: دراسة الظاهرة السياسية من منظور إسلامي - النموذج المقاصدي - حالة بحثية، بحث مقدم إلى الندوة المصرية الفرنسية التاسعة (العلوم السياسية والاجتماعية بالآفاق والتوقعات)، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩-٢١ فبراير ٢٠٠٠م.

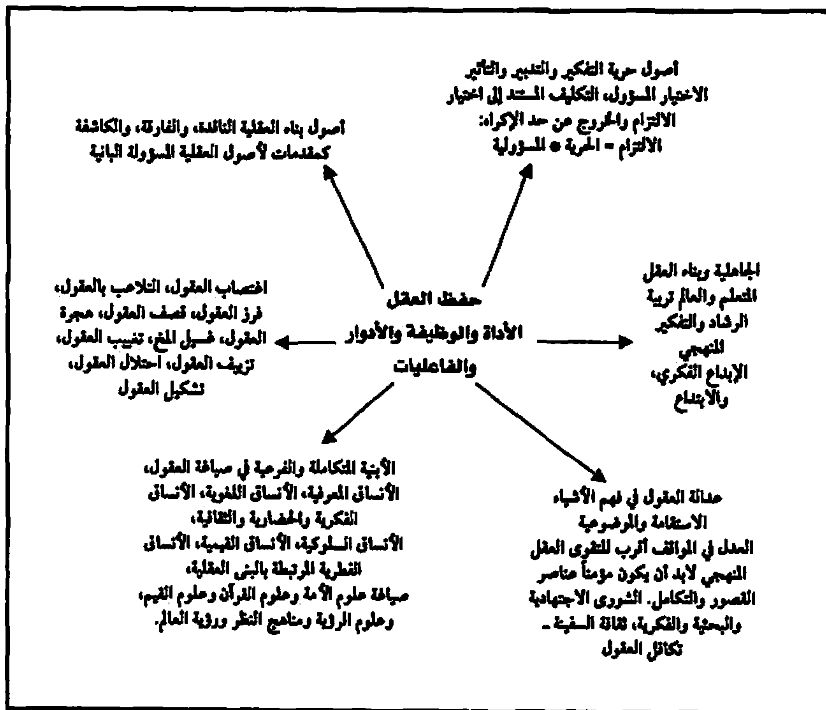
النموذج المقاصدي

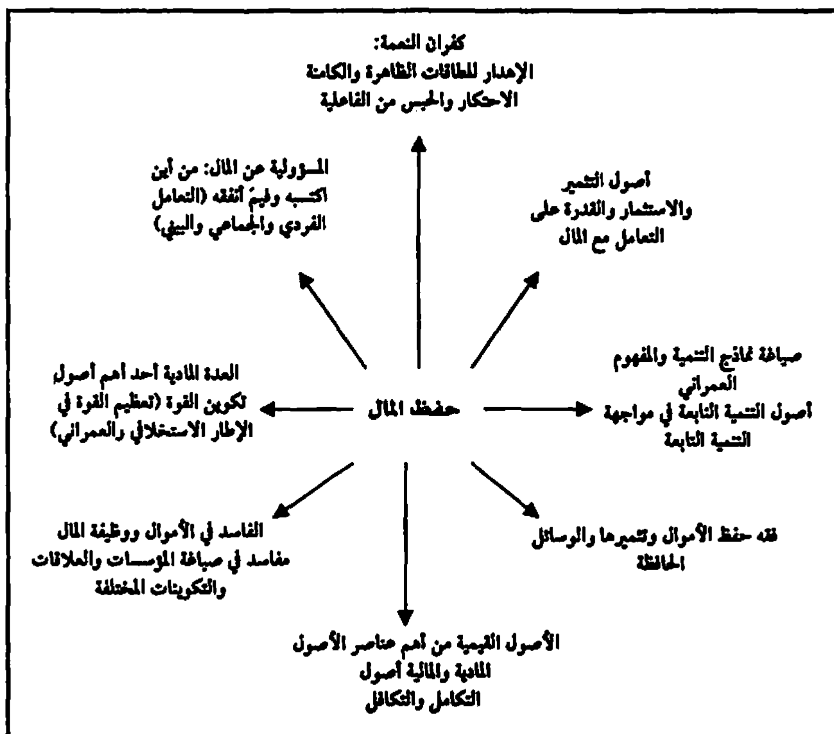




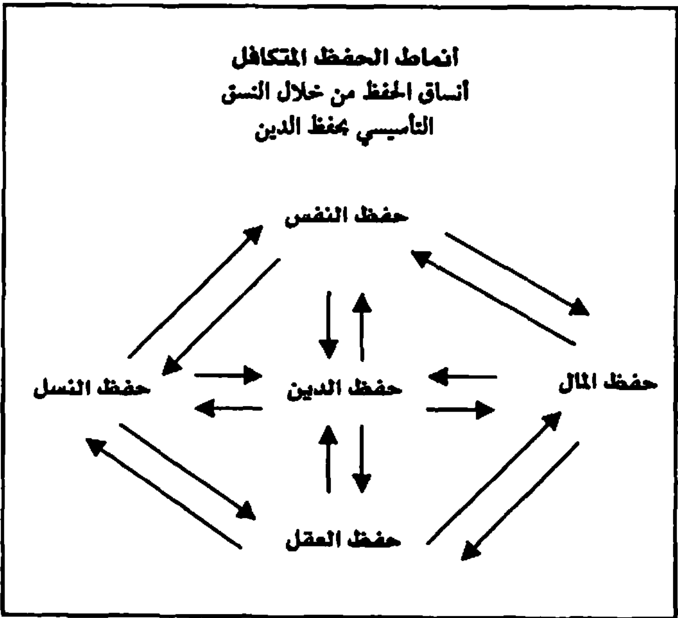
حفظ النفس الخاصة، والنفس الجماعية
حقوق الإنسان السياسية: الحق في تغيير التكوين السياسي الرأي السياسي ـ الحق في المواطنة
حقوق الإنسان الأساسية: الحق في العمل والحياة، حقوق التكريم والكرامة حقوق الكفاف وحقوق الكفاية
حق الجماعة في تقرير المصير، حقوق التميز والهوية الجماعية، الممارسات المتعلقة بالهوية، الحفاظ على الجماعية الوطنية
الارتباط بين الكيانية الجماعية والكيانية الفردية ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾
تنمية الطاقات الفردية والجماعية (النماء والارتقاء) ضرورة فقه الشخصية الاعتبارية بين تنمية الذات وارتقاء الجماعة
حفظ الآخر والغير من حفظ النفس، الكيانية المتعلقة بحفظ أصول الاجتماع البشري: فقه السفينة فقه الإنقاذ، فقه الإعمار، فقه الحرق، فقه الغرق

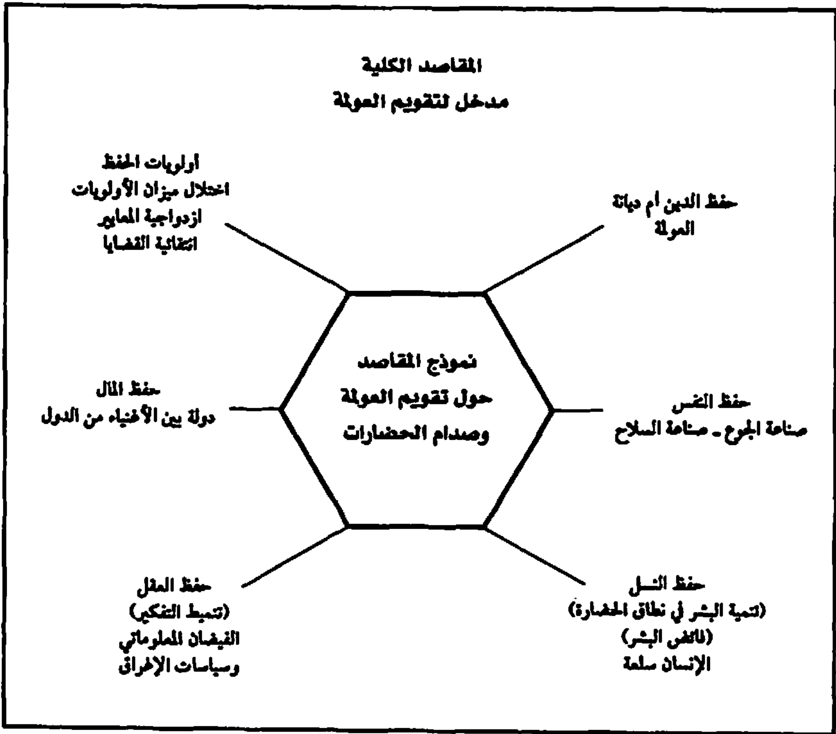

حفظ النسل
والعرض والأنساب
عناصر التنمية البشرية
وتواصل عناصر التنمية
المعنوية والمادية في بناء البشر
نوعية الحياة وأصول
استمرار ذلك للنفوس
المتولدة حفظ الأجيال
التنمية المستدامة والأخذ في
الاعتبار قدرات الأجيال
اللاحقة في النماء والارتقاء
النسل وأدوات العمارة
والعمران البشري، أصول البناء
الإنساني، عمليات التربية، تربية
الاستخلاف، الكرامة، الفاعلية،
الدافعية
التكوينات الأسرية وأهميتها في صياغة
شبكة العلاقات الاجتماعية، ومواجهة كل
ما يؤدي إلى انفكاك الكيان الأسري
كمقدمة لتفكيك المجتمعات وشبكة
روابطها الإنسانية والاجتماعية
حماية الأعراض والأنساب في سياق
القيم الحافظة للكيانات، وضبط النسب
في العلاقات والمنظومات، وإنتاج
التكوينات، لا الأفراد من دون علاقات
التدريب على تأصيل شبكة التكوينات
الاجتماعية في ضوء نظرية تضافر
النسيج الاجتماعي


حفظ العقل
الأداة والوظيفة والأدوار
والفاعليات
أصول بناء العقلية الناقدة، والفارقة، والكاشفة
كمقدمات لأصول العقلية المسؤولة البانية
أصول حرية التفكير والتعبير والتأثير
الاختيار المسؤول، التكليف المستند إلى اختيار
الالتزام والخروج من حد الإكراه:
الالتزام = الحرية = المسؤولية
الجاهلية وبناء العقل
المتعلم والعالم تربية
الرشاد والتفكير
المنهجي
الإبداع الفكري،
والابتداع
اغتصاب العقول، التلاعب بالعقول،
فرز العقول، قصف العقول، هجرة
العقول، غسيل المخ، تغييب العقول،
تزييف العقول، احتلال العقول،
تشكيل العقول
الأبنية المتكاملة والفرعية في صياغة العقول،
الأنساق المعرفية، الأنساق اللغوية، الأنساق
الفكرية والحضارية والثقافية،
الأنساق السلوكية، الأنساق القيمية، الأنساق
النظرية المرتبطة بالبنى العقلية،
صياغة علوم الأمة وعلوم القرآن وعلوم القيم،
وعلوم الرؤية ومناهج النظر ورؤية العالم.
عدالة العقول في فهم الأشياء
الاستقامة والموضوعية
العدل في المواقف أقرب للتقوى العقل
المنهجي لابد أن يكون مؤمناً عناصر
التصور والتكامل. الشورى الاجتهادية
والبحثية والفكرية، ثقافة السفينة ـ
تكافل العقول



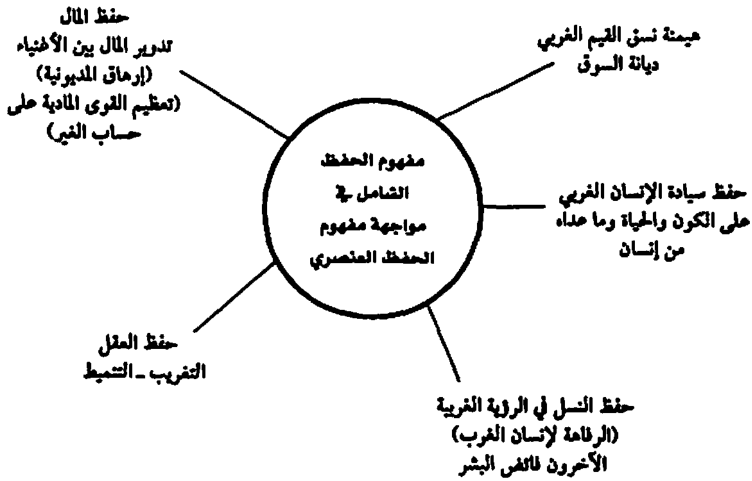
كفران النعمة:
الإهدار للطاقات الظاهرة والكامنة
الاحتكار والحبس من الفاعلية
المسؤولية عن المال: من أين
اكتسبه وفيمَ أنفقه (التعامل
الفردي والجماعي والبيني)
أصول التثمير
والاستثمار والقدرة على
التعامل مع المال
العدة المادية أحد أهم أصول
تكوين القوة (تعظيم القوة في
الإطار الاستخلافي والعمراني)
حفظ المال
صياغة نماذج التنمية والمفهوم
العمراني
أصول التنمية التابعة في مواجهة
التنمية التابعة
المفاسد في الأموال ووظيفة المال
مفاسد في صياغة المؤسسات والعلاقات
والتكوينات المختلفة
فقه حفظ الأموال وتثميرها والوسائل
الحافظة
الأصول القيمية من أهم عناصر الأصول
المادية والمالية أصول
التكامل والتكافل


أنماط الحفظ المتكافل
أنساق الحفظ من خلال النسق
التأسيسي بحفظ الدين
حفظ النفس
حفظ النسل
حفظ الدين
حفظ المال
حفظ العقل


المقاصد الكلية
مدخل لتقويم العولمة
أولويات الحفظ
اختلال ميزان الأولويات
ازدواجية المعايير
انتقائية القضايا
حفظ الدين أم ديانة العولمة
نموذج المقاصد
حول تقويم العولمة
وصدام الحضارات
حفظ المال
دولة بين الأغنياء من الدول
حفظ النفس
صناعة الجوع - صناعة السلاح
حفظ العقل
(تنميط التفكير)
الفيضان المعلوماتي
وسياسات الإغراق
حفظ النسل
(تنمية البشر في نطاق الحضارة)
(فائض البشر)
الإنسان سلعة

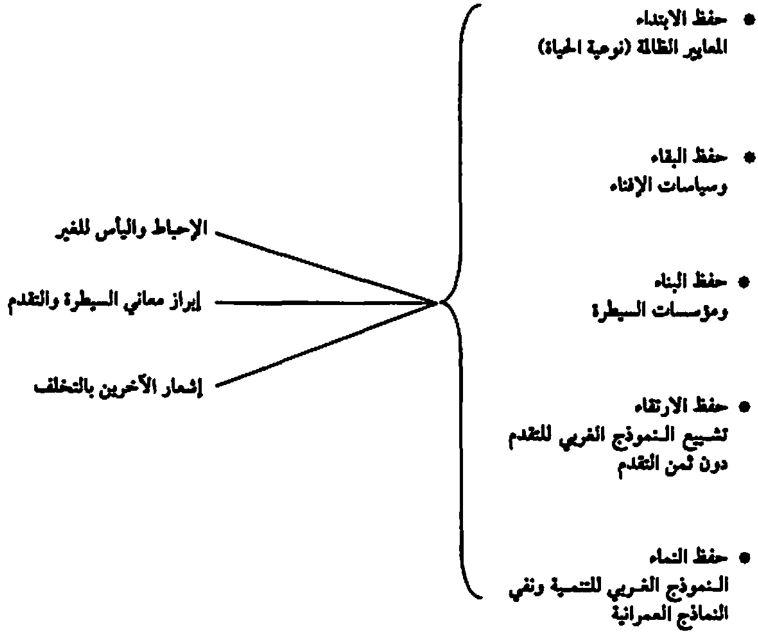
مفهوم الحفظ في الرؤى الغربية

في مواجهة مفهوم الحفظ المقاصدي



حفظ وليس بحفظ:

- الحفظ العنصري
- الحفظ الأناني
- الحفظ الاستئثاري
- حفظ السيطرة
- الحفظ القسري
- حفظ التنميط


النظرة الشاملة والانتقائية
للحفظ
(الحفظ المتوهم)
حفظ الابتداء
المعايير الظالمة (نوعية الحياة)
حفظ البقاء
وسياسات الإفناء
حفظ البناء
ومؤسسات السيطرة
حفظ الارتقاء
تشييع النموذج الغربي للتقدم
دون ثمن التقدم
حفظ النماء
النموذج الغربي للتنمية ونفي
النماذج العمرانية
الإحباط واليأس للغير
إبراز معاني السيطرة والتقدم
إشعار الآخرين بالتخلف

المدخل المقاصدي - معلومات مبصرة

إن إليوت على حق حينما يؤكد أنه بين ركام المعلومات تتوه المعرفة، وبين ركام المعرفة تتوه الحكمة.

وهذا ما يدفعنا إلى محاولة طرح أسئلة تسعى نحو فقه المعلومات يتكامل مع فقه الكلمات والمفاهيم، ويفرضه حال من الانفجار المعلوماتي، وسيل من المعلومات الذي أحدث بدوره فيضاناً معلوماتياً. ويرتبط بذلك قوانين الافتراس بالمعلومات، وحال الإغراق المعلوماتي. والإغراق له من الآثار السلبية مثلُ احتكار المعلومات. الإغراق حالة تفقد القدرة على الاختيار والترجيح، وتغري بعناصر اللهث والجري خلف المعلومات وحولها. الأمر هنا قد يرتبط بسياق (المعلومات السرابية)، معلومات السراب بقيعة الذي يحسبه الظمآن ماء، أو ركام (معلومات الحيرة) التي تشل التفكير وتوطد القدرات فقط صوب التحصيل، ومعلومات التحيز الظاهرة والكامنة، وهو تحيز نابع من احتياجات هذه الكيانات المعلوماتية. والحاجات تتمايز وتختلف، والمعلومات التي ترتبط بها تتمايز كذلك وتختلف.

والسؤال المهم في ظل التدفق الذي زاده الإنترنت اندفاعاً هو: هل المعلومات المتوافرة هي المعلومات الحقيقية؟ وهل المعلومات المعلنة هي كل المعلومات الواجب التعرف عليها؟ وهل تتسم المعلومات بالصدق في طبيعتها وبنيتها وعناصرها والعدل في مقامها وأدائها وتوظيفها؟ وهل تبدو المعلومات وهي تعلن وتذاع وتنشر وتتصدر الصورة وصناعتها، ليست إلا حاجبة لمعلومات أكثر أهمية؛ وترتبط بظواهر أشد وأعتى؛ وأكثر أهمية وتأثيراً في حياة البشر ومعاشهم؟ هل سيصل بنا الأمر ونحن في زمن الاتصال أن نتعرف على ذواتنا عبر معلومات يبثها غيرنا، في ظل تقاليد عربية ما زالت تمارس حبس المعلومة واحتكارها

بصورة هي أكثر فجاجة، بينما المعلومات متاحة ومباحة وربما مستباحة من الأجنبي يحصل عليها أنى شاء وبطرائق مختلفة؟

هل سيؤدي بنا فيض وفائض المعلومات أن نعرف عن غيرنا أكثر ما نعرف عن ذواتنا؟! وهل سيزيد حجم المعلومات ومساراتها مساحة الاتصال بين دولنا القومية والخارج، بينما تزيد مساحات الانفصال في علاقاتنا البينية؟

هل ستحدث المعلومات شبكة من العلاقات الاصطناعية تحل محل ما اسماه مالك بن نبي بشبكة العلاقات الاجتماعية، أو النسيج الاجتماعي؟

هل تشكل هذه المعلومات الاهتمامات، أم وجب أن تشكل الاهتمامات المعلومات؟! هل سنظل نستهلك المعلومات كما نستهلك كل شيء من دون المشاركة في إنتاجها وصناعتها؟ أين نحن من بناء شبكة من المعلومات الهادفة التي تحرك الفاعلية وتحفز الجامعية؟ أين نحن من شبكة معلوماتية حقيقية تعكس حقائق شبكة العلاقات الاجتماعية، وتؤدي إلى الحفاظ على مكوناتها، وحماية كل ما يحفزها تكويناً وتأصيلاً وتفعيلاً؟!

هل كل هذه التساؤلات ستدفعنا دفعاً إلى التفكير (بفقه المعلومات)، فقه يستند إلى (المقاصد المعلوماتية). هذا الفقه الذي إذا ما تأسس وتم تفعيله، سيتمكن العقل به ومن خلاله من تلافي الآثار السلبية؟

وتكمن فعالية نموذج المقاصد المعلوماتية في وضع المعايير التي تتعلق بمجالات المعلومات التي تحفظ الدين، وتحفظ النفس وتحفظ النسل، والعقل، والمال، وتحدد مجال أولوياتها فيما يتعلق بما يمكن تسميته (بالضروري المعلوماتي)، و(الحاجي المعلوماتي)، و(التحسيني المعلوماتي).

إن هذا يعني أن كل المعلومات ليست بطبيعتها أو بهدفها تتجه إلى الحفظ، بل إن بعضها قد يكون من مقصوده عكس هذا الحفظ أو تزيينه. ومن ثم كان الواجب أن نحرر معنى الحفظ ونحدد معناه، ونقرر الوسائل التي تتعلق به، والمقدمات الموصلة إلى مقصود الحفظ، إنها مقدمات الواجب، من المهم أن نعرف أن شبكة المعلومات التي تغطي مقصود حفظ الدين لا تتعارض ولا ينبغي لها أن تنقض كل ما يحفظ النفس والنسل والعقل والمال. وأن الشبكة المعلوماتية التي تغطي مساحات المجالات الخمس هي الحافظة للإنسان في كيانه وعلاقاته ومواقفه وممارساته، من المهم أن نحرك كل معاني نموذج المقاصد المعلوماتي من التعرف على معلومات الضر ومعلومات النفع.

من المهم أن نحقق مقصود الحفظ في إطار:

- تأسيس قاعدة المعلومات النافعة الدافعة.
- تأصيل عناصر العلم وشيوع العلم بها.
- الإشارة إلى إمكانات توظيفها وتفعيلها في الممارسة.
- تشغيل آليات الحماية في المعلومة.
- ضرورات تحقيق مقصود الاستخلاف الإنساني في المجال المعلوماتي بمراعاة حق الغير في المعلومة.

إنها مقتضيات التعارف الحضاري والإنساني كعملية جديرة بتوفير عناصر المعلومات التي تتكامل فيها عناصر الصدق في المحتوى والعدل في التوظيف، إنه التعارف القائم على ضرورات المعرفة العادلة.

إن هذا الكيان المعلوماتي المرتبط بالمجالات لابد أن يتطرق إلى حفظ الابتداء، وحفظ البقاء، وحفظ النماء، وحفظ الارتقاء، وحفظ

الأداء، إنها عناصر ومستويات من الحفظ، تؤصل عناصر المتابعة المعلوماتية بحيث تحقق بناء معلوماتياً قادراً على صياغة وعي وإدراك وسلوك الإنسان، فيكون (حفظ المعلومات) مقدمة لحفظ الإنسان ذاته كياناً وبقاءً، نماءً وارتقاءً وأداءً.

ومجال السلم المعلوماتي في إطار أولويات واضحة ومحققة لمقاصد الحفظ السابق الإشارة إليها، معلومات الضرورة، والضروري المعلوماتي، ومعلومات الحاجة والحاجي المعلوماتي، ومعلومات التحسين، والتحسين المعلوماتي، معلومات تتعلق بالمجال الكلي والجزئي للفاعليات المجتمعية وفاعليات الأمة، بل والفاعليات الإنسانية، ومعلومات العام والخاص، إنها مجالات تدل على مساحة المعلومات التي لا ينظر إليها على أنها ركام يحجب الرؤية، ولكن على أنها بناء وشبكة تشكل الوعي وتفعل عناصر السعي.

كل هذا يفرض الرؤية الناقدة للمعلومة وأهميتها، والرؤية الفارقة بين المعلومة الزائفة أو السرابية، والمعلومة ذات الأهمية القابلة للتوظيف الملائمة للاحتياجات، والرؤية الكاشفة لخريطة الحقل المعلوماتي وإمكانات تعظيم الاستفادة منه في سياق يحرر ويحقق ويدقق وينقّح المعلومة، وإمكانات توظيفها والتنبه للعناصر السلبية، والوعي بتأثير المعلومة في الإدراك والسلوك.

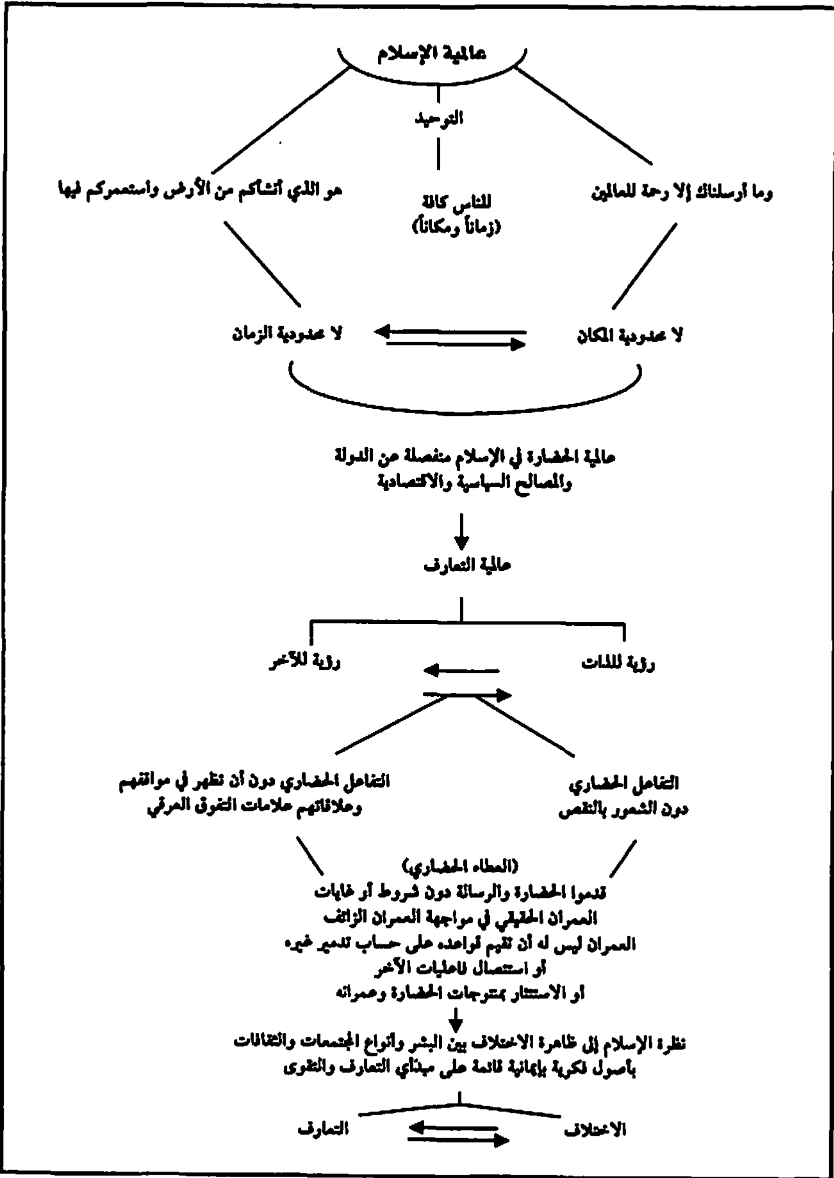
إن حقيقة البصر المعلوماتي تؤكد على عمليات فرز المعلومات وتأسيس فقه لها، يحفظ علينا الكيان المعلوماتي وإمكانات توظيفه، (المعلومات البصيرة) قدرات وأساليب تربوية تتعرف على إمكانات المعلومات وقدرات توظيفها.

والبحث عن الحكمة في المعلومة أمر مهم جامع بين تحصيلها وإنتاجها وتفعيلها وتوظيفها.

ثم يأتي بناء عالمية الإسلام ورؤيته ومفهومه كقاعدة تكمل عناصر البناء المترتبة على الرؤية الناقدة[١].

وبناء مفهوم تعارف الحضارات كتأسيس لأصول العلاقة بين الحضارات وبما تقدمه من نقد لحوار حضاري مأزوم، وصدام حضاري مزعوم وعولمة صاعدة، نرصدها في الأشكال التالية:

(١) علي الشامي: أصول النظام العالمي..، مرجع سابق.


عالمية الإسلام
التوحيد
هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها
للناس كافة
(زماناً ومكاناً)
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
لا محدودية الزمان
لا محدودية المكان
عالمية الحضارة في الإسلام منفصلة عن الدولة
والمصالح السياسية والاقتصادية
عالمية التعارف
رؤية للآخر
رؤية للذات
التفاعل الحضاري دون أن تظهر في مواقفهم
وعلاقاتهم علامات التفوق العرقي
التفاعل الحضاري
دون الشعور بالنقص
(العطاء الحضاري)
قدموا الحضارة والرسالة دون شروط أو غايات
العمران الحقيقي في مواجهة العمران الزائف
العمران ليس له أن تقوم قواعده على حساب تدمير غيره
أو استئصال فاعليات الآخر
أو الاستئثار بمنتوجات الحضارة وعمرانه
نظرة الإسلام إلى ظاهرة الاختلاف بين البشر وأنواع المجتمعات والثقافات
بأصول فكرية بإيمانية قائمة على مبدأي التعارف والتقوى
التعارف
الاختلاف

عالمية الأنساق القيمية والمعنوية
خاصية من خصوصيات عالمية الإسلام
وإنسانيته

↓

عالمية تستند إلى قاعدة
قيمية
يؤسس في الإنسان

↓

مبدأ التوحيد
والعدل الإلهي
(مقدمة)

↓

لإنتاج الحضارة

التناقض مع مبدأ الغلبة
أو منهجية توظيف الحضارة في سياق
مأزق سياسي أو اقتصادي

↓

النسق الحضاري

↓

يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً
فملاقيه

↓

حضور الألوهية الدائم في
حركة البشر
(يخلق الوحي في الإنسان ذاتاً تسعى لرؤية الإلهي في كل لحظة
وفعل وغاية)

↓

الوحي- الدعوة ← شمولية التجربة الإنسانية يمهد لحضارة توحيدية

↓

عالمية من كونها السعي الدائم لتحقيق سعادة الإنسانية برمتها
(توحيد الألوهية ووحدة الإنسانية)

↓

تتحول الحضارة القائمة لنقيض الأنوية أو التمركز حول الذات والغلبة (السيطرة والهيمنة) -
الخضوع لقوانين الأصل الذي صدرت عنه وسارت على هديه

الرؤية العالمية للإسلام



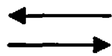
توحيدية الإسلام في نطاقه الفكري
والقيمي الذاتية والعالمية الإنسانية



ينعكس

في صميم الفعل الإنساني

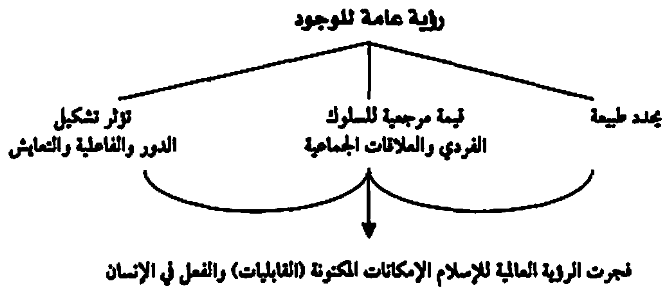
رؤية الأنساق لغيره

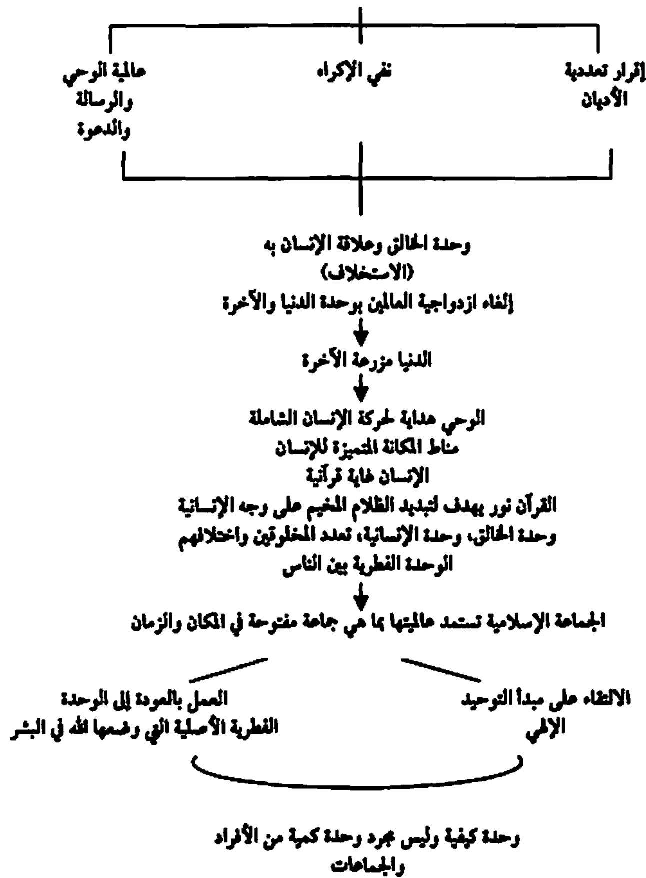


رؤية الأخوة في الدنيا والآخرة



الرؤية الصادرة عن المادة، تجعل الإنسان سلعة خاضعة
لمقاييس الاستخدام والاستغلال في دنيا منفصلة عن آخره


رؤية عامة للوجود
يجدد طبيعة
قيمة مرجعية للسلوك
الفردي والعلاقات الجماعية
تؤطر تشكيل
الدور والفاعلية والتعايش
فجرت الرؤية العالمية للإسلام الإمكانات المكنونة (القابليات) والفعل في الإنسان


إقرار تعددية
الأديان
نفي الإكراه
عالمية الوحي
والرسالة
والدعوة
وحدة الخالق وعلاقة الإنسان به
(الاستخلاف)
إلغاء ازدواجية العالمين بوحدة الدنيا والآخرة
الدنيا مزرعة الآخرة
الوحي هداية لحركة الإنسان الشاملة
مناط المكانة المتميزة للإنسان
الإنسان غاية قرآنية
القرآن نور يهدف لتبديد الظلام المخيم على وجه الإنسانية
وحدة الخالق، وحدة الإنسانية، تعدد المخلوقين واختلافهم
الوحدة الفطرية بين الناس
الجماعة الإسلامية تستمد عالميتها بما هي جماعة مفتوحة في المكان والزمان
الالتقاء على مبدأ التوحيد
الإلهي
العمل بالعودة إلى الوحدة
الفطرية الأصلية التي وضعها الله في البشر
وحدة كيفية وليس مجرد وحدة كمية من الأفراد
والجماعات

الأمانة والاستخلاف

التعدد والتنوع

التعارف من مقتضيات العالمية
وعملية هادفة لها قاصد إليها

عالمية الرسالة المحمدية الخاتمة

مبعوث إلى الناس كافة

العالم كله أمة بالمعنى الواسع
للكلمة

حجة الوداع
ومعنى عالمية الإسلام

بعثه رحمة وهداية

الدعوة والمواصلة

المساواة بين البشر

يؤسس الإسلام عالمية الإنسان
المنطلق من ذاتيته المؤمنة
لكي ينسج علاقاته مع غيره ومع
الطبيعة والأشياء
(الإنسانية كامنة فيه وهو يبحث عن تمثلاتها في الزمن وتجلياتها
في العالم)

↓

البعد العالمي لواجب الجهاد
العبادة (عالمية المكان)
وحدة الانتماء العالمي إلى الله

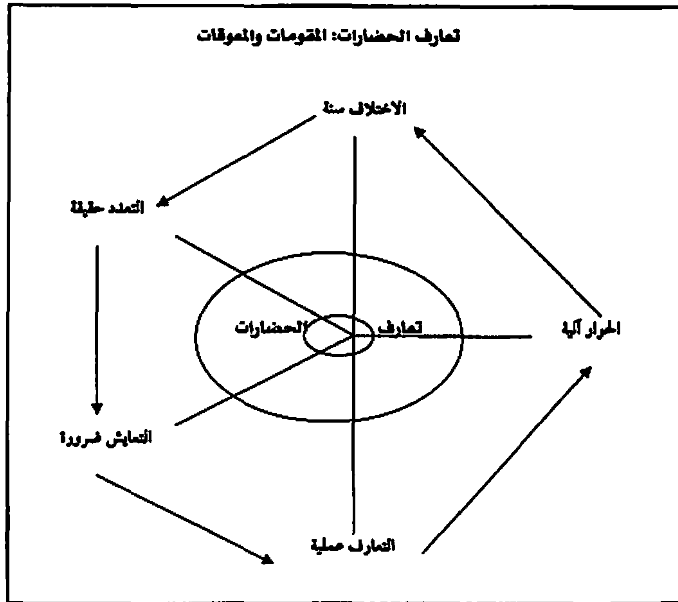
↓

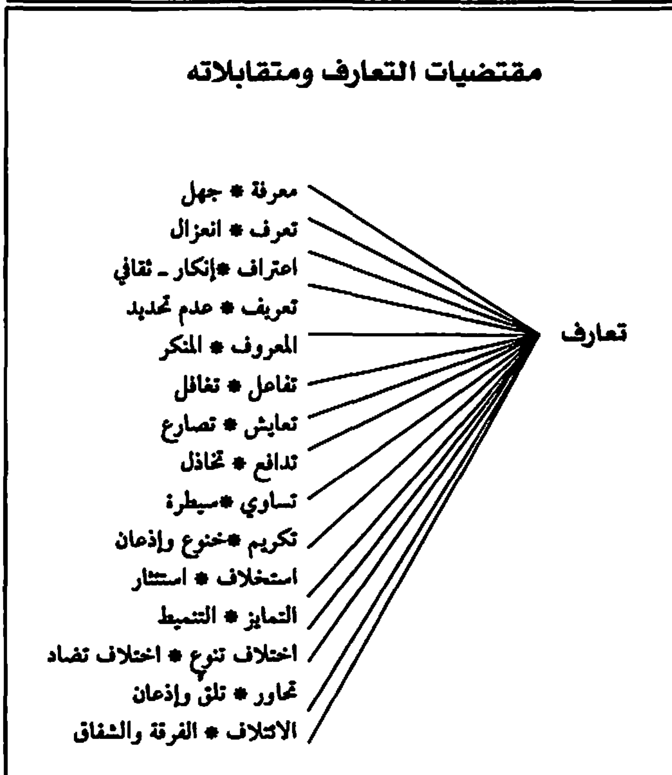
مسيرة الكدح ← معارج المسيرة الحضارية ← المثل العليا (الإدراك والعمل والقدرة والعدل)
السير نحو مطلق كله (علم وقدرة وعدل وغنى)
يعني أن تكون المسيرة الإنسانية كفاحاً متواصلاً باستمرار
ضد كل جهل وعجز وظلم

↓

حضارة عالمية

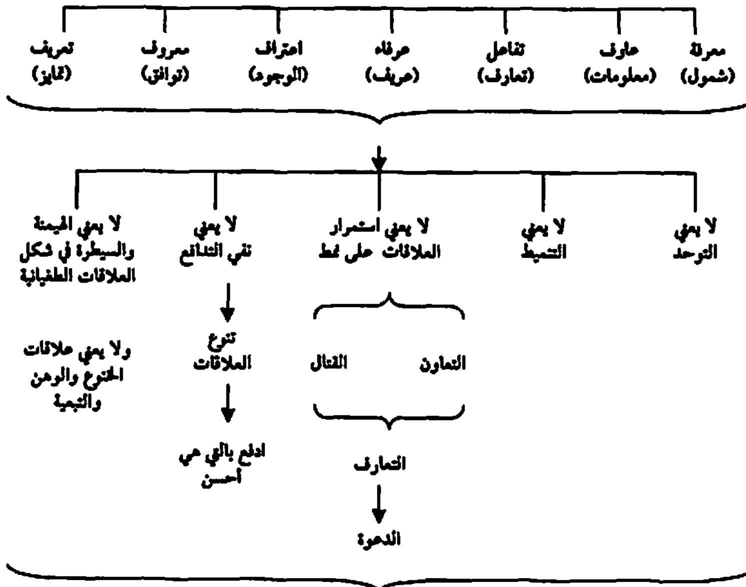
- تتأسس على الوحي
- تحتضن حالة تسير في صراط الله المستقيم
- تلغي من بنيتها الداخلية كل خصوصية تقوم على الأنوية والأنانية/ الظلم/ التعصب/ العنصرية
- الوحي انفتاح إلهي على العالم
- الحضارة والخروج من الاختلاف إلى الائتلاف والتواصل في التعارف
- عالمية إنسانية قائمة جوهرياً على مبادئ القرآن


تعارف الحضارات: المقومات والمعوقات
الاختلاف سنة
التعدد حقيقة
الحوار آلية
تعارف
الحضارات
التعايش ضرورة
التعارف عملية

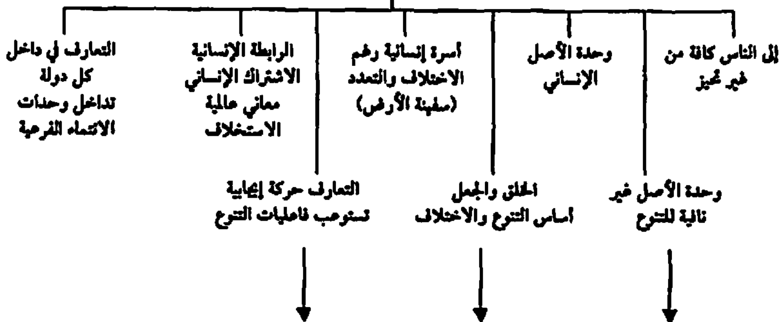

مقتضيات التعارف ومتقابلاته
معرفة * جهل
تعرف * انعزال
اعتراف *إنكار - ثقافي
تعريف * عدم تحديد
المعروف * المنكر
تفاعل * تغافل
تعايش * تصارع
تدافع * تخاذل
تساوي *سيطرة
تكريم *خنوع وإذعان
استخلاف * استئثار
التمايز * التنميط
اختلاف تنوع * اختلاف تضاد
تحاور * تلق وإذعان
الائتلاف * الفرقة والشفاق
تعارف

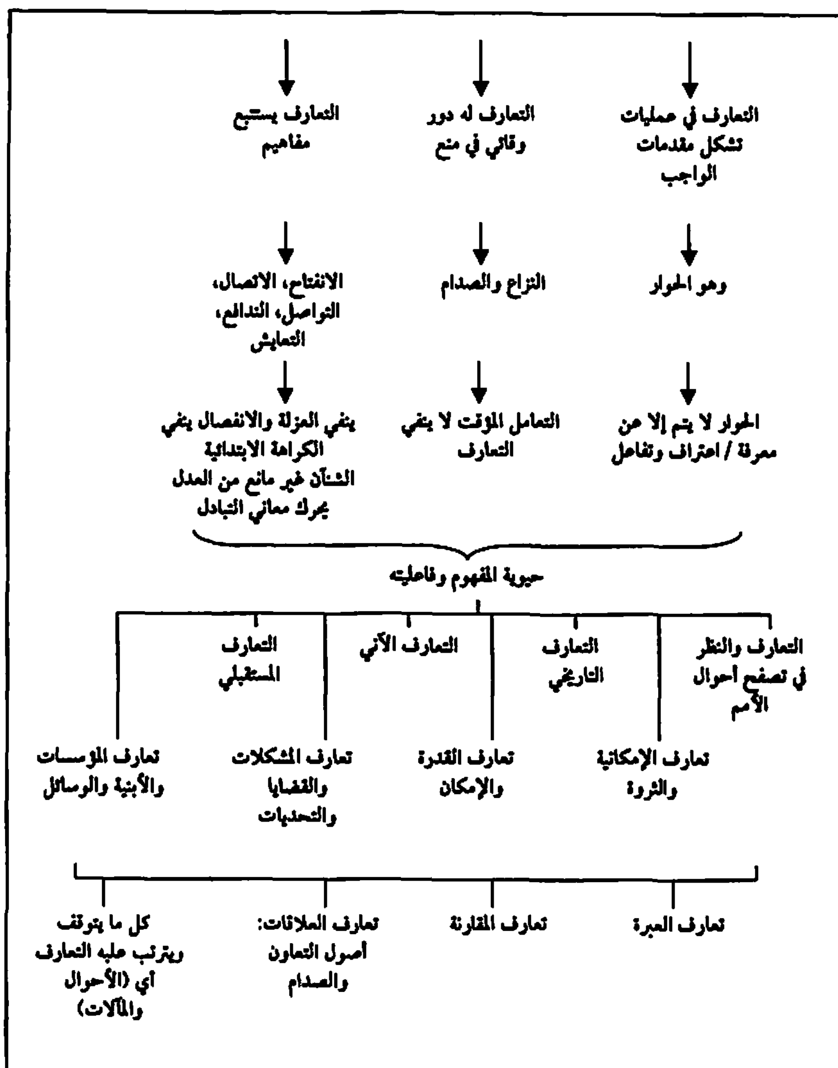
التعارف وحدات الانتماء والدعوة للتعارف الحضاري

التعارف

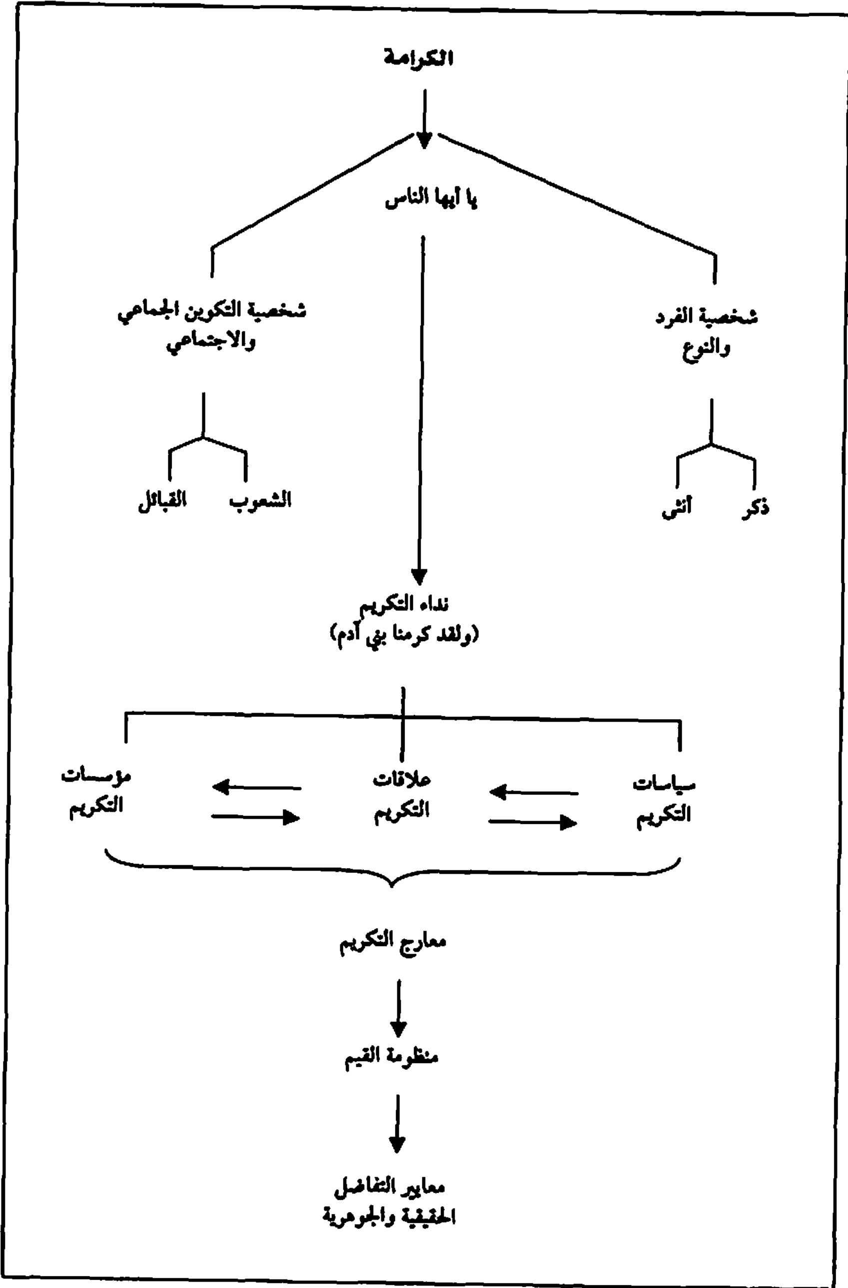


دعوة التعارف

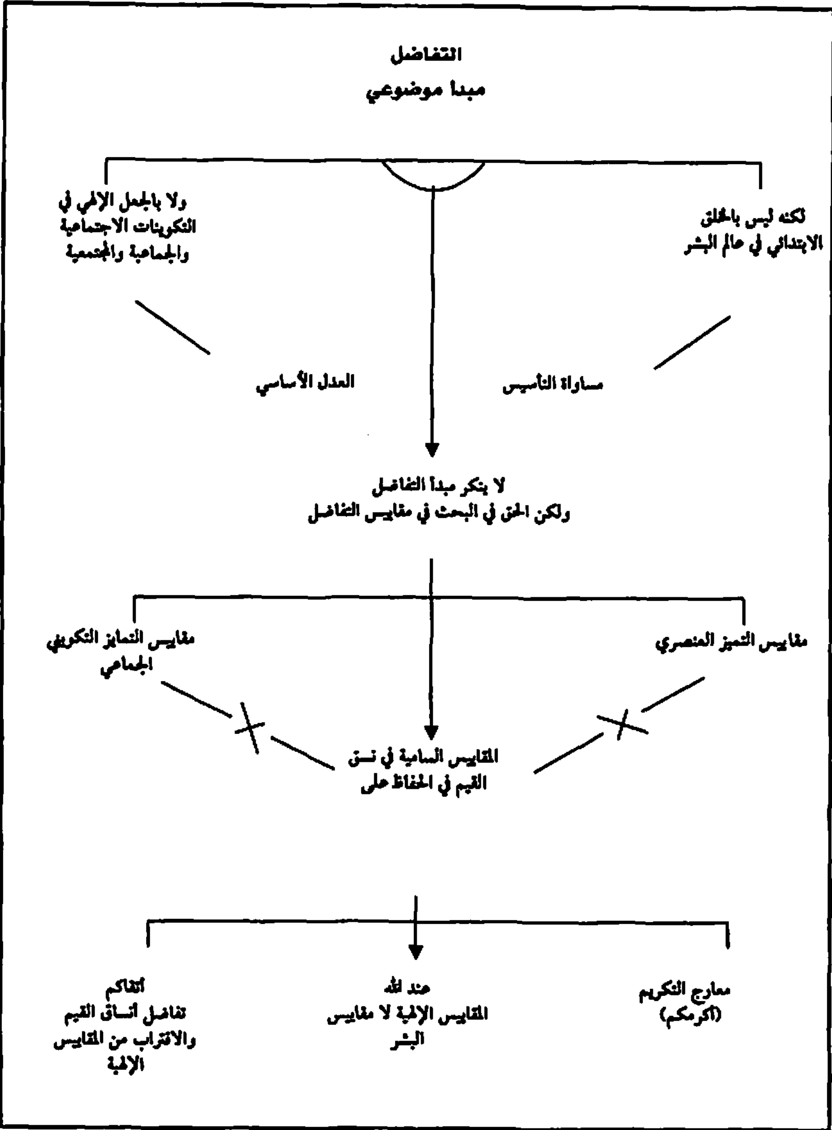




التعارف في عمليات تشكل مقدمات الواجب
التعارف له دور وقائي في منع
التعارف يستتبع مفاهيم
وهو الحوار
النزاع والصدام
الانفتاح، الاتصال، التواصل، التدافع، التعايش
الحوار لا يتم إلا عن معرفة / اعتراف وتفاعل
التعامل المؤقت لا يلغي التعارف
يلغي العزلة والانفصال يلغي الكراهة الابتدائية الشنآن غير مانع من العدل يحرك معاني التبادل
حيوية المفهوم وفاعليته
التعارف والنظر في تصفح أحوال الأمم
التعارف التاريخي
التعارف الآني
التعارف المستقبلي
تعارف الإمكانية والثروة
تعارف القدرة والإمكان
تعارف المشكلات والقضايا والتحديات
تعارف المؤسسات والأبنية والوسائل
تعارف العبرة
تعارف المقارنة
تعارف العلاقات: أصول التعاون والصدام
كل ما يتوقف ويترتب عليه التعارف أي (الأحوال والمآلات)

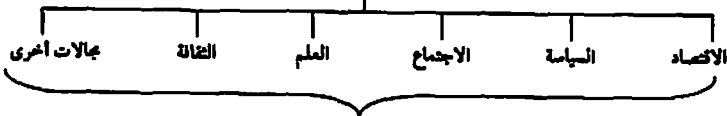


الكرامة
يا أيها الناس
شخصية التكوين الجماعي
والاجتماعي
شخصية الفرد
والنوع
الشعوب
القبائل
ذكر
أنثى
نداء التكريم
(ولقد كرمنا بني آدم)
سياسات
التكريم
علاقات
التكريم
مؤسسات
التكريم
معارج التكريم
منظومة القيم
معايير التفاضل
الحقيقية والجوهرية


التفاضل
مبدأ موضوعي
لكنه ليس بالخلق الابتدائي في عالم البشر
ولا بالجعل الإلهي في التكوينات الاجتماعية والجماعية والمجتمعية
مساواة التأسيس
العدل الأساسي
لا ينكر مبدأ التفاضل
ولكن الحق في البحث في مقاييس التفاضل
مقاييس التميز العنصري
مقاييس التمايز التكويني الجماعي
المقاييس السامية في نسق القيم في الحفاظ على
معارج التكريم
(أكرمكم)
عند الله
المقاييس الإلهية لا مقاييس البشر
أتقاكم
تفاضل أنساق القيم والاقتراب من المقاييس الإلهية

نظام القيم
وعمليات التعارف

مجالات التعارف



انفصال المجالات عن
القيم والمقومات والمقدمات

↓

ينتج مجالات تفاعل شائهة ومشوهة
محكومة بمعادلات ظالمة ـ جاهلة
الظلم/ والجهل } مضادات التعارف
العدل/ والمعرفة } مسهلات التعارف

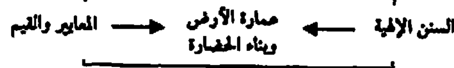
↓

ختام الآية

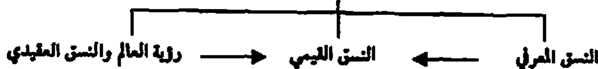
↓

وارتضاء المقاييس الإلهية
من الناس بتكوينهم النوعي
وتكويناتهم الاجتماعية والجماعية
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

↓

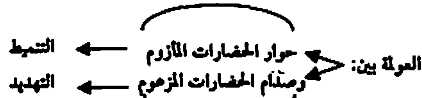


تفعيل نسق القيم



تعارف الحضارات

بين العولمة وحوار الحضارات وتصادمها



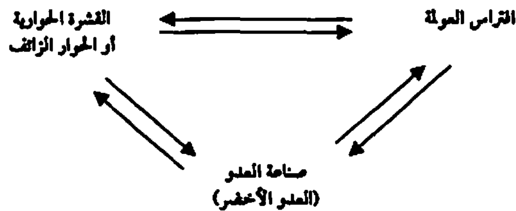
مقولات نهاية التاريخ وصدام الحضارات

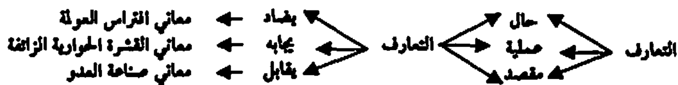
بين معارضات الظاهر وموافقات الجوهر

من يستعصي على التنميط؟!

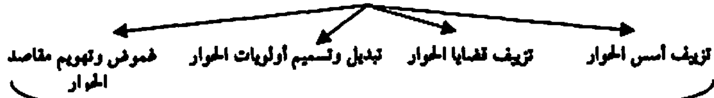
هندسة الموافقة والقبول

الإذعان في ثوب الرضا





التعارف يحدد جوهر الحوار ويقف في مواجهة



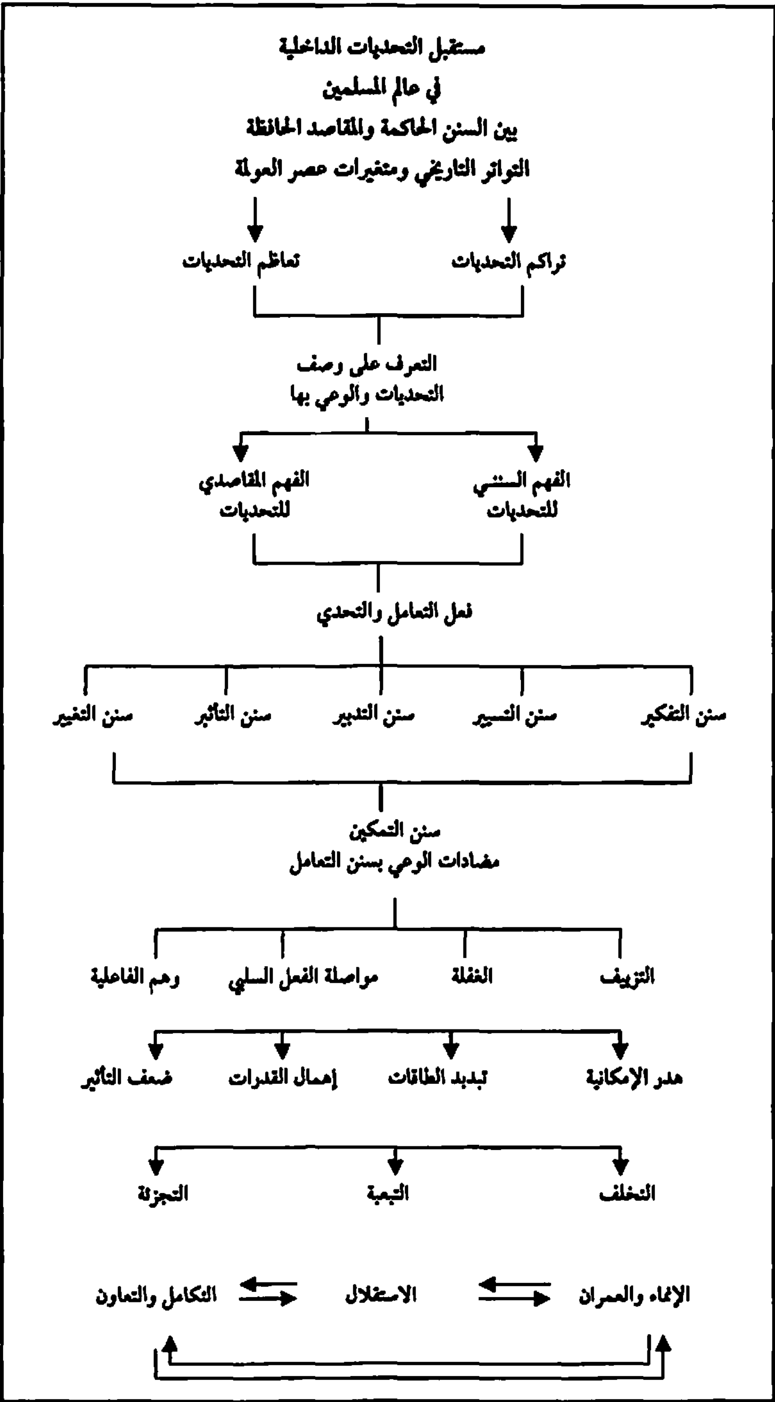
مقدمات لتشكيل وتنميط الحوار

(حوار التعارف يختلف عن الحوار الزائف)

من المهم أيضاً أن نفكر في أن الرؤية المقاصدية لا تمثل إمكانات لنقد مفهوم وعملية العولمة، ولكن تقدم أيضاً نقداً لواقع المسلمين واستجاباتهم لعالم التحديات الذي يواجهونه(١).

---

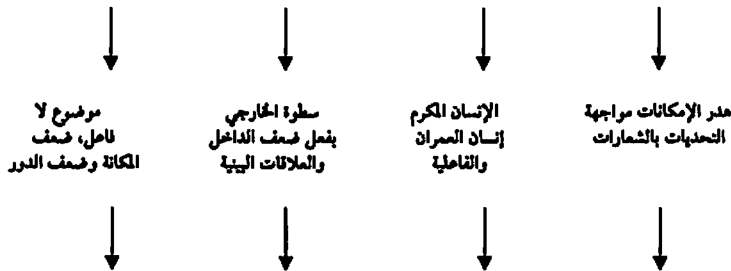
(١) سيف الدين عبد الفتاح: التحديات السياسية الحضارية للعالم الإسلامي، مرجع سابق.

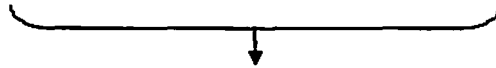


مستقبل التحديات الداخلية
في عالم المسلمين
بين السنن الحاكمة والمقاصد الحافظة
التواتر التاريخي ومتغيرات عصر العولمة
تراكم التحديات
تعاظم التحديات
التعرف على وصف
التحديات والوعي بها
الفهم السنني
للتحديات
الفهم المقاصدي
للتحديات
فعل التعامل والتحدي
سنن التفكير
سنن التسيير
سنن التدبير
سنن التأثير
سنن التغيير
سنن التمكين
مضادات الوعي بسنن التعامل
التزييف
الغفلة
مواصلة الفعل السلبي
وهم الفاعلية
هدر الإمكانية
تبديد الطاقات
إهمال القدرات
ضعف التأثير
التخلف
التبعية
التجزئة
الإنماء والعمران
الاستقلال
التكامل والتعاون

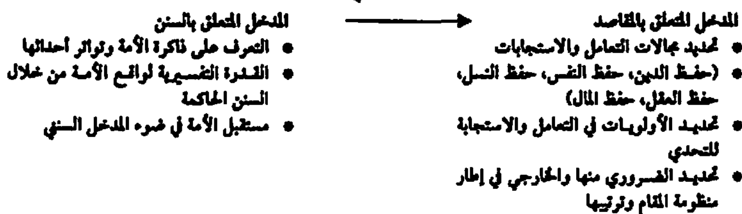
قدرات التحليل والتفسير في سياق:
الأمة كوحدة تحليل في إطار المنظور المقاصدي
والمدخل السنني

الإمكانات التحديات | والتفاعل مع مجالات محيطه السياسي | والحراك الخارجي الداخلي | العلاقة البينية والعالمية عالم المسلمين

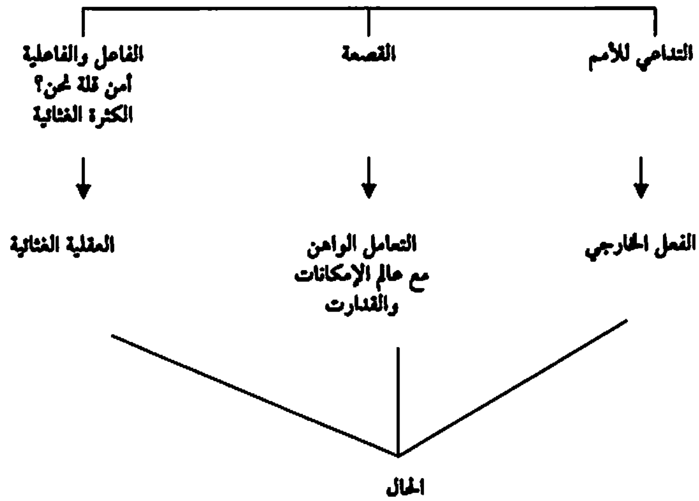


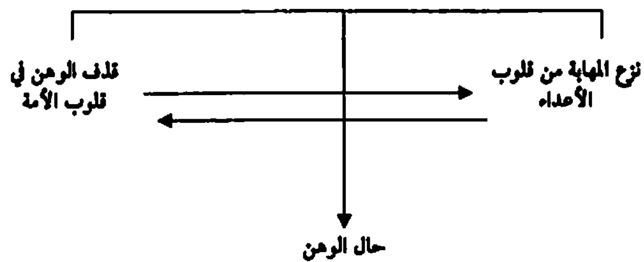


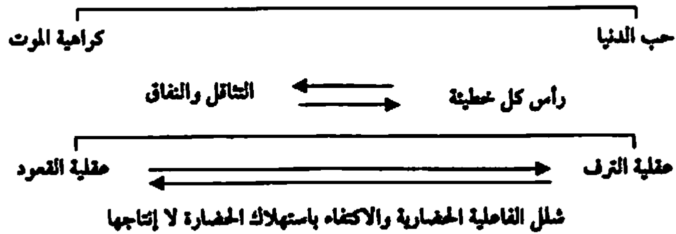
تقويم السياسات
والاستجابات
في ضوء



وهن الحضارات
والفاعلية الحضارية







خاتمة فاتحة

من المهم أن نؤكد أن دراسة العلاقة بين (العولمة والإسلام) لا تستوعبها دراسة مثل هذه، ولكن غاية أمر هذه الدراسة أن تحدد الشكل الذي يجب أن تقوم عليه الدراسة: معرفياً بما تثيره العلاقة من إشكالات جوهرية، ومنهاجياً بحيث تحدد العلاقة بين مناهج النظر للعلاقة ومناهج التعامل والتناول.

ومن هنا فإن التعرض المعرفي والمنهجي نراه من الجوانب المهمة التي لم تكن أساسية في الخطاب العربي والإسلامي حول العولمة، بل اتجهت توجهات الخطاب نحو المواقف مباشرة من غير الوقوف على هذا الجانب المعرفي والمنهجي، وتأثير هذا الجانب على ما عداه من جوانب من المهم أن نؤكد أنها تتلوه لا تسبقه.

وفي هذا المقام وبما تمثله العولمة من كونها (رؤية ومفهوماً ونموذجاً ومنظومةً) فإنها قبل كل ذلك (عملية)، بينما النظر إلى الإسلام يمكن أن يكون على مستوى الأوصاف الأولى من دون الحديث عنه على أنه عملية، إلا في منظوره التاريخي. إلا أن الغرب وبما يحمله من مشروع العولمة على تفاوت بين أركانه وعمده، وعلى تفاوت بين حجم الإدراكات لا أصل التصورات؛ يرغب وبشكل لا منهجي في تصور الإسلام عملية من دون أدنى تمييز بين الإسلام وعالم المسلمين.

ومن هنا فإن الأساس في منهج النظر يكون بتحديد الإشكالات الجوهرية وبتحديد الدواعي المؤكدة على العلاقة بينهما (مفهومان، ونموذجان، ومنظومتان، ورؤيتان كليتان) إنها تكمل عناصر رؤية العالم في إطار مقارن نقدي وبنائي في آن واحد.

ومن أصول منهج النظر وجب الانتقال إلى الكيفية التي تقوم بدراسة هذه العلاقة معرفياً ومنهجياً (مناهج التعامل والتناول).

ثم الانطلاق إلى الرؤية الناقدة البانية في إطار استخدام مدخل بناء المفاهيم والتحيز الذي يطولها، ومدخل تصنيف المفاهيم (المفهوم الحر والمفهوم العبد)، وإعادة تأسيس عناصر رؤية بديلة (عالمية الإسلام، تعارف الحضارات)، فضلاً عن العمليات النقدية والتقويمية والبانية من خلال مدخل المقاصد. فهل نحن حقاً أمام رؤيتان للعالم؟ وهل نحن جوهراً أمام عالميّتين: عالمية الاستخلاف والتعارف وعولمة الاستئثار والغلبة؟

الأمر لا يزال يحتاج إلى دراسات تراكم في هذا المقام ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٣/١٧].

مستخلص

إن الغاية من دراسة العلاقة بين العولمة والإسلام، تحديد الشكل الذي يجب أن تقوم عليه الدراسة معرفياً، وما تثيره العلاقة من إشكالات جوهرية ومنهاجية، بحيث تحدد العلاقة بين مناهج النظر بالعلاقة ومناهج التعامل والتناول.

من الإشكالات المطروحة في دراسة العلاقة بين المفاهيم والمصطلحات، عدم تحديد طرفي العلاقة، وتحقيق أصول التعامل المعرفي الشامل من جهة، والتعامل المنهجي من جهة أخرى. فنحن هنا أمام مفهوم الإسلام بما يفرزه من رؤية للعالم، وبما يسهم به في تقديم نموذج معرفي إرشادي، وأمام العولمة التي تفرز رؤية للعالم ونموذجاً معرفياً تنمو فيه وتستند إليه.

لذلك أتت هذه الدراسة لتقدم قراءة مركبة تتضمن ثلاثة أسس تشتق منها قراءات أخرى متنوعة؛ أولاً، قراءة في دواعي القراءة، وثانياً قراءة التشريح والترشيح، وثالثاً القراءة المقارنة والناقدة، كمقدمة لإعادة البناء والتأسيس.

إن تكامل هذه القراءات، وإبراز بعض النماذج ذات أهمية بمكان، لأنها لا تركز على الراهن فقط وعملية تكونه، ولا تتعرض لدراسة الجزئي والظاهر والأعراض والمظاهر فحسب، بل تحاول البحث عن رؤية كلية في العلاقات والمستويات، والتعرف على مجموعة الإنسان (المعرفية، والعقدية، والقيمية، والثقافية والحضارية) والتعرف على عناصر المفهوم تشريحياً، وخريطة عناصره والعمليات المرتبطة به، وطبيعة العلاقة والإشكالات، وإجراء مقارنة على العلاقة بين العولمة والإسلام من ناحية الظواهر والمستويات والتجليات، قراءة نقدية كاشفة تؤكد على الأنساق الحضارية المختلفة، وبما يقتضيه استنادها إلى رؤية متنوعة للعالم.

إنها دراسة لا تتوقف عند حدود النقد والتقويم بل تتوجه نحو رؤية بنائية.

Abstract

The purpose lying behind studying the relation between globalism and Islam is identifying the framework on which the study should be epistemologically based, and the substantial and methodological dubieties this relation could raise so that it identifies the relation between the theoretical methods and the methods of treating and handling.

One of the dubieties presented in the study of the relation between concepts and terms is the lack of identifying the two sides of the relation, realizing the fundamentals of the thorough mutual epistemological treatment on the one hand and the mutual methodological treatment on the other hand. In this regard, we find ourselves before the concept of Islam, the way it views the world and the instructive epistemological example it introduces, and before globalization which discharges another view of the world and an epistemological example in which it grows and on which it is based.

Accordingly, this study rises to introduce a compound reading including three bases from which other various readings are derived: First, a reading on the stimuli of reading, second, reading the anatomy and the nomination, and third, the critical comparative reading as an introduction to rebuilding and reestablishing.

The integration of these readings and projecting some examples are highly significant because they concentrate not only on the status quo and the process which created it and study not only the partial, the superficial, the accidental and the features but also they endeavor to search for a total view of the relations and levels and get acquaintance with the human's [epistemological, doctrinal, estimated, cultural and civilizational) collection and getting acquaintance with the elements of the concept anatomically as well as the map of its elements, the processes related to it, the nature of the relation and cruxes and making comparison about the relation between globalization and Islam as regards the phenomena, the levels and the manifestations with a revealing critical reading that emphasizes the various cultural grades in accordance with the requisites of its dependence on a varied view of the world.

It is a unique study that does not stop at the borders of criticism and estimation; rather, it proceeds towards a constructive view.